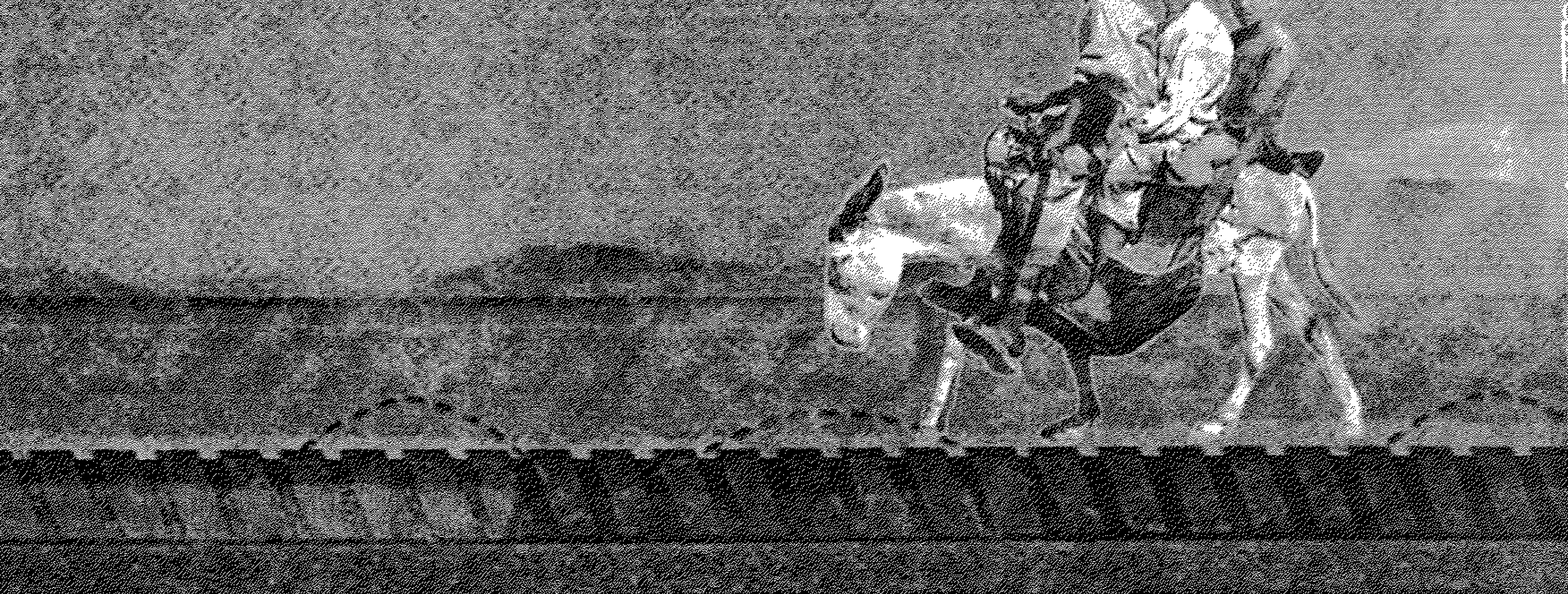


أفغانستان فى التاريخ المعاصر

تأليف: على رضا آبادى

ترجمة و تقديم: أحمد محمد النادى

مراجعة: السباعى محمد السباعى



أفغانستان

فى التاريخ المعاصر

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد :١٠٥٨
- أفغانستان فى التاريخ المعاصر
- على رضا على آبادى
- أحمد محمد نادى
- السباعى محمد السباعى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

هذه ترجمة كتاب :

افغانستان

عليرضا على آبادى

مؤسسة چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

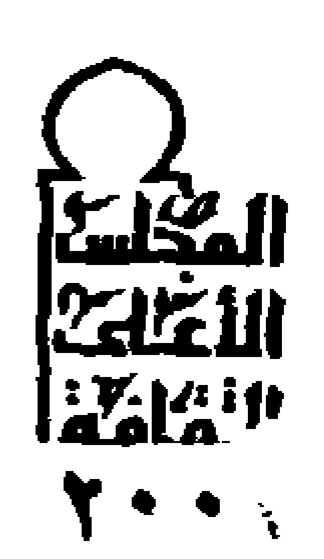
المشروع القومى للترجمة

أفغانستان
فى التاريخ المعاصر

تأليـــــف : على رضا على آبادى

ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادى

مـــراجـــعـــة : السباعى محمد السباعى



٢٠٠٠

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

آبادي ، على رضا على

أفغانستان فى التاريخ المعاصر

تأليف : على رضا على آبادي ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادى

مراجعة : السباعى محمد السباعى

- ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٧

٢٨٠ ص ، ٢٤ سم المشروع القومى للترجمة ١٠٥٨

١ - أفغانستان - تاريخ ٩٥٨,١

(أ) نادى ، أحمد محمد (مترجم ومقدم)

(ب) السباعى، محمد السباعى (مراجع)

رقم الإيداع ١٧٦٢٥ /٢٠٠٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-437-439-8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية وهاديها إلى الطريق القويم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم.

هذه ترجمة لكتاب " أفغانستان " الصادر من وزارة الخارجية الإيرانية سنة ١٣٧٢ هـ.ش /١٩٩٣م لمؤلفه على رضا على آبادى . ولقد جعلت عنوان الكتاب " أفغانستان فى التاريخ المعاصر "، لأن الكاتب لم يتطرق إلى ماضى أفغانستان، وإنما تناول حاضرها ملقيا الضوء على كل جوانب الحياة فيها حتى عصر طالبان. وسوف أحاول من خلال هذه المقدمة الوقوف على الواقع قدر الإمكان.

وعلى الرغم من الخصوبة الفكرية التى يحتويها هذا السفر المتواضع، فإننى لا أحسب أن صلتى به قد انحصرت فى مجرد علاقة بين مترجم وكتاب ، بل إن عملى فى هذا الكتاب أعتبره محبة لهذا الشعب المبتلى والمكافح الذى نشأ على الجلادة والإقدام لا يدين لسلطة الأجنبى. وتخبرنا المصادر بما وقع للغزاة على أرضه، فقديما هزم الإسكندر المقدونى عند مروره من أرض كابل إلى الهند، وتفرق جيشه بعد أن دان له العالم[١]، كما أن العرب لاقوا منه عنتا كبيرا .

وحديثا كانت أفغانستان مسرحا للمناورات البريطانية والروسية الخطيرة على مستقبلها ومستقبل جيرانها[٢]، وخرجت كلتاهما تجران أنيال الخزى والعار،

---

(١) ابن اسفنديار (محمد بن حسن)، تاريخ طبرستان، ترجمة د. أحمد نادى، القاهرة ٢٠٠٢ م، ص ٣٠.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار (دكتور)، تاريخ الشعوب الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ /١٩٩١م، ص ٤٣٧ .

فبريطانيا كانت ترى أن أفغانستان قوية تمثل خطرا على نفوذها فى الهند، فعملت على إضعافها بكل الوسائل، وذلك بتدبير الفتن والمؤامرات كعادتهم دائما.

وفى ديسمبر ١٢٥٥هـ.ش/ ١٨٣٨ م غزا أفغانستان جيش إنجليزى ، وتمكن من احتلال قندهار ثم كابل وغزنى ، لكن هذا الشعب الأبِيّ أبَى واستعصم فقاومهم مقاومة شرسة أبادت جيشا إنجليزيا بأكمله لم يسلم منه إلا طبيب قص ما حدث لجيشه[(١)]، وكانت لهذه الهزيمة تداعيات مهمة، أسهمت فى سقوط حكومة "اللورد ملبورن" وحدوث بعض التغيرات فى الحكومة وقيادة الجيش بعد هذه الحرب الكبرى[(٢)].

وللقادة العسكريين رأى عظيم فى أفغانستان وشعبها ؛ إذ يرون أن هناك اختلافا كبيرا بين هزيمة أفغانستان عسكريا والسيطرة عليها، فهزيمة أفغانستان عسكريا واحتلالها أمر ممكن ، لكن ترويضها والسيطرة عليها مستحيل أو على الأقل صعب. وقد شوهد فى الفترة الأخيرة الاتحاد السوفيتى - مع كل ماله من قوة عسكرية - وقد باء بفشل عظيم وترك أفغانستان مرغما[(٣)] ، والأيام تخفى مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية والأمريكان الذين يهدفون إلى ما يسمونه بنظرية الدومينو ، وتعنى السيطرة على الحكم فى بلد ما ، وبالتبعية يسقط فى أيديهم البلد التالى ، وهذا ما حدث فى أفغانستان التى فتحت شهيتهم صوب العراق، لكن للغد رأى آخر فى أفغانستان والعراق.

وأفغانستان بلاد إسلامية مستقلة فى وسط قارة آسيا، حافظت على استقلالها وشخصيتها بفضل جهاد أبنائها البواسل ، وبفضل تمسكهم بإسلامهم. وهم ينقسمون إلى طائفتين عظيمتين:

---

(١) فاروق حامد بدر، تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامى حتى وقتنا الحاضر ، مكتبة الآداب بالجماميز، د. ت، ص ٥٨: ٦٥.

(٢) على أبادى على رضا، أفغانستان ، تهران ١٣٧٢ هـ. ش، ص ١٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٨.

الدرانيون: وهم الذين بيدهم مقاليد الحكم.

الغلاجائيون: وهم خليط من عناصر مختلفة[١].

وهناك افتراضان لمعنى الكلمة وأصلها:

الأول: أن"أفغاستان" اسم أطلقه الفرس على سكان تلك المنطقة بعلة أنهم عندما أسرهم الملك بختنصر فى الأزمنة القديمة كان لهم أنين وضنين ، وهو ما يعرف بالفارسية "فغان" فأطلق عليهم هذا الاسم آنذاك[٢]. وقد وردت هذه الكلمة لدى الفلكى الهندى " فراهاميهيرا " فى أوائل القرن السادس الميلادى فى كتابه " برهات سمهيتا "، كما أن الرحالة الصينى "هيوان تسنك " الذى زار كابل قبل الفتح الإسلامى ذكر قبيلة اسمها " افگان " كانت تسكن جبال سليمان [٣] .

الثانى: يرى أن " أفغان " اسم لحفيد " شاءول " وهو جد للأفغانيين ؛ فسموا باسم جدهم وهو بنيامين بن يعقوب عليه السلام الذى سافر مع أبنائه الأربعين عندما حلت الكارثة ببنى إسرائيل ، واتجه إلى هذه المنطقة الواقعة شرقى بلاد فارس وأقام فيها ، و على هذا الرأى فهم جنس سامى لا حامى ، لكن الثابت تاريخيا أنهم جنس آرى ينحدر من الفرع "الهندوأوروبى" ولا توجد أدنى مشابهة بين لسانهم وبين اللسان العبرى[٤]. وتذكر بعض المصادر أن الأفغان ذكروا باسم أوغان، غير أن وجه اشتقاقهم منها غير مقنع على رأى دهخدا[٥].

---

(١) دهخدا على أكبر لغتنامه ، شماره هفت، تهران ١٣٣٨ ، ٣١٢٦ .

(٢) جمال الدين الأفغانى ،" تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، تصحيح على يوسف الكريولى ، الطبعة الأولى ١٣١٨ هـ ، ١٩٠١ م ص ١٢٨ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة:"أفغان". وانظر: محمد عبد القادر أحمد (دكتور)، المسلمون فى أفغانستان، ط١ ، ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤م ، ص ١٤.

(٤) تتمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ١٣٨.

(٥) لغتنامه ، شماره هفت ص ٢٦و٣١ .

وقد ورد ذكرهم فى آثار الكتاب الإسلاميين على أنهم جزء من قبائل البشتون ، ثم أخذت دلالة الكلمة فى الاتساع تدريجيا حتى أطلقت على جميع قبائل البشتون ، وأما اسم أفغانستان فكان يطلق فى بداية القرن الثالث عشر على جزء من الولايات الشرقية للبلاد[1].

أما عن التطور التاريخى لكلمة " أفغانستان " فشعبها كان يعرف منذ البداية وحتى قبل العهد الأوستائى " بآريانا " ، وهو أقدم أسماء أفغانستان، والذى كان يطلق منذ عهد " الأوستا " (الذى كان متداولاً قبل الميلاد وحتى القرن الخامس الميلادى) آريانا "[2]، ثم خراسان، وهى التى ظهرت بعد القرن الثالث الميلادى ، ثم أفغانستان بدلا من خراسان.

وورد فى مصادر أخرى أن الأفغان ذكروا باسم "أوغان" لفترة طويلة، وأنهم يعيشون فى جبال الهند على الحدود الغربية، كما أن جبال سليمان هى أقدم موطن للأفغان[3].

والأفغان سمر البشرة أقوياء البنية، أنوفهم طويلة وعيونهم سوداء ورءوسهم عريضة وشعورهم سوداء مموجة ، وفى الوقت نفسه توجد قلة تتميز بالبشرة الشقراء[4].

---

(١) المصدر السابق ص ٩، ١٠ . وانظر: المسلمون فى أفغانستان ، ص ١٤، ١٥. ودائرة المعارف الإسلامية، مادة أفغان . وتتمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ١٣١.

(٢) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى ت بعد٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض ، طبع مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ٢٨٤.

(٣) ملطبرون ، الجغرافية العمومية ، تعريب : رفاعة ، بدون تاريخ، ص ١٨٤ ، لونكويرث (دميتر كب) أفغانستان، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرين، ط أولى ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٥ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "أفغان".

ومن أهم القبائل الأفغانية نجد قبائل " البوندائية "، وهم بدو ينتقلون بين مجرى نهري كومل وتوجي حتي ضفاف السند، و" الكاكرية " ، ويستقرون في منطقة بشين وزوب في بلوخستان، و"الشيرانية" في جبال سليمان ، والوزيرية في وزير ستان، واللوهانية على التلال، و "البتوجية" في وادي توجي ، و"الخطكية" على سواحل السند، و"لافريدية" في ممر خيبر ، و"مهمند" شمال كابل ، و"الغلزائية" في جلال أباد[1] ، وللأفغان تقليد موروث في تولي رئاسة القبيلة، حيث تكون للأكبر سنا، كما أن لمجلس الأعيان القبلي " لويه جرگه " دورا مهما في الفصل بين الخصومات والتشاور في الأمور[2] .

ولغة البشتو هي اللغة الأفغانية المحلية، وتنتشر في المناطق الشمالية الشرقية لكابل، والشمالية الغربية للهند، وتمتد إلى الجنوب حيث يوجد بعض الأفغان بمنطقة توران (بلوخستان) ، وهي خليط من الأردية والإنجليزية والفارسية والتركية، وتكتب الآن بحروف عربية مع بعض التغيرات[3].

والكتاب يضم عشرة فصول. جاء الفصل الأول فيه تحت عنوان الجغرافيا الطبيعية لأفغانستان، وتحدث المؤلف فيه عن الماهية الجغرافية لأفغانستان من حيث التضاريس والهضاب والجبال والممرات والسهول والأودية وكذلك المناخ والأنهار، وهي دولة حبيسة محاطة بالجفاف والتصحر ، وتضاريسها تعمل على إضعاف مستوى الترابط والتجانس والحيوية بين مناطق الدولة ، إذ إنها بالغة التعقيد، تتكتل في سلسلة جبال الهندكوش التي تنحدر على جوانبها أودية عميقة في اتجاهات مختلفة ؛ مما أدى إلى تقطيعها إلى عدة سلاسل يحمل كل منها اسما مختلفا ، وتمتد بين هذه السلاسل الجبلية والقمم التي يزيد ارتفاع بعضها على ٧٠٠٠متر هضبة بامير التي تعرف بسقف

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة "أفغان".

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "أفغان" .

(٣) دهخدا على أكبر، لغتنامه شماره بيست وهفت، ص ٢٥، ٣١ .

الدنيا أو سقف العالم؛ لشدة ارتفاعها ، وهى أعلى هضاب العالم. وتبدأ امتدادها من سلسلة جبال الهيملايا ، وتستمر فى امتدادها غربا إلى هراة وتغطى بالجليد معظم أيام السنة[1].

وجبال الهندكوش فى أعلى العاصمة الأفغانية كابل تمتد من الشرق إلى الغرب على امتداد ستمائة ميل ، وتعرف بقاتلة الهنود ؛ وذلك لشدة ارتفاع درجات البرودة بها شتاء حيث تصل إلى ١٠ْم تحت الصفر. وقد ذكر ابن بطوطة أن جبال الهندكوش معناها " قاتلة الهنود "، وذلك لأن العبيد و الجوارى كانوا يجلبون من بلاد الهند إلى فارس فيموت بها الكثير منهم[2].

ويأتى ممر خيبر، أشهر ممر يخترق جبال سليمان على الحدود الشرقية للعاصمة الأفغانية كابل ويفصل بين الهند وكابل مارا بمنطقة بشاور ، ويبلغ طوله ثلاثة وخمسين كيلو مترا، ويقع فى واد جبلى جدب ، وترى من فوقه هضاب السند، وكانت تمر به القوافل التجارية والقبائل[3].

ومن حيث المياه والأنهار، فعلى الرغم من أنها دولة حبيسة فإن التميز الجغرافى فى تضاريسها جعل الأنهار والجداول تجرى بها ؛ ولهذا فهى بلد غنى بالثروات الطبيعية والأراضى الخصبة والخيرات الوفيرة والمراعى الواسعة. ونهر جيحون أهم أنهارها، وينبع من جبال بامير بطول ٢٥٠٠ ك م. وتمثل هذه الأنهار محاور للحركة ، ومراكز عمرانية رئيسية. يعتمد اقتصادها على الزراعة وسط هذه البيئة

---

(١) عبد الله عزام ، جهاد الأفغان ، ط الأردن ١٩٨١ ص ٥ . وانظر المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦هـ ١٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م، ج١ص ٦٨.

(٢) محمد بن إبراهيم اللواتى، ت ٧٧٩هـ ، رحلة ابن بطوطة ، ط دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٣٩١ . ٣٩٠ .

(٣) دائرة معارف أريانا، ١٣٣٦هـ. ش ، ص ٧.

الجبلية. كما أسهمت هذه التضاريس فى تقطيع السطح إلى أقسام يكاد يشكل كل منها وحدة إقليمية قائمة بذاتها ، ومركزا لبيئة اجتماعية منفصلة ومستقلة ، الأمر الذى ألقى بظلاله على تشكيل التحالفات السياسية بين المجموعات العرقية فى أفغانستان ، وتعميق هوة الخلافات بينها.

وتحدث الكاتب فى الفصل الثانى عن الجغرافيا البشرية والاجتماعية فى أفغانستان ، وهى تتسم بالتعددية العرقية والقومية المعقدة التى أسهم الموقع الجغرافى بدور كبير فيها. يصاحب هذا التعدد انقسام حاد فى توجهات الجماعات المكونة للدولة؛ مما أدى إلى عدم القدرة على الالتقاء حول المصلحة العليا للمجتمع ، فالخريطة العرقية تحتوى على أكثر من عشرين جماعة ولغة وثقافة.

والانقسام الجغرافى الحاد نجده منعكسًا على المجتمع فى تحصن كل جماعة داخل منطقة عرقية معينة، وقد حدث استقطاب سياسى للجماعات المؤثرة فتأسست الأحزاب السياسية المختلفة من جراء هذا الانقسام العرقى ، وحاولت كل جماعة أن تقوى من شوكتها على حساب الآخرين[١].

وخلق هذا التعدد العرقى مناخا مناسبا للصراع بين الفصائل الأفغانية ، خاصة وأن هذا التنوع قد اقترن بوجود إمدادات لبعض القوميات المؤثرة فى أفغانستان داخل دول الجوار. فالبشتون لهم امتداد داخل باكستان ، والطاجيك داخل جمهورية طاجيكستان ، والأوزبك فى أوزبكستان ، بالإضافة إلى الشيعة الذين لهم امتداد بحكم الانتماء المذهبى فى إيران[٢] ، ويمثل البشتون الشريحة العظمى من السكان ويبلغ تعدادهم أحد عشر مليونا وفقا لإحصائية ١٩٩٢ م ، ويستجمعون فى أيديهم مقاليد

---

(١) محمد عبد القادر أحمد ، المسلمون فى أفغانستان ، ص ٦٥.

(٢) طارق دحروج ، تطورات الأزمة الأفغانية وأبعاد الدور الدولى ، السياسة الدولية ، عدد ١١٨ أكتوبر ١٩٩٤، ص ١١٤.

الأمـور فى الدولة؛ الأمـر الذى كـانت له تبـعـاته، إذ كـان هذا يعنى بالنسـبـة لسـائر القومـيات الأخـرى أن أفغـانسـتـان دولة تدار عن طريق البشـتـون ولأجلهم. ومما يُعَدُّ مؤشرا على ذلك تلك المحـاولات التى استـهدفت قلب نظام الحكم أو إثارة الاضطرابات الداخلية العنيفة(١).

وقد لعبت الطبيعة الجبلية القاسية دورا مـهما فى تحـديد سمـات العلاقة وشكلها بين السلطة والشعب ، إذ كـان الشـعب الأفـغـانى يقسم إلى كيـانات عرقيـة مذهبـيـة جـغرافـيـة، يكاد أن يشكل كل منها مـجـتـمـعا قـائمـا بذاته ومـتـبـاينا فى خـصـائصـه الاجتماعية.

وفى الفصل الثـالث جاء الحديث عن الدين والمذهب. ووفقا للدسـتور الأفغانى فإن الدين الإسـلامى هو الدين الرسـمى للدولة ، وتجرى به الشـعـائر وفـقـا لأحكام المذهب الحنفى ، وأفراد الشعب الذين لا يعتنقون الدين الإسـلامى أحـرار فى إقامة مراسمهم المذهبية فى الإطار والحدود التى تحددها القوانين الخاصة بالآداب والراحة العامة (٢).

ويشكل أهل السنة ٨٤٪ بينما يمثل الشيعة ١٥٪ من تعداد السكان، ويقيمون فى المناطق القريبـة من الحدود الإيرانيـة ، ولهم مـجـتـمـعـاتهم المنظمة وحلقـاتهم المحكمة عـقـائديا واجـتـمـاعـيـا، كـمـا توجد نسـبـة ١٪ من السكان لهم ديانات أخـرى كالسيخ والهندوس واليهود.

ولأن الجمود وضيق الأفق الفكرى والانغماس فى الذات والتمركز حولها يعد من أبرز موروثات الموقع الداخلى الحبيس لأفغانسـتـان، فإن التـعـصب الطائفى أو المذهبى

---

(١) عبد الله صالح ، الصراع فى أفغانستان ومستقبل الدولة ، السياسية الدولية ، عدد ١١١ يناير ١٩٩٣ ص ١٥٧ ، وانظر: محمد مهدى عاشور ، *التعددية الاثنية إدارة الصراعات واستراتيجية التسوية* ، المركز العلمى للدراسات السياسية ، الأردن ط ٢ ، ٢٠٠٢، ص ٨١ و ٤٨.

(٢) *دستور أفغانستان ١٩٦٤ ، المادة الثانية*.

والتقليل من شأن المذاهب الأخرى، بل وتكفيرها أحيانا، يشكل سمة من سمات المجتمع الأفغاني ، وأحد عوامل التفكك السياسي وعدم الانسجام الاجتماعي بين السكان.

أما عن الصراع الأيديولوجي بين السنة والشيعة فهو الأخطر والأكثر امتدادا في إطاره الزمني من أي صورة أخرى من صور الصراع على مر التاريخ ، ويظهر من حين لآخر في القرى البعيدة ، وهي خلافات لها جذور تمتد إلى عصر صدر الإسلام، ثم عصر بني أمية بعد مقتل الإمام علي، وهذه الخلافات تدور حول الأعياد وصلاة الجمعة والأذان وزواج المتعة ، وتزداد عمقا بين الأميين في القرى[١] ، ويتمسك الشعب الأفغاني بتعاليم الدين الإسلامي تمسكا شديدا ، كما أن لرجال الدين نفوذا كبيرا ومصداقية تامة لدى الحكومة وأفراد الشعب ، فقولهم هو الصدق ، وفيما ينطقون به فصل الخطاب في أي أمر من الأمور.

ويبدو أن الدوافع والأسباب التي تكمن وراء تمسك الشعب الأفغاني بدينه الإسلامي إنما ترجع لخوفهم من طغيان الدول الكبرى المحيطة بهم التي لا تعتنق الإسلام، كما حدث لمسلمي جنوب الاتحاد السوفيتي قبل انهياره ، وما يحدث في الشيشان الآن . وما يحدث لهم الآن على يد الأمريكان هو خير تأكيد على ذلك .

وفي الفصل الرابع جاء الحديث عن المجتمع الأفغاني وعاداته وثقافته وتعليمه. ويبدو من بين سطوره أنه مجتمع ذو تقاليد موروثة ، فهو قبلي وإسلامي وزراعي ورعوي ومسالم ومحارب. تشاهد في المدن الكبرى - خاصة " كابل" - بعض المظاهر المحدودة من سلوكيات الحياة الغربية ، لكن الأمر يختلف في القرى والمدن الصغيرة أو البعيدة، إذ لا تزال العادات والتقليد أمرا جوهريا فيها[٢].

---

(١) المسلمون في أفغانستان ، ص ٣٠ ، ٣١ . وانظر: Brecht , a , political theory : the foundation of twentieth century political thought , princeton press 1963 . pp.85,86.

(٢) المسلمون في أفغانستان، ص ٢٥. وانظر : محمد علي ، صور من عادات الشعب الأفغاني وتقاليده، ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم، د. ت، ص ٨٥ .

ومن أهم الصفات التى تميز المجتمع الأفغانى نظام الأسرة المترابط، وفى النزل الأفغانية يعيش الأبناء مع الوالدين، وتنظر الزوجة الأفغانية إلى الزواج على أنه رباط مقدس ، وهى وفية لزوجها تشاركه أعباء الحياة وتعتنى بأولادها، وتقوم المرأة بدور فعال فى صناعة السجاد والبسط القيمة ذات الشهرة التاريخية ؛ فهى ذات أنامل رقيقة سريعة الحركة[١].

ويقترب تعداد الإناث من نصف سكان أفغانستان وفقا لتقديرات ٢٠٠١م، إذ تبلغ ١٢,٩٩٨,٤٥٠ فى حين يبلغ الذكور ١٣,٨١٤,٦٠٧ ، وترتفع نسبة الأمية بينهن، وعلى الرغم من ذلك فقد شاركن فى الحياة الاجتماعية والسياسة وساهمن فى صياغة دستور ١٩٦٤م ، وفى عقد السبعينيات كان هناك ثلاث نساء على الأقل فى البرلمان . وحتى مطلع التسعينيات كانت النساء يعملن معلمات وموظفات وطبيبات فى الحكومة ، كما عَمِلن أساتذة جامعات ومحاميات وقاضيات وصحفيات وكاتبات وشاعرات، إلا أنه عند وصول "طالبان" إلى السلطة جرى تهميشهن ، وحُدِّت بصورة كبيرة حرية المرأة فى الحركة[٢].

وفى الفصل الخامس جاء الحديث عن دور وسائل الإعلام ، ويبدو أن وضعها آنذاك كان ولا يزال يفتقر إلى المقومات الأساسية لوسائل الإعلام الحديثة، لاسيما فى الإعلام المرئى وكذلك المسموع. على النقيض من الإعلام المكتوب ؛ إذ به جهد ملموس من نشريات مختلفة متمثلة فى الجرائد والمجلات بشكل واسع جدا وصل إلى حالة من الإفراط ، ويعود هذا فى رأيى إلى تعدد طوائف الأفغان ، ورغبة كل طائفة فى أن تُبرز دوراً مهما ، وتعبر عن وجودها من خلال إصدار النشريات، لاسيما فى أثناء الاحتلال السوفيتى لأفغانستان.

---

(١) عباس إقبال، يادكار ، تهران ١٣٢٥ هـ. ش ، صـ ٣٧ .

(٢) بيان الأمين العام للأمم المتحدة أمام مؤتمر القمة العالمى للمرأة الأفغانية فى بروكسيل ٤ - ٥، ٢٠٠١م.

ثم عرج إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية فى الفصل السادس، فأشار إلى أن الأنشطة الاقتصادية الأفغانية تناقصت منذ احتلال الاتحاد السوفيتى السابق لها فى أواخر ١٩٧٩م ، ثم اندلاع الصراعات الداخلية والعرقية عقب انسحابه منها، إضافة إلى أن الاقتصاد الأفغانى كان ضعيفا بالفعل ، بل يقف فى مصاف أفقر الدول ، يأتى هذا على الرغم من أن أفغانستان واحدة من الدول الغنية بالمصادر المعدنية ؛ تتمثل فى الحديد الذى توجد مناجمه فى جبال الهندكوش وسليمان[١]، والنحاس بمنطقة منارجكرى[٢]، والرصاص بمنطقة غوربند[٣]، والفحم فى جبال الهندكوش شمالا وبلوخستان جنوبا[٤]، ثم الغاز الطبيعى، وهو أهم مخزون للطاقة فى الدولة ويتركز فى مزار شريف، ويغلب على هذه المصادر المعدنية أنها لا تزال بكرا ولم تستغل بعد.

والزراعة العصب الرئيسى للاقتصاد الأفغانى، على الرغم من أن المنطقة الجبلية بها تمثل ٨٠٪ من جملة مساحتها. وحوالى ١٥٪ من أراضيها صالحة للزراعة ، ويعمل بها أكثر من ٨٠٪ من التعداد السكانى، وكانت حتى قبيل الغزو الروسى تتمتع بالاكتفاء الذاتى من المواد الغذائية.

ويأتى الفصل السابع أهم فصول الكتاب ؛ إذ يدور حول محاور مهمة وهى:

انفصال أفغانستان عن إيران بمقتضى معاهدة باريس ، الأمر الذى كان له تبعاته ، إذ عمل الإنجليز على تنمية نفوذهم فى الهند، وكان هذا غاية ما يطمح إليه

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٣٢٨.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٣٢٨.

(٣) البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ، الجماهر فى معرفة الجواهر، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٥هـ، ص ١٣٠ .

(٤) لسترانج (كى) بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م، ص ٣٨٩.

الجنرالات والساسة الإنجليز ، وهو أن تنفصل أفغانستان عن إيران وتصبح مانعا طبيعيا يحول دون هجوم برى على الهند[١].

ثم تحدث عن الغزو السوفيتى لأفغانستان ، وما خلفه من دمار وتشريد، هذا الغزو الذى أفرزته عوامل إقليمية ودولية ، إذ كان السوفييت يرون فيه طريق الوصول إلى باكستان والاقتراب من المحيط الهندى والخليج العربى ومنابع البترول، بكل ما يحمله ذلك من تهديدات للغرب والولايات المتحدة ، وفى الوقت نفسه يرمى إلى احتواء الصين للحيلولة دون استمرارها فى عرقلة استراتيجيته فى ممارسة النفوذ والتوسع الإقليمى[٢] ، وقد أسفر التدخل السوفيتى فى أفغانستان عن كثير من التداعيات ؛ منها ما كان فوريا عقب التدخل مباشرة ، ومنها ما كان آجلا أفرزته الأحداث الداخلية والإقليمية والدولية ، وأدى بدوره إلى إعلان السوفيت عن رغبتهم فى الانسحاب من أفغانستان.

وكان من أبرز هذه التداعيات الخسائر الفادحة فى الأرواح ، والتى وصلت إلى مقتل مليون مواطن أفغانى ومقتل ١٠٠ ألف من رجال المقاومة الأفغانية. أما عن الجرحى ومن أصيبوا بعاهات فإن عددهم يفوق عدد القتلى بكثير ، فضلا عما أصاب البنية التحتية من خراب وتدمير للمدن وإبادة عشرات القرى عن بكرة أبيها[٣].

كما جاء تأثير التدخل السوفيتى مزدوجا على حركة المقاومة ذات الطابع الإسلامى ، إذ أسهم هذا التدخل فى تقوية نظام الحكم الذى كاد أن يسقط ، وأبعدهم بدوره عن الانتصار الذى كاد أن يتحقق لهم فى مواجهة الحكومة الأفغانية فى عهد

---

(١) عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة١٩٩١م ، ص ٣٥٩ – ٣٦٨.

(٢) Noncy Rebody Newell , Richards . Newell the struggle for Afghanistan U.S.A Ma - Cornell University press , 1981 .p.156

(٣) المسلمون فى أفغانستان ، ص ٨٥ – ٩٨ . وانظر: لارى جونسون القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، مركز الدراسات الآسيوية ، القاهرة١٩٩٩ م ، ص.٢١٠ .

حفيظ الله أمين" ، إلا أنه على الجانب الآخر أوجد قوى جديدة متعاطفة مع المقاومة الإسلامية.

تسبب الاحتلال السوفيتي في طرد أبناء أفغانستان وهجرتهم إلى دول الجوار؛ إذ وصل عدد المهاجرين الأفغان إلى أكثر من خمسة ملايين وأغلبهم من الولايات الشرقية، وقد اتجه منهم إلى باكستان نحو ثلاثة ملايين ، ونحو مليونين إلى إيران ، ومائة وخمسين ألفا إلى الغرب ، وخمسين ألفا إلى الجزيرة العربية ، وحوالى عشرة آلاف إلى تركيا. ولا يتوقف الأمر عند حد الهجرة، بل يضاف إليه ما ترتب على ذلك من تردى الأوضاع المعيشية بحيث أصبحوا مصدر قلق إقليمي ودولي[(١)]. وتسبب خروجه أيضا في عدم استقرار سياسة " الوفاق الوطني " و ظهور الاختلاف بين " المجاهدين " ، وترتب عليه ضياع روح الجهاد، والفشل في مسألة إعداد نموذج للحكومة الإسلامية المنتظرة (والمنبثقة من الحركة الإسلامية الأصلية) ، والسعى من أجل تحقيق ما يمكن أن يطرح بوصفه حكومة إسلامية أو نظرية ثورة إسلامية. وبناء على هذا فإن الكثير من المحاربين والمجاهدين السابقين إما أنهم عادوا إلى معرفة تقليدية في هذه اللعبة السياسية ، أو أنهم اتجهوا إلى حكومة " أصولية " ونظرة دينية ، والحركة الأولى كانت تشجعها التصرفات السياسية التقليدية الثابتة ، والحركة الثانية إنما هى نتيجة لظهور التيار الوهابى النشط.

ثم يأتى الفصل الثامن ، وفيه يتحدث الكاتب عن الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان. ويبدو من موقعها أنها استقرت بحدودها الحالية لتكون دولة توازن بين قوى كبرى تحيط بها وتشكل مانعا طبيعيا أمامها ؛ فروسيا قد صدمت فى توسعها جنوبا على حساب الدولتين العثمانية والفارسية على مدى ثلاثة قرون ، ثم بريطانيا والصين فى منتصف القرن التاسع عشر. ولتبادل المصالح نجد أن روسيا استقرت

---

(١) محمود شاكر ، التاريخ المعاصر إيران وأفغانستان، بيروت ١٩٩٥، ص ٢٩٢، بتصرف .

حدودها عند نهر جيحون مقابل انسحاب بريطانيا من أفغانستان ، وأخذت أفغانستان هضبة "بامير" وممر "واخان" الإستراتيجي كمخرج للصراع البريطاني والصيني والروسي.

وقد تسبب وضعها الجغرافي والاستراتيجي في العديد من الإشكاليات والتعقيدات التي حَرَمَتْها والمنطقةَ من الاستقرار، فنجدها ليست في وحدة جغرافية طبيعية أو سكانية ، إذ تضم امتدادات جغرافية وبشرية للدول المجاورة(باكستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وإيران، والصين) فأقاليم هذه الدول تلتصق بالمجال الأرضي الأفغاني التصاقا يؤدي بالضرورة إلى تداخل مصالحها القومية وتشابكها، وهي بالتالي مصالح ترتبط ارتباطا مباشرا بسيادة هذه الدول على مجالها الإقليمي.

من ناحية أخرى فإن الوضع المتميز الذي تحظى به علاقات الجوار إنما ينبع من ارتباطها الوثيق بالأمن الإقليمي أو القومي للدول. وبحكم أن صيانة الأمن الإقليمي لهذه الدول تقتضي مراقبة ومتابعة كل ما يجري على الأرض الأفغانية ، كما تقتضي التدخل في شئونها الداخلية كلما لزم الأمر، فقد ظلت وستظل أفغانستان بؤرة توتر وقلق لكل ما يجري ويدور في آسيا الوسطى[١].

وفي الفصلين التاسع والعاشر جاء الحديث مقتضبا عن السياسة الخارجية الأفغانية وعلاقة أفغانستان بدول الجوار ، وهي التي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وتتصل أقاليمها اتصالا بريا مباشرا بأفغانستان، فتزداد الأعباء والمسئولية الملقاة على عاتق أفغانستان فيما يتعلق بإدارة علاقاتها مع دول الجوار، التي تتسم عادة بدرجة عالية من الأهمية والحساسية، نظرا لارتباطها الوثيق بحاجة

---

(١) Oscar Schachter, The united nation and internal conflicts in G.N law and civili-war in the modern world, 1974, p .401.

الدول الماسة إلى المحافظة على وجودها وكيانها الإقليمي. ونظرا لأهمية هذا النوع من العلاقات فإنها كما تتطلب الالتزام بأقصى درجات ضبط النفس للحفاظ على حد أدنى من علاقات حسن الجوار، فإنها تستلزم أيضا الالتزام بأقصى درجات الحرص والحذر، والأخذ بأساليب المراقبة والمتابعة لكل ما يجري على أرض الدول المجاورة، والتعامل الوقائي مع كل ما من شأنه تهديد الكيان الإقليمي.

إن موقع أفغانستان كان - ولا يزال - أحد المصادر الرئيسة لتأجج هذه الصراعات المحلية وسط مجموعة من الدول تسابقت فيما بينها في تنافس شديد على توفير الدعم المادي والعسكري لطوائف عرقية ومذهبية تعد امتدادا لنظائر لها بكل منها.

وثمة مدخلان أساسيان يمكن من خلالهما دراسة علاقة أفغانستان بدول الجوار الإقليمي الست، وبيان مدى تأثيره على أمنها الإقليمي. أولهما طول الحدود المشتركة، وثانيهما التداخل العرقي على جانبي هذه الحدود. وكلاهما يرتبط بالآخر؛ إذ كلما طالت الحدود زاد التداخل العرقي عبر هذه الحدود المشتركة، وزادت معه المصالح المتشابكة التي تدخل في صميم الأمن القومي أو الإقليمي؛ فالمشكلة البشتونية بين باكستان و أفغانستان إحدى معضلات الأمن القومي الباكستاني ، إذ إن هذه المجموعة العرقية التي تمثل (٤٤ ٪) من مجموع سكان أفغانستان تمتد كتلتها عبر خط الحدود المعروف بخط دوراند لتتركز على الجانب الباكستاني بمايعادل (٥ ,١٣٪) من إجمالي عدد سكان باكستان. ونتيجة الحروب والمجاعات التي شهدتها أفغانستان على مدى العقدين الأخيرين كانت هذه المنطقة وغيرها من المناطق الغربية الباكستانية مصبا لروافد اللاجئين الأفغان الذين قدر عددهم بأكثر من ثلاثة ملايين لاجئ في عام ١٩٩٠م، معظمهم من البشتون.

ووفقا لهذا الطرح فإن أمن باكستان واستقرارها يوجب اهتماما بالتفاعلات الداخلية في أفغانستان ، وهذا ما يفسر دعم باكستان ومساندتها لحكومة طالبان البشتونية واعترافها بها، وبعد سقوطها لم تتخل عن التزامها بحماية حق البشتون

التاريخى فى السلطة، مستقلة فى ذلك تأثيرها الجيوبولتيكى تجاه أفغانستان، وترمى من وراء ذلك إلى أمـرين: الأمـر الأول ضـمـان عـدم سـيطرة الأعـراق المناوئة لهـا كـالطاجيك والأوزبك ـ على مقـاليد السلطة فتـأتى معهـا رياح المطالبة بضـم إقليم "بشتونستان". أما الأمر الثانى فإن سيطرة البشتون على السلطة يضمن لباكستان استخدام الأراضى الأفغانية فى مساندة الانفصاليين الكشميريين ، كما يتيح لها استخدام الأراضى الأفغانية أيضا معبراً للتجارة بينها وبين جمهوريات آسيا الوسطى التى ينتظرها مستقبل اقتصادى مشرق بفضل بترول وغاز بحر قزوين[١].

ثم تأتى إيران وتلعب هى الأخرى الدور نفسه مع المجموعات العرقية التى تنتمى إلى أصول لغوية ومذهبية كالهزارة والطاجيك والقزلباش والإيماق، وذلك لتأمين عمقها الاستراتيجى فى الأراضى الأفغانية التى تشترك معها فى حدود طويلة نسبيا ،ولهذا وقفت إيران وبقوة إلى جانب التحـالف الشمـالى المعارض بقيادة "ربانى و "دوستم" الذى يضم الطاجيك والأوزبك والهزارة فى صـراعـه مع حـركـة طالبـان المناوئة للفكر الشيعى، ثم قدمت تسهيلات سخية لأمريكا لتغيير هذا النظام للغرض نفسه أيضـا، كمـا سعت فى أن يكون لهذه الفصـائل تمثيل مؤثر فى حكومة "حـامـد قرضـاى"بما يضمن لها المحافظة على مصالحها الاستراتيجية خاصة فيما يتعلق بحقوقها فى مياه "نهر هيرمند" الذى منعتـه حكومـة طالبـان عن إيران بسبب دعمـهـا لقوات التحـالف ووقوفها منها موقف المعارض.

ويأتى الدور الطاجيكى مشابها للدور الإيرانى ، إذ لعبت السياسة الطاجيكية دورا أساسيا فى توطيد نفوذها وتأمين عمقها الإقليمى فى أفغانستان ؛ وذلك بدعم الجماعات الطاجيكية ورعاية شئونها، خاصة وأن هذه الفصائل تمثل ٢٥٪ من مجموع السكان ويعيشون فى المناطق الشمالية والشرقية المتاخمة لحدودها الطويلة نسبيا مع

---

(١) محمود توفيق ، محددات أداء النظام السياسى فى أفغانستان، ط الكويت، رسائل جغرافية، نوفمبر ٢٠٠٢، ص ٢٧ .

أفغانستان، ويسيطرون على بعض الأودية المهمة كوادى "بانشير"، وهو الممر الاستراتيجى المؤدى إلى نفق ممر "سالانج" الذى يصل كابل وجنوب أفغانستان بشمالها فى شهور الشتاء. ولهذا ساندت طاجيكستان وبقوة التحالف الشمالى ضد طالبان وتنظيم القاعدة ، وقدمت تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بغرض القضاء على نظام طالبان والقاعدة خشية على نفسها من المد الأصولى الإسلامى.

ثم تأتى "تركمانستان" وقد ساندت هى الأخرى التحالف الشمالى وقدمت تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة فى إطار حملتها العسكرية على طالبان والقاعدة، وذلك بغرض الحصول على المساعدات الاقتصادية كهدف مباشر من أمريكا، وتمكين العناصر التركمانية والأوزبكية من المشاركة المؤثرة فى حكومة موالية لها فى "كابول" سعيا وراء تنفيذ مشروعها الخاص بمد أنبوب الغاز إلى باكستان عبر الأراضى الأفغانية[1].

ولعبت أوزبكستان هى الأخرى الدور نفسه بغرض الحفاظ على كيانها الإقليمى ودعم أمنها القومى ، لتدعيم صلاتها بالجماعات الأوزبكية الأفغانية وتفعيل مشاركتها فى السلطة، وسارعت بتقديم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة بهدف القضاء على نظام طالبان الذى يشكل تهديدا لمصالحها فى أفغانستان ولنظامها السياسى الذى يعارض النموذج الإسلامى الأصولى فى الحكم.

وأخيرا الصين ، وحيث إنها تمس الأراضى الأفغانية مسا خفيفا عبر ممر جبلى وعر يسمى "واخان" يبعد مسافة ٣٢٠ك.م عن الكتلة السكانية الأفغانية ، وتسكنه قبائل "القرقيز"، فإن فرصة التداخل بين البلدين تعتبر معدومة، خاصة فى ظل السياسة الصينية القائمة على "انتظر وراقب" ؛ حيث إنَّ اهتمامها بأفغانستان من قبيل لعبة توازن القوى، إذ يتيح الوجود العسكرى الأمريكى فى أفغانستان السيطرة

---

(١) المصدر السابق ، ص٢١ .

على ست دول فى وقت واحد ، ويجعلها على مقربة من كل من القوى النووية الأربع فى آسيا(الصين وروسيا وباكستان والهند) والثروة النفطية فى بحر قزوين ؛ الأمر الذى يشكل تهديدا وإخلالا مؤثرا فى توازن القوى.

وبناء على هذا فإن موقع أفغانستان المحاصر والمكشوف أمام دول الجوار يضعها فى حذر بالغ ويفرض عليها حنكة شديدة فى علاقاتها مع دول الجوار، ويكون لزاما على حكومة "حامد قرضاى" أو غيرها أن تتمتع بقدر من المصداقية ومساحة اتفاق فى علاقاتها مع دول الجوار ، وإلا تواجه انقلابات وثورات بفعل تداعيات العرقيات والبيئة الجغرافية التى تمثل هى الأخرى مصدر تهديد دائم لاستقرار بقاء النظام، بجانب البيئة العامة للنظام السياسى ، وهى المسئولة عن الأحداث القومية والعرقية التي بدأت منذ قرن وسوف تستمر لأجل غير مسمى .

وفى النهاية فإنه على الرغم من أن نظام الحكم فى أفغانستان حاليا (حكومة قرضاى) قد غير خطة عمله (غالبا إلى سياسة تقليدية أكثر منها قائمة على الأيديولوجية) ، فإن الفِرَق الدينية السياسية لا تزال باقية بصفتها عاملاً أساسيا لتكامل الأوضاع فى أفغانستان ، والخطر الوحيد الذى يهددها هو أن الدول الأجنبية تستغلها كقطع الشطرنج فى المنافسات الجغرافية السياسية الإقليمية.

أحمد محمد نادى

الفصل الأول

الجغرافيا الطبيعية لأفغانستان

أفغانستان أرض جبلية حبيسة الجفاف والتصحر، تقع هذه الأرض في منتصف الكرة الشمـالي و نصف الكرة الشرقي، داخل نطاق حدود منطقة آسيا الوسطى، تبلغ مـسـاحتها ٦٤٩,٠٠٠ كيلو متر مربع، وقد ذكر في مصادر أخرى أنها تتراوح ما بين ٦٢٠,٠٠٠ و ٧٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع.

ويبلغ طول الحدود الأفغانية مسافة ٥٨٠٠ كيلو متر، يحدها من الشمال طاجيكستان، وأزبكستان، وتركمانستان أيضا، ويبلغ طول هذا الحد ٢٣٨٤ كيلو متراً، ويحـدها من الشرق والجنوب باكستان، ويبلغ طول هذا الحد ٢٢٤٠ كيلو متراً تقريباً ، ويحـدها من الشمال الشرقي عن طريق "مضيق واخان[*] ولاية "السين جيانج" الصينيةُ[**]، وذُكرت مسافة هذا الحد في المصادر بشكل متفاوت، وأن مسافته تتراوح ما بين ٧٣ و ٩٣ ك.م، وتشترك من ناحية الغرب مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهذا الحد يصل إلى ٩٠٠ ك.م تقريبا (ما بين ٨٥٥ و ٩٣٠ ك.م) كما يبدأ هذا الحد من جبل" ملك سياه" في نقطة الحدود المشتركة بين إيران وأفغانستان وباكستان، ويمتد حتى فم "ذو الفقار" وهي نقطة الحدود المشتركة بين إيران وتركمانستان وأفغانستان، وتشترك أفغانستان وإيران عند إقليم خراسان في حد تصل مسافته إلى ٦١٩ ك.م.

(*) يبلغ طول مضيق واخان ٣٢٠ ك.م، ويبلغ عرضه في أضيق النقاط ١٦ ك.م، ويعد المنفذ الوحيد لاتصال أفغانستان بالصين الشعبية. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان، چاب أول، ١٣٧٠هـ. ش، ص ٩٨ . (المترجم)

(**) أعطى لها موقعها أهمية خاصة : نظرا لمجاورتها لروسيا في الشمال، والصين في الشرق، وباكستان في الجنوب الشرقي، وإيران في الغرب. انظر. المصدر السابق ص٩٩ . (المترجم)

وتبلغ أكثر المسافات بعدا بين شرق أفغانستان وغربها حوالى ١٢٤٠ ك.م، ومن الشمال حتى الجنوب ٨٨٥ ك.م.

وتبعد أفغانستان جدا عن المياه الدولية، وأقرب نقاطها إليها عند حدودها الجنوبية عن طريق باكستان، والتى تبعد حوالى خمسمائة ك.م.

والخلاف الحدودى الأفغانى الباكستانى خلاف رئيسى، تأتى على رأسه مشكلة منطقة "البشتون" و"البلوش"، وهناك خلاف مستمر مع إيران بسبب تقسيم مياه نهر "هيرمند"، كما أن مشكلة بلوشستان من الموضوعات الخلافية المنتهية مع إيران أيضا.

وتغطى الجبال قسمًا كبيراً من أرض أفغانستان، وذلك فى شمال البلاد وشرقها، وتمتد جبال "الهندكوش" بطول ستمائة ك.م، وعرض ١٠٠ك.م، وتمر من وسط أفغانستان من ناحية الشمال الشرقى صوب الغرب والجنوب الغربى للبلاد، هذه الجبال تحتوى على أكثر من نصف أرض أفغانستان، وتجعل لمدن "كابل" و"قندهار" و"هراة" أهمية استراتيجية كبيرة، ويبلغ ارتفاع هذه الجبال من ٦ إلى ٧ آلاف متر، وتقع فى الأقسام الشرقية الأفغانية، ويقل ارتفاعها تدريجيا كلما اتجهنا ناحية الغرب، كما يقل ارتفاع الجبال والتباب عند الاقتراب من الحدود الإيرانية.

ويغطى الثلج ارتفاعات "الهندكوش" دائمًا، حتى فى أثناء فصل الصيف فإن الثلج يغطى قممها أيضا، ويوجد فى وسط ارتفاعات "الهندكوش" أودية عميقة، ذات مناخ طيب، وتربة خصبة تساعد على تربية الماشية وإنتاج الفاكهة.

وأفغانستان أرض المتناقضات، جبالها شاهقة، وأوديتها عميقة، وأمطارها ربيعية وصيفها جاف وحار، وشتاؤها بارد جدا، وتغطى المرتفعات بالثلج طوال العام، وأراضيها منخفضة وجافة ومحرقة، وتشمل هذه المتناقضات الحياة الاجتماعية أيضا.

وأرض أفغانستان كانت على امتداد التاريخ معبراً للهجوم على الهند، وقد سلك دروب هذه الأراضى وصولا إلى الهند محاربون كثيرون أمثال "الإسكندر

المقدونى"(*) و"محمود الغزنوى"(**)، و"تيمور" وخلفاؤه، و"نادر شاه"(***)، إضافة إلى هذا فقد كان يمر من أفغانستان (من الصحراء الشمالية) خط سير القوافل التجارية شرقا وغربا قبل كشف الطرق البحرية فى الأزمنة الحديثة، وزيادة الخطوط الجوية، كما كانت هذه الأرض موضعًا لعبور قوافل الحرير، والتى كانت تذهب عادة من طريق "قندهار" إلى "الهند" ومن طريق "بلخ" إلى "الصين". وبعد اكتشاف طرق الملاحة البحرية وزيادة الخطوط الجوية باتت أفغانستان مثل سائر بلاد آسيا الوسطى والغربية منطقة منغلقة لا يدخلها أجنبى أبداً، وتعد المرتفعات الأفغانية درعا استراتيجيا منيعا بين آسيا الشمالية وآسيا الجنوبية.

أعلى نقطة فى أفغانستان فى جبل "بابا"، ويصل ارتفاعها إلى خمسة آلاف ومائة وثلاثة وأربعين مترا، وسائر الجبال المهمة هى: هندكوش وسليمان وسياهكوه، (أى: الجبل الأسود)، وسفيدكوه؛ (أى: الجبل الأبيض).

(*) دخل فارس عام ٣٣٠ ق.م فى عهد داريوش الثالث، وحل نظام ملكها بعد سيطرته على إيران . ثم يمم وجهه شطر "كابل" عن طريق " قندهار" وغزنة فمني بهزيمة ساحقة ، ومقاومة ضارية من الشعب الأفغانى الذى أمطره بوابل من الثورات العنيفة والكفاح المرير ، توفى فى ريعان شبابه عام ٣٢٣ق . م بعد عودته إلى كابل . أحمد على كهزاد، تاريخ أفغانستان، جلد دوم ص ١٤٥. وانظر: ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ترجمة د. أحمد نادى ، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٣٠ . (المترجم)

(**) كان زعيما بارزا من خيرة القادة والزعماء، و كان حاكما حازما ، وجنديا عبقريا من الطراز الأول ، اتصف بالعدالة ، ورعاية الفنون والعلوم ، لذلك عده المؤرخون من عظماء الملوك . نشر الإسلام فى بلاد الأفغان كلها، وفى بلاد الهند التى خرج إليها غازيا مجاهدا سبع عشرة مرة. أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية،ص٩٨، وانظر: المسلمون فى أفغانستان،ص٤٩ . (المترجم)

(***) جاء فى الكتاب الذى دون مآثره أنه ولد فى سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م لأسرة متواضعة تتبع فصائل الأفشارية التى كانت تركستان موطنهم عندما استولى عليها المغول ، فرحلوا عنها واختاروا الإقامة فى أذربيجان . ميرزا مهديخان، جهانكشاى نادى، تحقيق: سيد عبد الله أنور، طهران ١٣٤١ هـ ش، ص ٢٦، ٢٧ . (المترجم)

المناخ

أفغانستان لا تطل على البحار المفتوحة حتى تستفيد من موانيها فى زيادة اقتصادها وتنميته، أو تنعكس على مناخها فيصبح رطبا، وليس بها بحيرات كبيرة كى تستفيد منها فى النمو والتوسعة.

والجميل فى الطبيعة الأفغانية أن مرتفعاتها شاهقة، وأنهارها تنبع من عيون فيها، وتنوع المناخ مشهور فيها أيضا، ويشبه إلى حد ما مناخ "إيران"، ففصول الشتاء فيها باردة جدا (تصل إلى عشرين درجة تحت الصفر)، وفصول الصيف فيها حارة جدا (تصل إلى ٤٠ درجة فوق الصفر)، والمناخ متفاوت من إقليم لآخر، ومن مدينة إلى مدينة أخرى، والأمطار متفاوتة أيضا من مكان لآخر، ويتراوح معدل سقوطها ما بين ١٠٠ و٤٠٠ م، ويتراوح متوسط الأمطار فى المناطق الشرقية ما بين ٢٥٠ و٤٠٠م، وفى المناطق الغربية والجنوبية الغربية ما بين ١٠٠ و١٥٠م، وفى المناطق الوسطى بسبب وجود المرتفعات فإن الأمطار أغزر والهواء أكثر برودة من كل النواحى ، ولكن فى المناطق الجنوبية والغربية بسبب قلة الأمطار فإن الهواء أكثر حرارة، والصيف أكثر حرارة وجفافا، والشتاء أكثر اعتدالا، ويحول الثلج وشدة البرد فى المناطق الجبلية دون اتصال القرويين والقبائل على مدى العام بأكمله، ولا يكون مقصورا على نصف العام فقط ؛ ولهذا فإن الثلج وشدة البرودة تسبب التشتت وانفصال السكان والقبائل عن بعضهم البعض، إلى جانب القحط والعادات القبلية والشعبية.

وقد كان "ظهير الدين محمد بابر"(*) حاكما على أجزاء من أفغانستان حتى عام ٩٣١ هـ وتحرك من هناك قاصدا احتلال الهند. جاء فى مذكراته المعروفة بـ "مذكرات بابر"

(*) بابر أو بير ، هو الاسم الذى اشتهر به ، وهو يعنى النمر. واسمه الحقيقى " ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا " ولد فى ٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م، توفى عنه أبوه صغيرا ليصبح على عرش فرغانة، يعد من عظماء التاريخ الإسلامى بصفة عامة، تاريخ الهند بصفة خاصة. انظر: الشعوب الإسلامية ، ص٥٠٩ ، ص٥١٠ . (المترجم)

(رسالة بابر) التى كتبت باللغة التركية الجغتائية: "يمكنكم أن تذهبوا من كابل مسيرة يوم حتى تذهبوا إلى المنطقة التى لا يسقط فيها الثلج مطلقا، لكنكم تستطيعون فى خلال ساعتين أن تذهبوا إلى المنطقة التى لا تذوب ثلوجها مطلقا، حتى فى بعض فصول الصيف المحرقة".

الأنهار والمياه (*)

الأنهار الأفغانية تنبع من الجبال الوسطى والمناطق الشرقية للبلاد، وتجرى تجاه الغرب والجنوب، وبسبب الارتفاع الكبير للجبال والمنحدر نسبيا، ثم الارتفاع السريع مرة أخرى فإن سرعة مياه الأنهار كبيرة جدا ؛ ولهذا السبب فهى مناسبة جدا لتوليد طاقة كهربائية، وأهم الأنهار الأفغانية هى على النحو التالى:

- نهر "آمو" أو " جيحون"(**)، وهذا النهر ينبع من جبال "بامير" بطول ٢٥٠٠ ك.م ويصب فى بحيرة" آرال" حيث يجرى بطول ١١٢٦ ك.م فى الأجزاء الشمالية الأفغانية مع حدود جمهوريات الطاجيك، والأزبك وجزء من تركمانستان، وأجزاء من هذا النهر صالحة لمرور السفن. ويتسع عرضه فى بعض المناطق (حتى حدود ٥ ك.م) مما يصعب حركة السفن فيه. و يقع على سواحل هذا النهر ميناء " شيرخان" وميناء "حيرتان"، وكان يَتِمُّ عبر هذا الطريق تصدير أو توريد السلع الأفغانية إلى الاتحاد السوفيتى السابق ودول آسيا، ونهر جيحون به مساقط مياه متعددة يمكن الاستفادة منها فى توليد الطاقة الهيدروليكية.

(*) قسم الجغرافيون أنهار أفغانستان إلى ثلاث مجموعات هى : مجموعة نهر السند وأهمها نهر كابل وروافده، ومجموعة نهر هلمند وأهمها نهر هلمند وروافده ، ومجموعة نهر جيحون " آموديا " .انظر: العلاقات الأفغانية الروسية، ترجمة: د. عفاف زيدان، طبع الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٠ . (المترجم)

(**) آمو : نهر عرفه اليونان باسم "أكسوس" وعرفه العرب باسم "جيحون" وهو أهم الأنهار فى آسيا الوسطى، وينبع من تلال بامير، ويصب فى بحيرة أورال ، ولقد أطلق العرب اسم بلاد " ماوراء النهر " على البلاد التى تقع خلف هذا النهر، وهى البلاد الإسلامية التركستان، إحدى دول الكومنولث. (المترجم)

– نهر "هيرمند"(*) (هلمند)، وينبع من جبال "بغمان" فى غرب كابل، ويشكل جزءاً صغيراً من الحدود الإيرانية الأفغانية المشتركة فى الجنوب الغربى لأفغانستان، ويبلغ طول هذا النهر ١٤٠٠ ك.م.

– نهر "هريرود"، وينبع من جبل "بابا" فى وسط أفغانستان، ويمر من هراة، ويشكل جزءاً صغيراً من الحدود الإيرانية الأفغانية فى شمال غرب أفغانستان. هذا النهر يمر من أراضى تركمانستان، ويجرى فى صحراء تركستان، ويبلغ طول نهر "هريرود" ١٢٣٠ك.م. وهو مثل "آموديا" به مساقط مياه متعددة يمكن الاستفادة منها فى توليد طاقة كهربائية مناسبة.

– "كابل رود" (نهر كابل)، وينبع نهر كابل أيضا من الجبال الشرقية لأفغانستان، ثم يمر من وسط مدينة "كابل" ومدينة "جلال آباد" مرورا بالأرض الباكستانية، ويصب فى نهر السند.

وباقى الأنهار الأفغانية هى مرغاب(**)، وكندوز، وأرغنداب، وكوشك، وفراه، وبل خمرى، وبنجشير ... إلخ.

ومنابع المياه الأرضية الأفغانية غنية إلى حد ما؛ ففى مدينة "كابل" الماء موجود على عمق يتروح مابين ثلاثة وأربعة أمتار، والاستفادة من مصادر المياه الأرضية

(*) تمثل مياه هذا النهر نقطة خلاف كبيرة بين أفغانستان وإيران، فمن المعروف أن هناك اتفاقية قد تم توقيعها بين الدولتين بخصوص وضع مياه هذا النهر سنة ١٩٥١م، وتنص على أن لإيران حقا قانونيا فى مياه هذا النهر، إلا أن الحكومة الأفغانية تريد أن تتجاهلها وتلغيها، وقامت حكومة طالبان بمنع إيران من الحصول على حصتها من مياه هذا النهر. وبعد انهيار حركة طالبان أعيد فتحه مرة أخرى أمام إيران. إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، وأعيد إغلاقه مرة أخرى. روزنامه همبستگى ٢٠٠٢/١١/٩ . (المترجم)

(**) نهر مرغاب ، ينبع من جبال فيروز كوه، ويبلغ طوله ستمائة ك . م. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان ، ص ٩٥ جاب أول ١٣٧٠ هـ . ش ، دفتر مطالبات سياسى وبين الملى ، وابسته به وزارت أمور خارجة جمهورى إسلامى إيران . (المترجم)

قليلة بسبب القدرات الفنية المتواضعة، والناس فى أكثر الأماكن الأفغانية يواجهون مشكلة صعوبة توفير المياه سواء للشرب أو للزراعة، حتى فى مدينة "كابل" يواجه كثير من سكان المدينة صعوبة فى توفير المياه ، فمعدل الحصول على مياه الشرب النقية يمثل ٣٦٪ لسكان المدن ، و١٨٪ للسكان الريفيين ، وهذا المعدل يمثل ٢٢٪ من المجموع العام للسكان(*).

(*) ورغم أن أفغانستان منطقة جبلية فإن بها سهولاً ووديانًا من أخصب المناطق الزراعية ، بسبب كثرة الأنهار، وبتوافر فيها المنتجات الزراعية والمعدنية والغابات والحدائق الوفيرة، وبالأخص حدائق العنب، والمياه العذبة والجداول والشلالات الهادرة كشلالات يغمان ، بالإضافة إلى الأشجار ذات الظلال الوارفة، والسهول الفسيحة، والفواكه الكثيرة، "لا مقطوعة ولا ممنوعة"، والجو الجميل، والجبال المكسوة بالجليد . (المترجم)

الفصل الثانى

الجغرافيا البشرية والاجتماعية لأفغانستان



يتجاوز تعداد السكان فى أفغانستان وفقا لإحصائية ١٩٩٢م خمسة عشر مليونا، ويضاف إلى هذا الرقم أكثر من خمسة ملايين مهاجر أفغانى يعيشون فى كل من إيران وباكستان، أى أن إجمالى العدد يبلغ عشرين مليون نسمة، ويصل معدل النمو السكانى من ٢٪ إلى ٣٪ ، ويمكن القول بأن الانفجار السكانى قريب الحدوث. والكثافة من ٩ أفراد إلى ٣١ فرداً فى كل كيلو متر مربع، وأكثر المدن الأفغانية ازدحاما وفقا لإحصاء ١٩٩٢ على النحو التالى:

كابل ١٠٣٦٤٠٧	أفراد
قندهار ١٩١٣٤٥	فرداً
هراة ١٥٠٤٩٧	فرداً
مزار شريف ١١٠٣٦٧	فرداً
جلال أباد ٥٧٨٢٤	فرداً
كندوز ٥٧١١٢	فرداً
بغلان ٤١٢٤٠	فرداً

والمدن السالفة هى أكثر المدن السكانية ازدحاما، وفيما عدا "كابل" التى تشير الدلائل الأمنية إلى تزايد عدد سكانها إلى قرابة ٢ مليون فرد فى السنوات الأخيرة (قبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية)، فإن بقية المدن لا يوجد فيها تغيير محسوس يذكر، وبخلاف المدن سالفة الذكر فإن سائر المدن الأخرى بها عدد محدود من السكان.

توزيع السكان

١٦ ٪ سكان مدن

٧٣ ٪ سكان قرى

٨ ٪ سكان مخيمات

ويوجد فى أفغانستان ٢٠٠٠٠ قرية، ويتراوح عدد القبائل ما بين عشر قبائل وخمس عشرة قبيلة، وتشتغل الأغلبية بالزراعة والصيد ، ولهذا فإن المجتمع الأفغانى مجتمع قروى. ويبلغ متوسط عمر الإنسان من ٥ إلى ٤١ عامًا، كما تصل الوفيات بين الأطفال من ١٨٢ إلى ٢٠٠ طفل فى كل ألف . وفى عام ١٩٦٠ بلغ متوسط عمر الإنسان ٣٤ عاما ليصل عام ١٩٧٩ إلى ٤١ عامًا وانخفضت فى السنوات التالية للفترة السابقة، ولكن الإحصائية لم تذكر العدد. وبسبب النظام القبلى القوى والعادات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة فإن حركة المهاجرين من الدولة وإليها محدودة، وأكثر من أربعة أخماس السكان يعيشون فى المكان نفسه الذى يولدون فيه، أو داخل الحدود الجغرافية للقبيلة على أكثر تقدير ؛ فينتقلون بضعة كيلو مترات ما بين هذا الجانب والجانب الآخر، فى إطار محيط ضيق للقبيلة . وهذا يرجع للأسباب التالية:

١- أن الطرق المناسبة لحركة سير السيارات غير موجودة ؛ فأكثر الطرق بدائيةٌ وأغلبها محليةٌ ، وتغلق فى فصل الشتاء.

٢- أنه بسبب افتقاد السيارة والدخل المحدود فإن الحياة فى المدن صعبة.

٣- أن وسائل المواصلات غير مناسبة وغير كافية.

٤- أن كل قبيلة لا تقبل أفراد القبائل الأخرى ؛ ولهذا فإن الزواج يدور فى فلك كل قبيلة دون غيرها .

الطوائف والقبائل

يرى مجموعة من المحققين أن أفغانستان عبارة عن متحف من الطوائف والملل المتنوعة، يعيش فى هذا المتحف الكبير السكان القدماء مع العرب القادمين. وينقسم السكان الحاليون إلى فرعين رئيسيين:–

(١) العنصر الأبيض ويشمل :

البشتون، والتاجيك، والهزاره، والنورستان .

(٢) العنصر الأصفر ويشمل :

الأوزبك، والتركمان، والقرقيز، والمغول .

وأهم الطوائف العرقية الموجودة فى أفغانستان هى :

البشتون، والهزاره، والأوزبك، والتركمان، والبلوش، والقرقيز، ثم القزلباش، والهنود والسيخ، والكشميريون، والإيماق، والفرس، والصهرانيون، والهراة، والهراهيون، والبراهيون، والنورستانيون، والقزاق .

وأكثر الفصائل من حيث عدد السكان هى :

١) البشتون ٥ : ٦ مليون فرد .

٢) التاجيك ٣ : ٤ مليون فرد .

٣) الهزاره ٣ : ٤ مليون فرد .

٤) الأوزبك ١ : ٢ مليون فرد .

٥) الفرس ٦٠٠٠٠٠ فرد .

٦) الإيماق ٨٠٠٠٠٠ فرد .

٧) القزلباش ١٢٥٠٠٠ : ٦٠٠٠٠٠ فرد .

٨) التركمان ٢٠٠٠٠٠ : ٤٠٠٠٠٠ فرد .

٩) البراهيون ٢٠٠٠٠٠ فرد .

١٠) النوريستان ١٠٠٠٠٠ فرد .

١١) البلوش ٧٠٠٠٠ : ١٠٠٠٠٠ فرد .

البشتون EL Bashton

البشتون أولى الفصائل العرقية الأفغانية، وتنحدر من الفروع العرقية الآرية، ويعيشون فى الأجزاء الجنوبية لمحيط الهندكوش، وفى المناطق الوسطى الشرقية والجنوب الشرقى، خاصة فى محور "كابل – قندهار"، كما كانت تعيش أعداد منهم فى أماكن متفرقة من البلاد فى عهد "عبد الرحمن خان".

لغة البشتون أيضا من الأصول الآرية، ويرى أحد رجال البشتون الذى ألف قصة مزورة فى أثناء حكومة المغول فى الهند أن أصل نشأتهم بنو إسرائيل(*).

وينقسم البشتون إلى قسمين رئيسين:

١) غلجه زاى أو غيلزاى

٢) درانى، وقد كان اسمهم فى البداية الإبداليين

(*) وقد فند جمال الدين الأفغانى فى كتابه تتمة البيان هذا الرأى بقوله " والحق أن هذه الأمة من أصل إيرانى وأن لسانها مأخوذ عن لسان زندو استا، وهو اللسان الفارسى القديم، وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الآن، وأن متأخرى المؤرخين كفرنسيس لفورمان وغيره يؤيدون هذا الرأى " ثم يضيف قائلا: " لا يعنى وجود موطن باسم خيبر وجوب الظن بصحة هذه الرواية" . انظر : تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص ١٤٠ ، ١٤١ . (المترجم)

١) طائفة الغلجه يعيشون فى الشمال الشرقى لمنطقة البشتون (الشرق والشمال الشرقى لقندهار بالقرب من الحدود الباكستانية).

٢) الدرانيون: يعيشون فى غرب منطقة البشتون (غرب قندهار وبالقرب من الحدود الإيرانية، وفى القرن الحادى عشر الهجرى تخلت الحكومة الصفوية عن حكم هراة وكان هذا سببًا فى تقوية الفصيلة الأخرى (الغيلزاى) فى قندهار. بعد ضعف الحكومة الصفوية ثار الفيلزائيون بزعامة "محمود أفغان "ضد حكومة السلطان حسين (آخر سلاطين الدولة الصفوية)، واستولوا على العاصمة الصفوية لفترة وجيزة، ولكنهم أبيدوا بسرعة من قبل" نادر شاه" (مؤسس الدولة الأفشارية). وفى عام ١٧٤٧ م/ ١١٦٠ هـ.ش، وبعد مقتل " نادر شاه" ذهب "أحمد خان" الذى كان من قادته إلى "قندهار" وبرفقته أربعة آلاف من قواته الخاصة، وبعد أن استولى على تلك المدينة (قندهار) أقام أول حكومة لأفغانستان فيها، واضطر الغيلزائيون والإبداليون إلى الخضوع له.

وقد كان أحمد خان الإبدالى (الدرانى) من قبيلة "سدوزايى" إحدى قبائل الدرانيين، وكانت حكومة أفغانستان منذ عام ١٧٤٧م حتى ١٨١٨م تحت سيطرة هذه القبيلة، ومن عام ١٨١٨م كانت الحكومة فى يد قبيلة" باركزايى" الفرع الآخر لقبائل الدرانيين، ومنذ انقلاب ١٩٧٨م على يد "نور محمد تره كى" الذى خرج على حكومة الدرانيين، وانضم إلى الطائفة الأخرى طائفة البشتون ، يعنى أبناء الغلجه . وينتسب "تره كى " إلى هذه الطائفة، وبسبب اقتصار الحكومة عليهم كانت دائما تحدث بعض الصراعات القوية، وفى بعض الأحيان كانت تمتد إلى صراعات ضروس، وعلاوة على هذا فإن تاريخ البشتون ملىء بالصراعات والحروب والعداوات فيما بينهم بسبب المراتع وكسب النفوذ ؛ فقبائل مثل الدرانيين وأبناء يوسف كانت الصراعات فيما بينهم تدوم قرونا ، فقد كانت بينهم صراعات جذرية، وحتى الأسر البشتونية المختلفة كانت بينها الحروب والصراعات القبلية غير محدودة وغير مرتبطة بفترة زمنية معينة.

كتب الجنرال "ألفين ستون" فى كتابه عن البشتون، فوصفهم بالعبارات التالية(*):

"من عيوب البشتون الحقد والانتقام والحسد والطمع والحرص والنهم والعناد والاعتداد بالرأى، ومن جانب آخر فهم مولعون بالحرية، أوفياء للأصدقاء، محبون للاستقلال، كرماء، شجعان، متقشفون، مجتهدون، لديهم قدرة على التحمل، شديدو الحذر".

والبشتون لديهم غرور إلى حد ما بالنسبة لأصلهم ؛ ولهذا فإن البشتون معتدون بأنفسهم ، ولكن فى القرون السالفة خاصة فى أوائل القرن التاسع عشر وحتى اليوم حدثت تغيرات دقيقة.

والبشتون من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفى، ويوجد من بين طائفة البشتون شيعة أيضا يعيشون فى نواحى "بارا جنار"، "قيرا"، "سده"، "كوهات".

المشكلات السياسية والاجتماعية لسيادة البشتون

منذ عام ١٧٤٧م حتى انفصال أفغانستان عن إيران عام ١٨٥٧م لم يكن لمختلف القبائل والأقوام والفصائل الأفغانية دور مهم قط فى الحكومة المركزية التى تتشكل من الحكومة المحلية فى أفغانستان، فكانت إدارة الأمور مقصورة على البشتون، وهذا الأمر كان واحداً من جذور منازعات وصراعات الدرانيين فى أفغانستان، كما كان أيضا واحداً من أسباب عدم نمو الرشد بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الأفغانى.

وقد كان أعضاء الحكومة، وحكام جميع الولايات، وسائر الأماكن البارزة تحت سيطرة البشتون، ولهذا السبب فإن سائر القوميات والقبائل التى ترى نفسها

(*) جاءت هذه العبارات متواكبة مع ما ذكره جمال الدين الأفغانى، حيث ذكر أن الخُلق الغالب فى هذا الجنس هو الحقد والضغينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاربات والتهور فى المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب، وأن صورهم الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتنبئ عنها . انظر: تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص ١٩٤. (المترجم)

مضطهدة تحت سيطرتهم كانت تختلق مختلف الصراعات، ومن بينها الصراعات السرية والخطيرة، وأوجدت مشكلات عديدة.

وكان الحرس وأعضاء الجيش يُختارون من بين الأسر البشتونية الفقيرة ؛ وذلك لأن الركائز الأساسية للحكومة مقصورة على القبائل البشتونية، كما أن الطبقات الفقيرة تعد عوامل مناسبة للأهداف العسكرية والبوليسية، هذه الطبقات رغم فقرها وإمكاناتها المالية المتواضعة كانت تتحكم جيداً في أفغانستان.

إن إدارة الدولة من قبل البشتون كانت تعني لسائر القبائل إحساسا أن أفغانستان دولة تدار عن طريق البشتون ولأجلهم، وبالنسبة لغير البشتون فقد كانوا يرون أنهم قربان للاستعمار الداخلي. ولهذا فإن إمكانية وجود أسباب التعاون مع الحكومة كانت ضعيفة، ولهذا السبب كانوا يناجزونهم الصراعات الخفية، وحتى القتال وجها لوجه بسبب وبغير سبب، لأنها حكومة عنصرية، تدور في كثير من أمورها في فلك العنصرية والميل إلى الطرف الخارجي، واستمرت هذه المنازعات على الرغم من تشكيل الحكومة الإسلامية في أفغانستان عام ١٣٧١هـ.ش، والقوات التي كانت تقاتل بالأمس ضد الحكومة الماركسية هي التي تحارب اليوم مع حكومة المجاهدين، ولحل هذه المشكلات هناك واحد من أعقل الحلول، وهو أن تخرج الحكومة من حالة العزلة وتبدو في وضع الشمول، ولا يمكن أن يتأتى هذا إلا بتزايد مستوى التعليم والتوسعة النسبية للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

البشتو(*) **Bashtou** هي لغة قبائل البشتون، ومنذ عام ١٩٢٦ اتخذت لغة رسمية للدولة ؛ مما أغضب القبائل الأخرى ذوات الأكثرية ممن يتحدثون اللغة الفارسية(**).

(*) لغة البشتو : هي اللغة الأفغانية المحلية، وتنتشر في المناطق الشمالية الشرقية لكابل ، والشمالية الغربية للهند ، وتمتد إلى الجنوب حيث يوجد بعض الأفغان بمنطقة توران (بلوخستان)، ولغة البشتو مزيج من الفارسية والأردية والتركية والإنجليزية، وتكتب بحروف عربية مع التغيير في بنائها الصوتي، إضافة إلى الأصوات الآرية الأصل . انظر: أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ١٢ . وانظر: ابن النديم، الفهرست، طبعة ليدن ١٨٧١ م ، ص ٣٤٥ . (المترجم)

(**) اللغة الفارسية إحدى اللغات الهندوأوربية ، وكانت لغة الحديث في كابل وما يحيط بها من مناطق غرب فارس إلى حدود كاشغر والتبت شمالا والبنجاب والهند شرقا ، وترجع أهم النصوص التي كتبت باللغة الفارسية إلى عصر الملك دارا الأكبر (٥٢١ – ٤٨٦ ق.م) في منطقة بيستون بالقرب من كرمنشاه . انظر : ابن النديم، الفهرست ، ص ١٩ . وانظر : المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٢٧٥، طبعة ليدن ١٩٠٦م. (المترجم)

إن جميع أهل أفغانستان يعرفون اللغة الفارسية ويتحدث بها الأغلبية حتى قبل إقرار قانون ١٩٢٦ المبنى على أن لغة البشتو هى اللغة الرسمية. والبشتون أيضا كانوا لا يزالون يعرفون اللغة الفارسية، البشتو إحدى لهجات اللغة الفارسية وجذور كلماتها فارسية أيضا ؛ ولهذا السبب فإن اللغة هى الأخرى كانت واحدة من أسباب النزاع والاختلاف فى أفغانستان؛ لأن القبائل الأخرى الموجودة لم تقبل لغة البشتو. ويقول مصدر غربى: إن لغة البشتو تمثل ٣٠٪ من سكان أفغانستان.

إن أصول المجتمع والناس لم تحظ بنصيب من التوفيق والتقدم الكبير، مما جعل المسائل الصغيرة والكبيرة تدفع بالمجتمع إلى الهاوية .

الطاجيك (*) El Tagik

الطاجيك ثانى أقوى المجموعات الأفغانية، لغتها هى الفارسية الدرية، والمحققون يعدونهم من ذوى الأصول الإيرانية، وهم ينتشرون فى القسم الشمالى الشرقى فى بدخشان(**)، وكابل، وهراة، وهراه غزنة، وغور، ومناطق أخرى، وأكثر التاجيك من سكان المدن، وهم متحررون من النظام القبلى إلى حد ما، وأسلوب حياتهم متقدم، ويعيشون فى تجمعات متفرقة فى المدن أو بالقرب من المدن. بعض المحققين الغرب الذين عاشوا فترة فى أفغانستان مثل "جوزف" و"كولينز" و"جان ريفيتز" يعتبرون الطاجيك فى الوقت الراهن رجالاً محبين للسلام، وشعراء المسلك وأصحاب رؤيا، وعقلاء ومنطقيين هادئين ولديهم حضور ذهن، ومتواضعين مكرمين للضيوف والمسافرين، حياتهم تقوم على الزراعة والصيد.

(*) يتفوق هذا العنصر من دون سائر فصائل الأفغان بفئه الأدرى بالحرف والصناعة كالحياكة والنجارة والحدادة والبناء وغيرها، كما يشهد له بحسن المظهر وإدارة الأمور المنزلية. انظر : تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص ٢٠٥ . (المترجم)

(**) بدخشان تعد من أهم مناطق أفغانستان، وتقع فى القسم الشمالى الجنوبى، وتفصل هذه المنطقة شمال وجنوب الهندكوش عن باقى الأقسام الأفغانية عن طريق آمودريا. انظر: مجموعه مقالات دومين سمينار أفغانستان، ص٩٤ . (المترجم)

والطاجيك سعداء بحالهم جدا ، ومعتدون بأنفسهم، وعلى الرغم من هدوء الطاجيك الملموس فإنهم مثل الهزارة والبشتون وسائر الأقوام الأفغانية، في طابعهم روح العداوة والحقد الشديد، ويمكن مشاهدة نمانجهم في منازعات أعوام ١٩٢٩م، وفي حربهم الأخيرة في مواجهة الروس. والطاجيك من وجهة نظر المحللين لديهم قدرة على التحمل ولهم باع في الحقد والإجرام طويل جدا.

وأجدادهم هم الذين قضوا على الحكومة الغزنوية، واستطاع "جنكيز خان" فقط القضاء عليهم في فترة ما، وهم على الرغم من السلوكيات العنصرية البشتونية، كانت لهم يد في بعض الأحيان في الحكومة الأفغانية. فمنهم "بچه بقا " الذى سوف يأتى ذكره فيما بعد، فقد كان طاجيكيا، وحكم تسعة أشهر في كابل عام ١٩٢٦م، كما كان برهان الدين رباني رئيس حكومة المجاهدين الإسلامية في كابل (صيف ١٣٧١هـ-ش) طاجيكيا أيضا ، وسائر المسئولين المهمين لحكومة رباني كانوا فارسيِّي اللغة.

الهزارة(*) EL Hazzara

يعيش الهزارة في المناطق الوسطى لأفغانستان في جيوب الجبال والمرتفعات الوسطى للهندكوش، ومكانهم يعرف بـ "هزاره جات". ويرى بعض المحققين أن الهزارة من أعقاب قوم المغول، أو من أعقاب قواتهم ؛ لأن "جنكيز خان" كان قد حكم في أفغانستان، والبعض الآخر يرى أن مجيء الهزارة في أفغانستان مرتبط بفترة زمنية

(*) من المآخذ على هذا الكتاب وكاتبه أن به مسحة شيعية ؛ فهو يصورهم على أنهم أكثرية مقهورة يتجاوز تعدادهم أربعة ملايين نسمة، في حين أن عددهم لا يتجاوز المليون ونصف المليون تقريبا ، ولهم مجتمعاتهم المنظمة والمحكمة حلقاتها عقائدياً واجتماعيا ، والأفغانيون رغم شدة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لا يعارضون غيرهم في حقوقهم ولا يتحاشون عن أن يروا شيعيا أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ، ولا يمنعون المستحقين منهم من نيل المراتب العالية في حكومتهم ؛ فقديما ترى أصحاب المناصب في البلاد الأفغانية من الشيعة (القرلباش)، وحديثا برهان الدين رباني وغيره . وانظر: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ٢٠٠، بتصرف . (المترجم)

قبل حملة المغول، وبعبارة أفضل يمكن القول بأن الهزارة مزيج من الأصول الإيرانية والمغولية، والفارسية هى لغة الهزارة. وكلمة "هزاره" من جذر هزار الفارسية (العدد ألف) والتى كانت من العلامات العسكرية، أو علامة لعدد الوحدات العسكرية، ويمكن أن نقول إن أعداداً منهم فى إيران، ويعيشون بالقرب من الحدود مع أفغانستان، ويشتهرون بالهزارة الغربيين.

وفى عقد ١٨٩٠م، وعلى أثر السياسات الظالمة والعنصرية "لعبد الرحمن خان"حرم الهزارة من أملاكهم وتم ذلك تحت الضغوط الشديدة لحكومة البشتون، وأجبر الهزارة على الأعمال الصعبة والثقيلة، ونسب إليهم السلوكيات السيئة جدا، وصادر أراضيهم لصالح البشتون، ولم يبق لهم أرضا يستخدمونها قط.

وفى أول مجلس (تجمع) للشيعة الأفغان فى طهران ١٣٦٨ هـ/ ١٩٨٩م انتقد أحد المتحدثين الأفغان فى ذلك المجمع كل الأساليب السيئة مع الشيعة، وأحد هذه الأساليب السيئة:

برنامج رقص الموت الذى كان ماثلا أيام "عبد الرحمن خان"، ووفقا لهذا البرنامج كان يتم إشعال النار، وكان يتجمع البشتون حولها من كل مكان، وآنذاك كانت توضع الأوانى الفخارية بكاملها فى النار، وكان يحضر الشيعة أو المتشيعون، وسريعا تفصل رءوسهم، وعندما تحمر الأوانى الفخارية يلصقونها بهم. وبهذا الشكل ينقطع تدفق الدم ويظل القلب حيا لفترة، ويتمدد الجسد دون رأس إلى أعلى وإلى أسفل و(الدم) يجرى من طرف إلى آخر، وبالطبع كانت تصدر منهم حركات غير عادية ، وهذه الحركات غير العادية كانت تعد نوعا من الرقص، وكان الحاضرون يتلذذون بمشاهدة ذلك المنظر.

يعيش الهزارة على الزراعة ورعى الماشية، ولكن أراضيهم محدودة، جبلية وغير قابلة للزراعة، وكانت أكثر مناطق أفغانستان تخلفا وفقرا، إلا أنه أخيراً اكتشف معدن الحديد بكميات كبيرة فى منطقة "حاجى كك" بالقرب من "باميان"، ويتوقع فى حالة استخراجه أن يحل إلى حد كبير مشكلة تشغيل الهزارة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية.

والهزارة أكبر فئة شيعية فى أفغانستان، وكانت أغلب قوات الشرطة تُخْتَار من بينهم هم والأوزبك. ولقد قاومت الهزارة الحكومة الأفغانية الشيوعية العميلة للاتحاد السوفيتى السابق، وكانت أول مجموعة حملت السلاح ضد هذا النظام، وحررت الأرض. وعبر التاريخ الماضى وعلى أثر الضغوط المختلفة التى مورست على الهزارة كانت سببا فى تقليص تعاونهم مع الحكومة المحلية، ومن أجل تأمين حقوقهم كانوا يغتنمون الفرصة ولا يضبطون أنفسهم أمام كل إجراء، وفى عقد ١٨٨٠م أفتى أهل السنة - بإيعاز من الحكومة المحلية أو الإنجليز - بالجهاد ضد الهزارة، وآنذاك هجم الأوزبك على الهزارة ، وأسروا نساءهم ورجالهم وعرضوهم للبيع. هذه التصرفات غير اللائقة ظلت قائمة، أما فى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين فإن الهزارة تحرروا من الانحطاط، وتأثروا بالثورة الإسلامية الإيرانية وشاركوا فى تحديد مصير الدولة، وكل أمر قابل للتنفيذ يتم بمشورتهم.

ويعيش الأوزبك فى الأجزاء الشمالية للهندكوش، فى المناطق التى تعرف بـ "تركستان الأفغانية"، وأكثرهم يعيش فى النواحى الشمالية وأطراف مدن مزار شريف(*)، وميمنه، وخان أباد، وقندوز، وبدخشان. والأوزبك من أحفاد الأتراك الصفر(**) فى آسيا الوسطى، ويشتغلون بالزراعة والصيد، ولهم دور نشط فى الأمور التجارية والحرفية الأفغانية أيضا، ولهم نشاط فى إقامة الحظائر لتربية الخيول والأغنام.

الأوزبك كغيرهم وقعوا تحت الضغط والاعتداء؛ ولهذا السبب ليس لديهم ثقة فى مستقبلهم، وغير آمنين على ثرواتهم. ويكمن خوفهم من هذا الجانب فى أنهم وقعوا تحت ظلم واعتداء عمال الحكومة، خاصة البشتون.

(*) مزار شريف : عاصمة ولاية بلخ ، وتقع على ارتفاع ٤٠٠ متر من سطح البحر ، وهى من أهم المدن الواقعة فى شمال أفغانستان ، وتقع مدينة بلخ الصغيرة والمعروفة تاريخيا على بعد أميال قليلة من "مزار شريف" المسلمون فى أفغانستان ، ص ٢٢ . (المترجم)

(**) ذكرت بعض المصادر أنهم من أحفاد التتار، ويعيشون فى مدينة بلخ. انظر: تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص ٢٠٧ . (المترجم)

إن المنطقة التى يقطنها الأوزبك من أكثر الأماكن فقرا أيضا، وبالقطع فإن الغاز الطبيعى فى أفغانستان يقع فى" شيبرغان"، بالقرب من "مزار شريف" فى قلب منطقة الأوزبك، وبه احتياطى عظيم ، يمكن أن يكون مصدراً اقتصاديا مفيداً للأوزبك ولأراضيهم، حيث إنه فى أفغانستان عندما يكتشف معدن فإن القبائل التى بحوزتها تلك المنطقة تُعطى جزءًا من دخله.

وكان عنف البشتون تجاه الأوزبك سببا فى ميلهم إلى الاتجاه صوب "جيحون"، يعنى جمهورية أوزبكستان، والاتحاد السوفيتى السابق كانت له دعاية كبيرة عن طريق إذاعة أوزبكستان، ولكن تأثيرها كان محدودا، ويبدو أن مقاومة الأفغان الأوزبك فى مواجهة الروس كانت أقل من سائر الأقوام والفصائل الأخرى. وتعداد قوات الأوزبك فى جيش أفغانستان سابقا أكثر من سائر الفصائل الأخرى بعد البشتون. وقد سعى الروس وقت احتلالهم لأفغانستان إلى احتلال منطقة الأوزبك كى يستفيدوا من قوات أوزبكستان .

التركمان(*) EL Tourkman

يعيش التركمان على طول الساحل الجنوبى لبحر"آمو" (جيحون) والحدود الغربية الشمالية لأفغانستان، ويشتغلون غالبا بإقامة الحظائر (تربية الخراف والخيول). والتركمان قوم من ذوى العرقيات الصفراء، ويتصل نسب بعض طوائفهم إلى "جنكيز خان"، والتركمان على مذهب السنة وكانت تعيش بينهم طوائف شيعية المذهب، ويتكلمون اللغة الفارسية.

(*) التركمان: يصفهم جمال الدين الأفغانى بقوله:" لهم حذق فى الفروسية والطعن بالرماح، ولا يستنكفون من أكل لحم الفرس، ويوجد فيهم بعض العلماء، ويضعون على رءوسهم القلنسوة. انظر : تتمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ٢٠٧ . (المترجم)

القرقيز EL Kerkize

ثالث الفصائل التركية ذوو الأصل الأفغاني الذين يعيشون غالبا على شكل بدو في ناحية الشمال الشرقي للبلاد ومضيق "واخان"، وهم في الغالب أصحاب قطعان وحظائر كبيرة، لكن في أثناء الاحتلال السوفيتي لأفغانستان أُجْلِيَ أغلبهم من مضيق "واخان"، واختاروا الإقامة في باكستان، أو في بعض الأماكن الأفغانية الأخرى، وانتقل عدد منهم أيضا في عام ١٩٨٠م مع أغنامهم وحشمهم إلى الخارج، وإلى تركيا بالطيران.

البلوش EL Blouch

يعيش البلوش منعزلين في جنوب غرب أفغانستان، في صورة بدو، أو مخيمين غالبا. أرض البلوش صحراوية، وإنتاجها قليل، ولم يبذل أي عمل لتنميتها، ونسيت باعتبارها منطقة أفغانية؛ لذا فإن هذه الفئة من مجموع السكان كانت تحسب نفسها دائما معزولة، وليس لها توجه، ولهذا السبب كان لديهم نزوع إلى الثورة والميل الخارجي، وفي السبعينيات والثمانينيات ذهب عدد من شباب البلوش إلى الاتحاد السوفيتي، وبعد أن حصلوا على ما يلزمهم من التعليم عادوا إلى منطقة البلوش الأفغانية مؤيدين للاتحاد السوفيتي ومناصرين له. وعلى الرغم من عادات الحياة في منطقة البلوش؛ فإن المستقبل الاقتصادي بانتظارهم ، فمنطقتهم غنية بالغاز، وعامرة بالذخائر المعدنية الجديرة بالاهتمام مثل الكروم والكوك، والفحم الحجري وحجر الحديد واليورانيوم وخلافه.

أهل المخيمات

يوجد في أفغانستان ما بين ٢ و ٣ ملايين ونصف من ساكني الخيام، وبتعبير آخر "الرُّحَّل". والأفغان أيضا يسمونهم "رُحَّلا"، وينتشر هذا العدد في شمال

البلاد وجنوبها، وينتقل بنظام من مكان لآخر، ولا يوجد لهم مكان محدد أو ثابت غالبا، ويصل عددهم إلى نحو ربع المجتمع السكاني، ويعيشون في المخيمات، ويتعيشون على تربية الماشية والتجارة، وعدد كبير منهم من سلالة "أبناء الغلجة" (بشتون)، وهم في فصل الخريف يعبرون المرتفعات الجنوبية لأفغانستان ويتخذون طريق الحدود الباكستانية في "أستان" عند معبر الحدود الباكستانية، ويبيعون بضائعهم ويشترون كل ما يلزمهم، وحركة ذهابهم وإيابهم ليست موقوتة بوقت، وموضوع البدو هذا كان واحدا من المسائل الحدودية الأفغانية الباكستانية، ويقيم هذا العدد في فصل الربيع في المخيمات حول الطريق والمراتع في أفغانستان، ويبيعون الأقمشة والسكر النباتي وسكر الشاي والتوتون والأدوية، وسائر الأشياء التي يشترونها من باكستان.

إن الاعتداء السوفيتي واحتلاله البلاد سبب مشكلات جمة بالنسبة للبدو، إحداها اختلال ذهابهم وإيابهم، ومشكلات أخرى كانت تتمثل في احتلال أراضيهم من قبل القوات الخارجية أو الحكومية، وعبر التاريخ الماضي لعب البدو دورا مهما في تفعيل الأنشطة الاقتصادية والتجارية والأمور المالية للقرويين، وفي أحيان كثيرة كان البدو يقومون باستيراد السلع وبيعها، بل كانوا يقومون بدفع القروض للقرويين، وكان عدد كبير منهم يقدم المال على سبيل الربا محاولة من هؤلاء البدو ألا يقعوا تحت ضغط ووطأة الحكومة، وألا تشملهم قوانينها وقراراتها، استخفافًا بهذه القوانين وتحللاً من أي تبعية لها، وكانت إحدى مشكلات الحكومة أيضا أن جزءا من السكان كان خارج سيطرتها تماما. على عكس القرويين الذين لهم مكان ثابت، فكانوا يخضعون للرقابة والقانون بأيسر ما يمكن. أما البدو فكانوا يحبون أن يعملوا وفق هواهم، وكانوا يسعون لهذا الأمر بشكل دائم.

الهجرة

كانت الهجرة لا تتم داخل أفغانستان إلا بصورة نادرة، فوفقا للعرف القومي والقبلي وسائر الموانع الأخرى، لا ينتقل أفراد من مدينة لأخرى . فلم تكن القبائل

والأقوام لتقبل أفراد أقــوام وقبائل أخرى إلا فى بعض المدن الكبرى مثل كابل. حيث تضعف هــذه الأعــراف ، فينـتقل الأفراد من الأماكن المتفرقة إلى كابل ويقيمون بها.

أما هجرة الأفغان إلى خارج بلادهم فكانت تتم بصورة كبيرة، وقبل انقلاب "هفت ثور" ١٩٧٨م كان عدد كبير من القوى العاملة تذهب إلى إيران وباكستان وبعض الدول الأخرى من أجل كسب المال والحصول على فرصة عمل، ولكن بعد انقلاب ١٩٧٨م، وبعد الاعتداء السوفيتى فى ١٩٧٩م، سلك عدد كبير من الأسر الأفغانية طريقه صوب "باكستان" و"إيران"، فأكثر من مليونين ونصف المليون يعيشون فى إيران ، وقرابة ثلاثة ملايين فرد يعيشون فى باكستان أيضا، وظلوا هناك حتى سقوط النظام العميل للاتحاد السوفيتى السابق الحاكم فى كابل، وبعد تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية عاد المهاجرون تدريجيا إلى أفغانستان، وبالقطع فإن حركة هذه العودة كانت بطيئة حتى صيف ١٣٧١هـ.ش / ١٩٩٢م ؛ نظرا لأن الأمن أولاً لم يكن كافيا، وثانيا لأن مجالات العمل والإنتاج والدخل كانت ضعيفة، وقد كان عدد من المهاجرين الأفغان يذهب إلى الدول الأوروبية وأمريكا، وهذا العدد من المهاجرين الأفغان كان يضم ثلاث طوائف من الشعب الأفغانى :

(١) زعماء القبائل، خاصة فى عهد ظاهر شاه وداود خان.

(٢) أصحاب الثروة والمال فى البلاد.

(٣) العسكريين الأفغان (القوات العسكرية الأفغانية).

والطبقات المذكورة كانت تحصل على تأشيرة السفر بسهولة كبيرة من القنصليات الأوروبية والأمريكية، وكانوا يقيمون فى تلك الدول. أما عامة الشعب الذين لا حــول لهــم ولا قــوة (أى الذين لا يملكون الذهاب إلى أى مكان) فكانوا يذهبون إلى باكستان وإيران، وعدد قليل منهم كان يذهب إلى الهند.

الإمكانيات الصحية(*)

يرى الدكتور دارو أن أفغانستان من حيث الإمكانيات الصحية فقيرة جدا، لاسيما في المواد المطهرة وسائر الأمصال الواقية من السموم والحشرات والميكروبات، فالإمكانيات الصحية تصل في القرى إلى ١٧٪ حداً أقصى، وتصل في بعض المدن مثل كابل إلى ٧٠٪، وفي بعض الأماكن تصل إلى ٨٠٪، أما في أغلب المدن فإن هذا الرقم لا يتجاوز ٥٠٪ .

(*) وفقا لما جاء فى إحصائية ١٣٤٠ هـ/ ١٩٦١ م فإنه يبلغ معدل الأفراد لكل طبيب بأفغانستان حوالى ٥٠ ألف فرد. هذا الرقم ضخم جدا إذا ماقورن بمعدل ١٤,٨ ألف لكل طبيب لدى جارتها باكستان، و ٨,٦ ألف لكل طبيب فى إيران، و ٤,٩ ألف فى الهند، وأربعة آلاف فرد لكل طبيب فى تركيا ، وهذا يدل على التخلف الشديد والفاحش فى الشئون الطبية فى أفغانستان . انظر: أفغانستان در مسير تاريخ ، ص ١٦. (المترجم)

الفصل الثالث

الدين والمذهب

الإسلام هو دين ٩٨٪ من الشعب الأفغاني، وما يقرب من ٧٠٪ من بينهم من أهل السنة، وأكثرهم على مذهب أبي حنيفة النعمان، وأكثر من ٢٥٪ من الشيعة الاثناعشرية أيضا، وأكثرية الشيعة تتشكل من طائفة الهزارة اللذين يعيشون في المناطق الوسطى في أفغانستان، ويتمركزون في مدينة باميان التاريخية، كما تتشيع بعض قبائل القزلباش والأتراك والطاجيك وحتى البشتون، وتوجد أقلية صغيرة أيضا على مذهب الإسماعيلية، والتي يتزعمها روحيا الحاج سيد منصور نادي، و يعيش أكثر من عشرين ألف فرد من الهندوس والسيخ في قندهار ومزار شريف وزابل وهراة وخوست، ويوجد حوالي مائة وخمسين مخيما في كابل وهراة وقندهار، وقد غادروا أفغانستان تدريجيا.

وقد كانت الديانة البوذية رائجة وشائعة قبل ظهور الإسلام، ولها مريدوها في أفغانستان، والتمثال الضخم لبوذا المنحوت في قلب الجبل شاهد على ذلك العهد (قامت حركة طالبان بتدميره مؤخرا قبل القضاء عليها على يد القوات الأمريكية)، ولكن مع قدوم الإسلام منذ القرن الأول الهجري وما تلاه إلى أفغانستان، وبعد تشكيل الحكومات الإسلامية في المنطقة نسخت في أفغانستان الديانة البوذية تدريجيا واختفى مريدوها.

وتوجد أقليات أخرى أيضا ولكن تعدادهم قليل، وطبقا للدستور الأساسي لنظام المملكة (أيام ظاهر شاه) يجب أن يكون الملك سني المذهب، ومنذ بداية تشكيل الحكومة وحتى اليوم والأجهزة الحكومية سنية المذهب، وفي أواسط السبعينيات كان في أفغانستان خمسة عشر ألف مسجد، ويبدو أن هذا العدد لم ينخفض، حيث كان المجاهدون يسيطرون على أجزاء كبيرة من أفغانستان خلال عقد الثمانينيات، بل

أضيفت تكايا ومساجد أخرى. ومساجد أفغانستان لها طابع معمارى بسيط، حيث لا يوجد في داخل المساجد أى شكل من أعمال التصوير أو النقش أو سائر العلامات الأخرى التى تشغل المصلين عن حضور القلب، وتشرد أذهانهم.

ويوجد بين الأحناف من يُعْرَفون بالمتصوفة(*) (المولويين) لهم نفوذ كبير، والصوفيون فى العهد الماضى كانو يلعبون دورا مهما فى التعليم فى أفغانستان، والناس بشكل عام يحضرون حلقات الوعظ والإرشاد وينصتون بدقة بالغة، ولهم باع طويل فى علم الكلام. وكان المتصوفة يهتمون بالأمور التعليمية ضمن الدعاية الإسلامية المختلفة، وفى القرن الأخير أيضا توجد فى أكثر المناطق مدارس حكومية، وكذلك أيضا تم تأسيس مكاتب تحفيظ القرآن، وكان الفتية والصبية الأفغان يترددون من سن الخامسة حتى التاسعة على هذه المكاتب لحفظ القرآن وتعلم الكتابة، وقد كانت وزارة التربية والتعليم أحيانًا (فى عهد ظاهر شاه) تضع بعض الإمكانيات تحت تصرف هذه المكاتب، وعادة ما كانت نفقات هذه الكتاتيب تقع على كاهل أولياء الطلاب.

وكانت "جمعية العلماء" تأتى على رأس مجتمع رجال الدين الأفغانى، وكانت تضم زعماء الدين البارزين فى ذلك المجتمع. وقد شُكِّلت جمعية العلماء فى عام ١٩٣١م، وكانت مهمتها اختيار أئمة المساجد.

المجتمع الأفغانى (خاصة المجتمع القروى والقبلى والبدوى) شديد التمسك بالدين والمذهب، ولهذا كانت أوامر علماء الدين المحليين وقوانينهم أنفذ عليهم ولازمة الطاعة حتى من الفرمانات والقوانين الحكومية، وعادة مايرى الناس أن زعماء الحكومة بعيدون عن الدين، وكذلك فإن القرويين والبدويين يعتقدون كثيرا فى العلوم الغريبة مثل السحر والجفر والخرافات وخلافه، وتوجد فى المدن الأفغانية مشاهد

(*) ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب "المسلمون فى أفغانستان" تعقيبا على دور المتصوفة حيث يقول : والملا والمولوى تأثير كبير على جميع أفراد الشعب ، فما يقولانه هو الصدق، وفيما ينطقان به فصل الخطاب فى أى أمر من الأمور . انظر : المسلمون فى أفغانستان ، ص ٣١ . (المترجم)

كثيرة وتكثر فى القرى، وهى القبور التى تنسب إلى أئمة الشيعة الكبار عليهم السلام ، وأبنائهم وسائر عظماء الدين، ومن بين هذه المشاهد - التى هى كثيرة نسبيا - مشهد الإمام على عليه السلام فى مزار شريف. واسم مزار شريف أيضا يعد نسبة إلى هذا المزار المبارك، وقد أقيمت للعظماء والشيوخ المحليين مشاهد أيضا، وهى موضع احترام العامة، والناس يعتقدون أن روح المتوفى يظل لها حضور فى ذلك الموضع، وينذرون لها النذر والصدقات الكثيرة، ويطلبون منها الشفاعة والحماية.

وفى عام ١٣٤٣هـ.ش/ ١٩٦٤م فى عهد ظاهر شاه تم تدوين الدستور الجديد الذى نظم على غرار القوانين الأوروبية. وكانت أحكام الشريعة الإسلامية من قبل هى النافذة على المجتمع الأفغانى، وتم تطبيقها بين القبائل والأقوام عن طريق زعماء الأقوام والقبائل، كما تم تطبيقها أيضا فى الأجهزة الحكومية عن طريق نواب وزارة العدل، لكن منذ العام المذكور أخذت الأجهزة الحكومية تحل القوانين المدنية محل قوانين الشريعة بالتدريج، وقد اقتبست هذه القوانين من مصادر أوربية، وبعد سقوط الأنظمة الشيوعية وتشكيل الدولة الإسلامية بزعامة المجاهدين تم تشريع القوانين الحكومية المبنية على الشريعة الإسلامية مرة أخرى.

الاختلافات المذهبية

منذ القدم والخلافات المذهبية شديدة نسبيا بين الشيعة والسنة فى أفغانستان، ومع الإجراءات التى اتُّخِذت فى عهد ظاهر شاه انخفضت حدة الصراعات والمشاجرات إلى حد ما، خاصة منذ مجىء الأنظمة الشيوعية، وفى أثناء احتلال أفغانستان من قبل جيش الاتحاد السوفيتى السابق ضعفت الاختلافات والمشاجرات المذهبية نسبيا، واتفقت جميع الطوائف والفصائل على تنحية الخلافات المذهبية جانبا، والوقوف فى وجه عدوهم الخارجى المشترك وأذنابه فى الداخل، لكن بعد سقوط نظام نجيب الله ١٣٧١هـ.ش/ ١٩٩٢م، وتشكيل حكومة من قبل فصائل المجاهدين عادت هذه

الصراعات القديمة مرة أخرى، وعملت بعض االفصائل المتشددة على استبعاد الشيعة من ساحة الحكومة و المجتمع؛ مع أنه كان للشيعة نصيب كبير في الجهاد و القتال.

محاولة إضعاف المذهب

المجتمع الأفغاني مجتمع مذهبي بكامله، والشعب لديه حساسية وشفافية كبيرة تجاه الدين والمذهب، وعلى الرغم من الدعاية الواسعة والإجراءات الشديدة من جانب الأنظمة الشيوعية فلم يصب الشعب إلا الخلل البسيط في معتقداته القديمة، ومن الظواهر الفعلية في المجتمع الأفغاني نفوذ المتصوفة القوي واللامحدود، فقد لعب المتصوفة دور القوة صاحبة اليد الطولي في مواجهة الحكومات المحلية، ممثلة للشعب بالقوة وبالفعل، وفي العقود الأخيرة عمدت الحكومات إلى تقليص دور المتصوفة، وزيادة قدرتها وهيمنتها كي تمنح نفسها التحكم في زمام الدولة، وللوصول لهذا نفذت عدة إجراءات، من بينها أنها تبنت الأسلوب العلماني؛ فأقامت المدارس الجديدة على نمط االتعاليم الغربية حتى تحد من وجود المتصوفة ، لكن هذه الإجراءات نفذت في المدن الكبرى فقط، أما في القرى و المدن البعيدة التي يتكون منها غالبية المجتمع الأفغاني فقد بقيت تحت تأثير المتصوفة، ورغم انخفاض دور الصوفية في الأمور التعليمية في المدن الكبرى وأعمال الدعاية المختلفة؛ فإن ذلك لم يكن له تأثير كبير في الحد من تمسك الأفغان بإيمانهم ومعتقداتهم.

أولا: لأن الأعمال الحكومية كانت ضعيفة ولم تكن ذات تأثير كبير.

ثانيا: لأن المساجد لعبت دورا مهما ومصيريا بين الشعب الأفغاني حتى في كابل نفسها، فكان الشعب من الصغير والكبير والمرأة والرجل يجلس في المساجد والتكايا ويحضر حلقات الوعظ لرجال الدين، فلما جاء النظام الجديد من قبل المجاهدين أزال جميع العادات والسلوكيات القديمة التي هي ضد المذهب أو غير مذهبية ومحاها من الوجود.

ولم تنجح النظم العلمانية فى أفغانستان لأن الإسلام كان ضاربا بجذوره فى أعماق النظام الاجتماعى الأفغاني، فلم يدم التوفيق لأى مجال غير دينى ؛ لذا فإن الحكومات التى لم تكن ذات صبغة إسلامية كانت تواجه المشكلات السياسية والاجتماعية والقومية الكبيرة، وهذاالطراز من الحكومات التى كان سلوكها منافيا للإسلام (مثل الأنظمة الشيوعية) كانت تواجه بثورات كبيرة و تنتهى بالفشل(*).

(*) لقد ابتلى التعليم فى أفغانستان باحتلالين: الاحتلال البريطانى، ثم الروسى، وقد ظهرت آثار الاحتلال واضحة فى السياسة التعليمية للحكومات طيلة بقاء المستعمر. ومن أبرز هذه السمات :

١ - عدم الاهتمام بتعليم الدين الإسلامى بصفة عامة فى مراحل التعليم والتطاول عليه والتنقيص منه .

٢ - عدم تخصيص الحصص الكافية فى المنهج الدراسى للعلوم الإسلامية، لاسيما تفسير القرآن والحديث والفقة وأصوله والسيرة، بينما كانت العلوم التطبيقية تلقى كل اهتمام .

٣ - عدم تدريس تاريخ الإسلام تدريسا واعيا ليستفيد منه الطلاب بوصفه تجارب حية فى التاريخ الإسلامى المجيد .

٤ - حذف النصوص التى تحث على الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن .

٥ - عدم العناية بالجانب الخلقى بين الطلاب ، ونشر الاختلاط بين الطلاب والطالبات . انظر : المسلمون فى أفغانستان ، ص ٣٧ ، ٣٨ . (المترجم)

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعية والثقافية والتعليمية

تنبعث آداب الشعب الأفغاني وعاداته وثقافته من الثقافة الإسلامية؛ فهي واحدة من الدول التي لها قواعد وثوابت شديدة متوافقة مع الأصول والمعتقدات الإسلامية، حيث يؤدي الإسلام دورا في كل جزئيات حياة الشعب الأفغاني، وكل تطور اجتماعي وسياسي واقتصادي يتبلور وفقا للقالب الإسلامي، وكل طرح مغاير لذلك محكوم عليه بالفشل، حتى النسل من الشباب يتمسك بشدة بالثوابت والأصول السنية، وقليل تخطيهم عن هذا المسلك ؛ بدليل أن أفغانستان عبر التاريخ الماضي وحتى ١٨٥٧م كانت متوحدة مع إيران؛ فالثقافة والسلوكيات الاجتماعية الأفغانية تشبه كليةً آداب وعادات الشعب الإيراني(*)، ومن بينها أن يراعي الحجاب كاملا، ويحرم بيع المشروبات الكحولية في كل مكان بالبلاد ، وبالتأكيد فإن الأنظمة الشيوعية الحاكمة في كابل كانت تشجع هذه الأعمال المشينة والقبيحة من أجل محاربة الإسلام، وحققت نجاحا ضئيلا في كابل، ولكن بعد تشكيل الحكومة الإسلامية من قبل المجاهدين في كابل نسخت السلوكيات غير الإسلامية.

وفي المدن الأفغانية الكبرى خاصة كابل تشاهد بعض المظاهر المحدودة من سلوكيات الحياة الغربية، لكن في القرى والمدن الصغيرة أو البعيدة لا تزال العادات والنظم التقليدية ماثلة، وأما أهل المدن الصغرى أو البعيدة فتعيش طبقا للعادات والسلوكيات السنية، وبها بعض التغيرات الطفيفة.

(*) لا أتفق مع الكاتب في هذا الطرح ؛ فالمجتمع الإيراني يحكمه القالب الشيعي في مخبره ومظهره منذ العصر الصفوي ٩٠٥ هـ.ش. وحتى الآن، وهو مجتمع منظم محكم الحلقات عقائديا واجتماعيا، وهذا لا يتواكب مع المجتمع الأفغاني ذي الأصول السنية في مخبره ومظهره . (المترجم)

فى كابل وبعض المدن الكبرى طغت الملابس التى على النمـط الحديث (البدلة) على الملابس العادية التى تتبع الطريقة التقليدية، إن مسئولى الدولة السابقين وبعضاً من أصحاب الأموال والتلاميذ والطلاب يرتدون ملابسهم وفقا للزى الجديد، ولكن المدن البعيدة والريفية تحتفظ بتقاليدها. وبعد تشكيل حكومة المجاهدين قل ارتداء الملابس الجديدة (البدلة)، كما أن شعب أفغانستان وحتى شبابهم وأطفالهم يضعون قبعة أو عمامة كبيرة فوق رءوسهم، ويندر مشاهدتهم دون قبعة أو عمامة، ويعلقها العامة على نهاية خدودهم، أو صدورهم، وفى الوقت الراهن يقصر الرجال شعر رءوسهم، أما الشباب فبعضهم يطيل من شعره، كما أن الرجال يكتفون لحاهم والشباب يقصرونها.

وتخلت النساء عن الحجاب بشكله التقليدى فى العهود السالفة فى بعض المدن الكبرى مثل كابل، وخرجن على الحجاب واخترن زى الفرنجة، لكن بعد تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية عاد حجاب النساء مرة أخرى.

إن نفقات العرس خاصة المهر بالنسبة للفتاة عالية جدا فى أفغانستان، بصورة يراها الأجنبى الذى لا يعرف عادات الأفغان كحالة البيع والشراء، وقد انخفضت إلى حد كبير نفقات العرس فى بعض المدن الكبرى، لكن فى القرى والمدن الصغيرة لا تزال مرتفعة . ويتم الزواج بين البنات والأبناء وسط الأقوام والأسر القبلية، وعادة ما يكون الفتى والفتاة أبناء عمومة وأبناء خالة وما شابه ذلك ، ويتم اختيار كل منهما للآخر فى عهد الطفولة من قبل الآباء والأمهات، ومتوسط سن الزواج بين الأفغان منخفض، فيكون بين الفتيان تحت سن العشرين، وبين الفتيات تحت سن الثامنة عشرة، ويبدأ سن الزواج للبنات ابتداء من سن التاسعة فصاعدا، وللأبناء ابتداء من الخامسة عشرة فصاعدا.

ويؤكد بعض زعماء المجاهدين المتشددين مثل "سياف" على ضرورة زواج البنت فى سن التاسعة والولد فى الخامسة عشرة، ويجيز الشيعة الأفغان - بما لديهم من أفق فكرى أرحب وعادات أرفع - رفع السن لأكثر من ذلك.

وترى الروابط الأسرية فى أفغانستان عميقة جدا، وأفراد الأسر تجمعهم علاقات عاطفية وحميمة، وعلى خلاف الدول المتقدمة أو الدول النامية فإن أفراد الأسر الأفغانية نادرا ما ينفصلون عن بعضهم البعض، والشباب بعد الزواج يبقون داخل حدود الحياة الأسرية وعلى الأكثر القبلية.

ولزعماء القبائل وكبار القوم ووجهاء الأسر تأثير كبير على الأفراد، وأعضاء القوم يستمعون إليهم باهتمام بالغ، وتُحَل وتُفْصل الدعاوى والمنازعات والخلافات الأسرية والاجتماعية عن طريقهم.

إن الغذاء الأساسى للشعب الأفغانى هو القمح والأرز، وأفغانستان فى الماضى كان لديها اكتفاء ذاتى من حيث إنتاج القمح، ولكن رغم القدرة على إنتاجه فهو لا يكفى احتياجاتها، وتضطر إلى أن تستورده، وحيث إن سائر الدخول الأفغانية منخفضة أيضا؛ فهى ليست قادرة على تأمين القمح والدقيق موطن احتياج الشعب.

إن سعر القمح والدقيق مرتفع نسبيًا، والأسر الفقيرة تحصل على تأمين احتياجاتها من الخبز بشق الأنفس؛ لأن الخبز مصدر احتياج لأعضاء الأسر الأفغانية. وبقية الاحتياجات تزيد أو تنقص حسب الطلب، وعادة ما يظهر الخبز جافًا مثل باقى السلع الأخرى الاستهلاكية (تحت عنوان الغذاء المتوسط).

ولا يوجد فى أفغانستان وحتى فى كابل وقود أرخص قيمة من الحطب، كى يخبزوا به الخبز ؛ ولذا فهم يعدون الخبز فى المنازل على نار الحطب، ويصل فى صورته اللازمة للبيع. ويوجد فى كابل عدد قليل من المخابز التى تستخدم النفط وقوداً فى إعداد الخبز .

ويفضل شعب أفغانستان غالبا لحم الخراف على لحوم الأبقار، وعادة ما يذبحون خرافهم، وبالنسبة للمواد الغذائية الموسمية مثل الفاكهة والخضراوات وأيضا اللحوم فإنهم يجففونها كى تحفظ لفترة أطول، ويحفظونها فى مستودعات باردة.

أما المشروب الرئيسى للشعب فهو الشاى، كما أن المقاهى هناك كثيرة ورائجة، ويُستخدم نوعان من الشاى أحدهما أسود، وهو الذى يستخدم فى إيران أيضا، والنوع

الآخر أخضر وهو الأحسن مذاقا، ويقدمونه فى المجالس الرسمية، وللضيف من باب الضيافة والاهتمام، وفى الولائم الرسمية عادة ما يقدم كلا النوعين، وكل إنسان يختار النوع الذى يحبه.

السكر عامة والسكر النباتى خاصة قليل وغال فى أفغانستان، ولهذا فإن الأسر تشرب الشاى بالزبيب أو التوت وغيره من سائر الثمار الجافة المماثلة. ترى أحيانا هذه الصورة فى المكاتب الحكومية ولدى قادة المجموعات (الفصائل) فيشربون الشاى بهذه الطريقة، ورغم أن المواد الغذائية مُعَدَّة ومهيَّأة فإن الغذاء الأفغانى متنوع ولذيذ. ومن المواد التى يستخدمونها فى الطعام الثوم، وكذلك الفلفل، وأنواع التوابل، فإنهم تقريبا يستخدمون الثوم والتوابل والفلفل فى كل الأطعمة التى يطهونها على سبيل النكهة والطعم، خاصة الثوم.

والصحة فى أفغانستان لا تلقى اهتماما، حيث تراهم – مثلاً– يعتمدون على مياه الأنهار والجداول فى كل استخداماتهم، وهى مياه ملوثة وغير صحية غالبا، وتسبب كل أنواع الأمراض الرائجة، وأغلبها بسبب عدم اتباع التعليمات الصحية، ورغم أن هذا الوضع تسبب فى ارتفاع حالة الوفيات بين الأطفال فإن الأشخاص الذين فقدوا أرواحهم من جراء هذه الأنظمة الصحية قاوموا مقاومة عنيفة.

وإمكانات التسلية والترويح محدودة جدا فى أفغانستان، وفى المدن الصغرى لا توجد أى وسيلة للتسلية والترويح عن الأفراد، وقدرات المدن الكبرى مثل كابل قليلة جدا أيضا ؛ فمثلا يوجد فى مدينة كابل ثلاثة منتزهات، وإمكاناتها المختلفة ضعيفة جدا، وفى سائر المدن الأخرى تقل إمكاناتها عن هذه بكثير أيضا.

وعلى أثر الغزو المغولى مُنِيَت أراضى أفغانستان بأضرار فادحة، شأنها فى ذلك شأن سائر مناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربية، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن لم يظهر أثر أدبى جدير بالملاحظة، كما لم يتم أيضًا تغير أو تحول يذكر فى حياة الشعب وأفكاره وسلوكه، وبشكل عام لم تسترد الثقافة نضجها وازدهارها مرة أخرى.

الوضع التعليمى

على الرغم من أن مستوى التعليم - وبخاصة الدينى- مرتفع نسبيا، فإن التعليم الكلاسيكى والفنى ضعيف، وإمكانية القراءة والكتابة محدودة ؛ لذا فإن انخفاض مستوى التعليم أحد جذور المشاكل الرئيسية فى أفغانستان حاليا.

فمستوى القراءة والكتابة يتراوح بين ١٠ و ١٥ ٪ ، فمن بين كل ٥ رجالٍ رجلٌ واحد، ومن بين كل ٢٠ امرأةً امرأةٌ قادرة على القراءة والكتابة ، كما أن ربع المجتمع السكانى أو خسمه لم يَرَ المدرسة مطلقا، والأمر بالنسبة للنساء أكثر صعوبة، فأكثر من ٩٠٪ منهن لم يذهبن إلى المدرسة ولا يعرفن طريقها، وفى السنوات الأخيرة ما يقرب من نصف الأولاد (الذكور) ممن هم تحت سن العاشرة يذهبون إلى المدرسة، والأمر يختلف بالنسبة للبنات ممن هن فى السن نفسها فيتراوح عددهن من ٥ إلى ١٠ ٪، والأمر أكثر تعقيدا فى مستويات التعليم الأعلى، حتى قبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية. أما بالنسبة للأشخاص الذين كان يلزمهم أو بإمكانهم الحصول على مستوى أعلى من التعليم خاصة الجامعي، فكان يتم عن طريق الحكومة، حتى لو كان نوعا معينا من الدراسة أيضا.

ولو ذهبنا إلى أى مستوى من مستويات التعليم سواء أكان عاليا أم منخفضا، فإن حجم الطلاب سيكون ضئيلا بالنسبة لمجموع السكان ؛ فمثلا فى عام ١٩٨٩ م كان عدد الطلاب المسجلين فى المدارس الابتدائية ١٨٪، وفى مدارس المرحلة الأولى المتوسطة ٦٪ وفى مدارس المرحلة الثانية المتوسطة الثانوية من ١ إلى ٤ ٪، وترى النسبة العامة للتعليم فى كل عام ٣٠٪ من الرجال و٥٪ من النساء.

وفى العقدين الأخيرين لوحظ ازدياد عدد المدارس الابتدائية الحكومية، على عكس المدارس المتوسطة فلم يزد عددها، وهذه المدارس كانت منتشرة بكثرة فى كابل ومراكز المدن، وطبقا للقوانين السائدة فإن التعليم الابتدائى والمتوسط مجانى، فوفقا لقانون ١٩٧٩م فإن التعليم الابتدائى إجبارى لجميع الأطفال، لكن هذا القانون لم يعمل به قط.

وطبقا للإحصائية الصادرة من قبل إدارة الإحصاء الأفغانية فى عام ١٣٦٠ هـش/١٩٨١م فإن عدد المراكز التعليمية وعدد طلابها على النحو التالى:

الموضـــوع	عدد المراكز	عدد الطلاب	نوع الدراسة
المدارس الابتدائية	٣٧٩٢	١٠٤٤٩٦٩ طالب	ابتدائى
متوسط إعدادى	٤٢٤	١٢٣١٢٦ طالب	متوسط
هنرستان "الفنون"	٤٤	١٠٨٦٢ طالب	فنى
مراكز التغليم الحرفى	٣	١٥٣٨	فنى
جامعة وكلية الصناعة	٤	١٣٧٩٧	عالٍ، أو جامعى

تعداد المراكز التعليمية والطلاب فى ٨١ – ١٩٨٢

وكان وضع التعليم فى عام ٨١ – ١٩٨٢على النحو التالى:

العنوان	عدد المراكز التعليمية	عدد المدرسين	عدد الطلاب
ابتدائى	٣٨٢٤	٣٥٣٦٤	١١١٥٩٩٣
متوسط	٤٤٤	٦١١٧٠	١٢٤٤٨٨
ثانوى	٤٢	١٠٣٥	١٣٢٠١
مراكز التعليم الحرفى	٣	٢٦١	١٢٣٠
إعداد معلمين	١٤	٣٤٣	٤٤٢٧
تعليم عالٍ	٥	١٢٢٦	١٢٨٦٨

والتعليم فى أفغانستان ثلاثة مستويات: ٦ سنوات تعليم ابتدائى، و٦ سنوات تعليم متوسط (إعدادى وثانوى) ، و ٥ سنوات تعليم جامعى، أما مدة الدراسة – خاصة فى المراحل الابتدائية والمتوسطة – فكانت مناسبة، وسالفا كانت المرحلتان الابتدائية والمتوسطة تستغرقان معا اثنى عشر عاما ، لكن طبقا لبرنامج الخطة الخمسية

١٩٧٩-١٩٨٤م، وبشـأن محـاربة الأمـيـة وإعادة تجديد هيكلة نظام التعليم والأهداف الأخرى ، خُفِّضت المدة إلى عشر سنوات، ثم صارت أحد عشر عاما، وفى عام ١٣٧٠ هـ.ش/ ١٩٩١م زيدت مرة أخرى إلى اثنى عشر عاما.

وتنتشر المدارس الحكومية في المدن الكبرى، ولكنها ليست منتشرة في القرى، وتوجد مكاتب (كتاتيب) تهتم بالشئون التعليمية. وفى العقدين الأخيرين كانت معظم مناطق أفغانستان تحت سيطرة المجاهدين ورقابتهم، فانخفضت المدارس الحكومية، واهتمت بتعليم الأطفال والشباب الأفغاني أكثر، لكن كانت بالأساليب القديمة نفسها، خاصة أن كثيرا من الأسر حتى الآن لا يزالون يفضلون أن يرسلوا أبناءهم إلى الكتاب، وكانوا يتعلمون القرآن والعلوم الدينية فى هذه المكاتب على يد المتصوفة، وفى العقد الأخير، وحيث إن زعماء المجاهدين قد اتصلوا بكل من إيران وباكستان، فقد أخذوا عنهما الأساليب الحديثة والمناهج التعليمية لتطبيقها فى المدارس .

وأفغانستان من حيث الجامعات ضعيفة جدا، وأقدم الجامعات جامعة كابل، التى بدأت عملها فى حدود سنة ١٣١٠ هـ.ش/ ١٩٣١م ، وبها ستون فرعا لتعليم الطلاب، وحتى عام ١٣٧٠هـ.ش/ ١٩٩١م تخرج فيها طلاب يقدر عددهم بـ ٢٥٠٠٠ طالب، وفى السنوات الأخيرة استقلت كليات الطب والكليات الفنية والصناعية والإلاهيات.

وأما كليات جامعة كابل فهى: كلية الحقوق، وكلية الصحافة، وكلية العلوم الاجتماعية، وكلية التعليم والتربية، وكلية الآداب، وكلية الصيدلة، وكلية العلوم، وكلية الطب البيطرى، وكلية اللغات وآدابها، وكلية الجيولوجيا، وكلية الهندسة، وكلية الزراعة.

أما الطلاب الأفغان فمنهم من يدرس بشكل رئيسى فى صورة بعثات فى الجامعات الأمريكية، ومنهم من يدرس فى الجامعات الأوروبية وسائر الدول، وحتى عهد وجود الاتحاد السوفيتى على الساحة الدولية كان أكثر طلاب البعثات الأفغان يدرسون فى الاتحاد السوفيتى، وإضافة إلى هذا فإنه فى أثناء احتلال أفغانستان انشغل عدد من الشباب الأفغانى بالدراسة فى الجامعات الإيرانية والباكستانية، وعلى الرغم من ذلك فإن التعداد العام للطلاب الأفغان قليل جدا، ولا يفى باحتياجات البلاد.

ويسبب انخفاض الدخول وكثرة مشكلات الحياة، وانشغال الشباب فى الأعمال الزراعية وتربية الماشية، وسائر الأنشطة الاقتصادية؛ لا توجد فرصة لدى الطلاب للذهاب إلى الكتاب أو المدرسة، فحال العمل والحياة فى القرى والريف أكثر تعقيدا، ولهذا فعدد قليل يذهب إلى المدرسة أو الكتاب، وعادة فإنهم فى الوقت الذى لا يشتركون فيه فى العمل تجدهم فى المكاتب، ثم يبتعدون عن المدرسة والدراسة حينما تزداد قوتهم على العمل تدريجيا، وهكذا الحال لدى أبناء المهاجرين الأفغان فى كل من إيران وباكستان، يغتنمون فرصة الذهاب إلى المدرسة فى سنوات عمرهم الأولى، ويقل عددهم تدريجيا فى أثناء المرحلة الثانوية.

والكتاب المدرسى واحد من أكبر مشكلات التعليم الأفغانية، فهو غير موجود فى كثير من المدارس، أو أن عدده ليس كافيا، والمعلم يدرس الدروس للطلاب بصورة شفهية، لاسيما المدارس التى كانت تدار من قبل المجاهدين، والتى كانت تواجه نقصا حادا فى الكتاب المدرسى، وبالطبع فإن الكتاب غير المدرسى كان محدودا أيضا، كما أن عدد المكتبات قليل جدا، وعدد الكتب بها محدود، ومدينة كابل من حيث عدد المكتبات أفضل حالا من غيرها من المدن، و فيها مكتبة مركزية بها ١٢٠ ألف مجلد، وخمس مكتبات عمومية أخرى، يتراوح عدد المجلدات فى كل منها ما بين ٨ : ١٠ آلاف مجلد، والملاحظ أن هذا الرقم لا يذكر.

وضع المرأة ودورها

شأن المرأة فى أفغانستان شأن كبير من دول العالم الثالث، فليس لها دور فى الأنشطة السياسية والاجتماعية وإدارة أمور البلاد وسائر الأشياء الأخرى، والتاريخ الأفغانى مذكر ؛ بمعنى أن الرجال هم أصحاب النفوذ والقرار، والنساء فيه مطيعات ومنقادات، وليس لديهن مسئوليات اجتماعية، والاختلاف وعدم التساوى الشديد بين الرجال والنساء هو الفيصل فى هذا الأمر، والمحللون الأوروبيون يعتقدون أن النساء

الأفـغـان فى وضـع سـجن ورق، إذ يـجب عليـهن أن يلدن، وأن يربين أطفـالهن، وأن يشتـغلن فى الأعمـال الزراعية وتربية الماشية، وأن ينجزن الأعمال المنزلية فى الوقت الذى يُمضى فيه الرجال جزءاً من أوقاتهم على المقاهى.

وعـلاوة على الأعـمـال المنـزلية وتـربية الأطفال فى القرى والريف، فإنها تقف فـى سـائر الأعـمال مـع الـرجال كتفا بكتف، وبعض البدويات يضعن الخال (الوشم) فى وجوههن .

وأغلب النساء يشتغلن بالسجاد، ويعمل عدد كبير منهن فى محلات نسج السجاد التى تقام عـادة فى المنازل، وعدد النسـاء اللاتى كن يشـتـغلن فى العـقـد أو العـقـدين الأخيرين فى المراكز الإدارية ومصانع الإنتاج والصناعة محدود جدا، وعدد آخر منهن كان يعمل وفقا لظروف أخرى مشابهة ؛ حيث إن بعضا من مجموعات الجهاد المتشددة أمثال "سياف"، و"حكمتيار" كان يعـارض بشـدة عـمل المرأة فى المراكز السـالفـة، ولا يوافق على إسناد المهام الإدارية وسائر الأعمال العامة للنسـاء .

الحجاب

نسـاء أفـغـانسـتـان مـحـجبات، ويحظى الحجاب باهتمـام بالغ فى أفغانسـتـان، والنسـاء يراعين الحجاب كامـلا. وفى العقود الثلاثة الأخيرة بذلت أفغانسـتـان جهودا مكثفة لإزالة حجاب النساء، لكن توفيقها كان ضئيلا، فشجعوا على رفع الحجاب منذ عام ١٣٣٨هـ.ش/ ١٩٥٩م، كما سعوا إلى ذلك كثيرا أيضا فى أثناء حكم "أمان الله خان" فى سنوات العقد العشرين ١٩٢٠م، وعلى الرغم من هذا فلم يحظ رفع الحجاب بتأييد كبير رغم الدعاية الكبيـرة والكثـيرة "لظاهر شاه" منذ ١٩٥٩م وما تلاها، وتدريجيا - ومنذ أواخر العقد الستين ١٩٦٠م وما بعدها - ظهرت نساء متبرجات فى أماكن متفرقة، ومن بينها الإذاعة والتليفزيون والمراكز الإدارية، وبمرور الزمان تغيرت صورة النساء،

وفى عهد "داود خان" والحكومات الشيوعية كانت الدعاية شديدة ضد الحجاب، ولم تقبل النساء المحجبات فى المراكز الإدارية والتعليمية وغيرها؛ و لهذا أصبحت مشاهدة النساء بدون حجاب كثيرة ومعتادة. وبالقطع فإن التبرج كان يُشَاهد بكثرة فى كابل والمدن الكبرى، أما فى المدن الصغرى والريف فلا تراه مطلقا، ورغم أن كابل تُعد مركزًا كبيرًا للدعاية ؛ فإن النساء اللاتى تخلين عن حجابهن قليلات، واحتفظت الباقيات بحجابهن. وبعد سقوط حكومة نجيب الله ١٣٧١ هـ. ش/١٩٩٢م، وتشكيل حكومة المجاهدين حورب التبرج ورفع الحجاب ؛ فاهتمت النساء بحجابهن سريعا جدا.

الأنشطة السياسية والاجتماعية

كانت "كبرى نورزايي" أولى النساء اللاتى عملن فى الوزارات الأفغانية، فقد اشتغلت منذ ١٣٤٢ حتى ١٣٤٨هـ. ش (٦٣-١٩٦٩م) فى وزارة البريد والصحة الأفغانية، ومنذ ذلك الوقت هناك سيدة أو اثنتان تعملان فى الوزارات الأفغانية. وفى عهد الأنظمة الشيوعية – لا سيما عهد "نجيب الله" – كانت تحدث ضجة كبيرة بسبب اشتراك المرأة فى تشكيل الحكومة. وفى الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٦٥م وجدت أربع نسوة طريقهن إلى المجلس، ومنذ ذلك الوقت وللنساء وجود فى البرلمان الأفغانى، ودائما ما كان يحضره عدد من النساء، وفى عهد حكومة فصائل المجاهدين الحاكمة فى "كابل" وحتى الآن لم يكن للنساء دور يذكر، ولم يكن هناك اهتمام حتى بالبرلمانيات منهن ،وأكثر الفصائل تعارض حضور النساء فى هذا الشأن.

وعلى الرغم من الدعاية فى عصر الأنظمة السالفة، فلم يكن للنساء دور فعال فى الأمور السياسية والاجتماعية وسائر الأشياء المصيرية لهم وللدولة، فقد كانت الحكومات الماضية تدعو النساء للاشتراك فى الأمور السياسية والاجتماعية المختلفة شريطة أن يكن متبرجات، ولم يسند إليهن دور مهم، وكان صراع فصائل المجاهدين مع النساء قويًا، حتى أنهم عارضوا اشتراكهن فى الانتخابات باستثناء بعض الفصائل الشيعية مثل حزب الوحدة الإسلامى، أما أكثر الفصائل الموجودة فتعارض بشدة اشتراك النساء

فى الانتخابات، أو حتى حضورهن فى ساحة الاجتماعات، وترفض رأيهن. وبسبب منع اشتراك النساء فى الأمور الاجتماعية – ومن بينهما التعليم – فإن عدد الطبيبات قليل جدا ؛ ولهذا فإن فحص النساء ومعالجتهن يلقى صعوبة بالغة، خاصة بعض التخصصات التى بها طبيب، فإن بعض أقاربها يصف للطبيب مرضها، فيأخذ لها التعليمات اللازمة. وحرية النساء فى كابل أكثر من سائر الأماكن الأخرى، لذلك فإن النساء يفضلن كابل فى التعليم على سائر الأماكن الأفغانية الأخرى.

عدد النساء فى مختلف الأقسام العلمية التى يتخرج فيها المهندسون وأمثالهم قليل جدا .

لويه جركه (مجلس الأعيان القبلى) Loya Girka :

مجلس القبائل من المؤسسات التقليدية فى المجتمع القومى والقبلى الأفغانى، ويتكون من زعماء القبائل و قادة الفصائل، وهذ المجلس إلى حد ما أشبه ببرلمانات اليوم .

ولـمًا كانت الأعراف القبلية والقومية هى الحاكم الآمر الناهى على المجتمع، فقد أصبح من غير المكن تجاهل دور مجلس القبائل، حيث إن النظام العرفى والقبلى يُلزِمُ أعضاء القوم أو القبيلة باتباع رئيس قومهم أو عشيرتهم، وألا يأخذوا أمرا من غيره، ولهذا فإن كسب تأييد عامة الشعب لا يتم إلا عن طريق تشجيع رؤساء القبائل ومساعدتهم، فإن اشتراك الشعب فى الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها كان لا يتم إلا بمساعدة زعماء القبائل والفصائل، والطاعة أو العصيان لزعماء الأقوام والفصائل كان بمنزلة الطاعة أو العصيان لعامة الشعب.

وسالفا كان القرار بشأن المسائل المهمة والاستراتيجية للمجتمع الأفغانى مثل انتخاب الملك أو رئيس الجمهورية، وإعلان الحرب والسلام، وإصدار القوانين كان يتم عن طريق مجلس الأعيان القبلى.

ومنذ أن شُكِّلت الحكومة الأفغانية فى ١٧٤٧م كان يرتبط تكوينها بمجلس الأعيان القبلى أيضا، وكانت قوانين الحكومة وبرامجها تتم عبر التنسيق مع القادة الأصليين للفصائل والقبائل، وتأتى بعض المؤسسات المهمة فى مجلس القبائل على النحو التالى:

* فى عام ١٧٤٧ م – وطبقا لدستور"نور محمد غلجة زاى" – شُكل مجلس الأعيان القبلى فى"مزار شيرسرخ" فى داخل القلعة العسكرية "نادر آباد"، وبعد تسعة أيام من المباحثات تم اختيار" أحمد خان" ملكا لأفغانستان.

* وفى عام ١٨٦٥م تم تشكيل مجلس الأعيان القبلى بناء على دعوة أمير "شير على خان" ملك أفغانستان، كى يحظى بتأييد الشعب فى ولاية العهد لابنه أيضا.

* وفى أعوام ١٣٠١ – ١٣٠٣ هـ. ش (١٩٢٢-١٩٢٤م) شُكِّل مجلس الأعيان القبلى من أجل إصدار القوانين الأفغانية الأساسية الجديدة. وفى مجلس ١٣٠٣ هـ. ش/ ١٩٢٤م رفضت كثير من مواد القوانين الأساسية المقترحة، والتى كان أمان الله قد اقترحها.

وبعد الرحلة الطويلة نسبيًا "لأمان الله" إلى أوربا شكل مجلس الأعيان القبلى فى ١٣٠٧ هـ. ش/ ١٩٢٨م ؛ كى يعرض "أمان الله" تقرير سفره إلى أوربا ضمن فعاليات المجلس، ويقر القانون الأساسى للدولة، وفى هذه الجلسة حث على رفع الحجاب وظهرت زوجة الملك وقد رفعت النقاب عن وجهها.

* وفى عام ١٣٠٩ هـ. ش/ ١٩٣٠م شُكِّل "مجلس الأعيان القبلى" مرة أخرى، وأقِرَّ فيه الدستور الأساسى للدولة، وظل هذا القانون ساريا حتى سنة ١٣٤٣هـ. ش/١٩٦٤م ،وأقِرَّ فى هذا العام قانون أساسى جديد.

* ووفقا لرأى مجلس الأعيان القبلى فى سنة ١٣٢٠ هـ. ش/١٩٤١م أعلن عدم انحياز أفغانستان فى الحرب العالمية الثانية.

* وشكل مجلس الأعيان القبلى "البرلمان" فى سنة ١٣٤٣ هـ. ش/١٩٦٤م كى يقر الدستور الأساسى الجديد، والذى كان مبنيًا على الإصلاحات، وافتتح هذا المجلس فى

كابل ببيان "ظاهر شاه"، وأقرت فيه القوانين الأساسية الجديدة، وهذا القانون قد أُبْطِل العمل به بعد انقلاب "داود خان" في سنة ١٣٥٢هـ. ش/١٩٧٣م.

* وفي سنة ١٣٥٥هـ. ش/١٩٧٦م شُكِّل مجلس آخر كي يقرَّ الدستور الأساسي المقترح من قبل داود خان بعد الانقلاب.

* وفي سنة ١٣٥٩هـ. ش/١٩٨٠م شُكِّل مجلس الأعيان القبلي لإقرار الدستور الأساسي الجديد، وهذا البرلمان كان في عهد الحكومة الشيوعية الأفغانية، وفي زمانها شُكلت مجالس الأعيان القبلية بكثرة في سنوات ١٣٦٠هـ. ش/١٩٨١م و ١٣٦٤هـ. ش/ ١٩٨٥م و١٣٦٥هـ. ش/ ١٩٨٦م و ١٣٦٦هـ. ش/ ١٩٨٧م و ١٣٦٧هـ. ش/١٩٨٨م. وعادة ما كان يُشَكَّل مجلس في كل عام كي يعقِّب على أهداف النظام ، فمثلا مجلس ١٣٦٣ هـ. ش/١٩٨٤م كان قد أعدَّ لإقرار مشروعية النظام، ومجلس ١٣٦٧هـ. ش كان قد أُعِدَّ لإقرار الدستور الأساسي الحديث لأفغانستان في سنة ١٣٦٦هـ. ش.

المشكلات الاجتماعية والثقافية

أفغانستان موطن لشعب قومي، فالعادات والأعراف هي الحاكم النافذ فيه، والنظام القبلي هو الحاكم في المجتمع الأفغاني، ولهذا النظام بعض المزايا لكن أضراره أكثر.

أ - المزايا: الشيء الذي يمكن ذكره على سبيل المزايا أنه على طول التاريخ الماضي لم يوفق الحكام والحكومات الأجنبية توفيقا كاملا في بسط نفوذهما وسيادتهما على جميع أفغانستان أو السيطرة عليها إلا قليلا، وقد أشار "جان كريفيتس" في كتابه إلى أن كل مهاجم أغار على أفغانستان ووجه بالهزيمة والقتل، ولو حالفه التوفيق فلا يصبح بمقدوره المحافظة عليها، فمثلاً "الإسكندر الأكبر" على الرغم من أنه وفق في فتح هذه البلاد في سنة ٣٢١ قبل الميلاد، فإنه لم يستطع أن يسيطر على أهلها على الإطلاق، وطوى خلفاؤه الطريق سريعا بعده، واستطاعوا فقط أن يتحكموا في جزء بسيط من أفغانستان لبضعة عقود.

كـان "ظهـير الـدين مـحـمـد بن بـابر" مـؤسس الإمـبـراطورية الهندية (عـصـر التيموريين أو البابريين فى الهند) أول من وصل إلى الحكومة فى أفغانستان، ثم أغار على الهند بعد ذلك بفترة وكون إمبراطوريته فى شمال الهند، وأحد أسباب خروج "بابر" من أفغانستان وتكوين إمبراطورية فى الهند أنه لم يكن فى مقدوره أن يخضع القبائل الأفغانية لسطوته، وحينئذ أدرك أنه من الممكن أن يحتل أفغانستان، ولكن ليس فى وسعه أن يتحكم فيها إطلاقا، ولم يستطع خلفاء "بابر" السبعة عشر أن يهيمنوا على أفغانستان كلها، حتى بعد انتصار المغول على أفغانستان كانت هناك عدة تأثيرات وكان تأثيرها مؤقتا، كما أن الإنجليز أيضا - مع كامل قواتهم - لم يتمكنوا من إخضاع القبائل الأفغانية إخضاعا كاملا وفق إرادتهم لمثل هذه الأسباب، وفى عقد الثمانينيات ظهر هذا الأمر جليا أيضا، وهو أن الاتحاد السوفيتى بما له من قدرة وهالة وجيش بهذه العظمة لم يتمكن من أن يخضع أفغانستان لسطوته.

ب - العيوب: أما عيوب النظام القبلى فكثيرة أيضا، فالعادات العرفية والقبلية أسيرة للعهود القديمة والراسخة للمجتمع البشرى الأفغانى. كما أن هذا النظام عادة يكون ممزوجا بالنظام الإقطاعى، وكلاهما يُعَد من مظاهر التخلف، فقد كان قليل من الملاك يسيطر على القسم الأعظم من الأراضى الأفغانية، وكان المزارعون من كل حدب يفتحون أعينهم طمعا لنوالها ، وعلى الرغم من أن "تره كى" و"أمين" قد وَزَّعَا جزءا من الأرض فإنهما كانا يتحكمان فى منابع المياه.

وكان النظام القبلى عاملاً أساسيًّا لمنع التقدم والرقى بالشكل المعهود اليوم ، فالمجتمع المتطور أو النامى مجتمع متحد نسبيا إلى حد ما، وحال أفغانستان متفرق ومتشتت، والنظام القبلى فرق الشعب إلى أقوام وفصائل، وأدَّى إلى تنافر وتقاتل بسبب وبدون سبب، ولذا فلم يكن للحكومة القدرة الكافية فى أى وقت على السيطرة على أى من أراضى الدولة، وكان نفوذها محدودا على "كابل"، أما المدن والولايات فكانت تخضع لسطوة الزعماء المحليين ورؤساء القبائل. والحكومات التى كانت توفق هى تلك التى كانت توحد هذه القبائل، فقد حالف التوفيق عدداً قليلاً من هذه الحكومات، ومن

بينها حكومة "أحمد خان إبدالى" الذى شكل إمبراطورية القبائل الصغيرة، وكان توفيقه هذا سببا فى جعل القبائل تغير على الهند، فكانت الفصائل والطوائف تتحد فيما بينها بهدف الحصول على الثروة والغنيمة. وقد تزامن اتحاد القبائل الأفغانية المؤقت فى عهد السلطان محمود الغزنوى، وبابر، وأحمد خان إبدالى فقط. والمثير أن هذا الاتحاد المؤقت كان بهدف الهجوم على الهند لكسب الثروة والغنيمة.

والنظام القبلى هو سبب الافتراق والاختلاف، بالإضافة إلى أن الرقابة الحزبية والعنصرية أيضا مانع من موانع الوحدة والاتحاد، وهذا المعنى كان واضحا حتى فى صفوف المجاهدين، فعلى الرغم من أن الغزو الخارجى كان عاملاً من عوامل الوحدة والاتحاد، فإن المجاهدين كانوا يقاتلون متفرقين وفى صورة جماعات فى حالة القتال مع الغزو الخارجى، وبعد خروج العدو الأجنبى كانت المعارك الفصائلية والمواجهات القبلية تتزايد بشدة.

المجتمع القومى والقبلى الأفغانى مجتمع الحكم الديكتاتورى، ولذلك فإن روح التمرد أو طلب الاستقلال كانت واحدة من أكبر الظواهر البارزة والراسخة فى تاريخ الأرض الأفغانية، والتمرد والتعصبات الشديدة من خواص المجتمع القبلى والعرقى، ولهذا فإن روح التطرف والتعصب فى الاستقلال والحرية كانت قد أخذت شكلاً قويا للدفاع عن جميع أراضى القبيلة وناموسها.

لم تكن القوانين الأساسية والأمنية والنظم العامة كافية وكاملة فى أى وقت من الأوقات، لأن توسعة القوانين الأساسية وزيادتها، وتقوية الحكومة وقدرتها كانت تتعارض مع الاستقلال الداخلى للقبائل والفصائل العرقية، فمن جانب كانت الفصائل والقبائل تعمل على نيل حريتها واستقلالها، ومن جانب آخر كانت الحكومات تسعى إلى تثبيت قدرتها وسيطرتها على المجتمع؛ لهذا كانت القبائل والفصائل فى صراع وحروب وخصومة دائمة مع الحكومات، وقد بلغت هذه الخصومات حد النهاية.

بعض من جذور الخصومة

الكثير من جذور هذه الخصومات ناشئ عن الإجراءات الاحتكارية التى كانت تقوم بها الحكومات؛ فالحكومة منذ قيامها فى أفغانستان وبداية تشكيل نظامها السياسى فى ١٧٤٧م، وحتى اليوم ١٩٩٢ م كانت حكومة قبلية وعنصرية، ولهذا فإن الحكومة لم تكن تستطيع أن تتجاهل مشاعر القبيلة التى ساندتها حتى وصلت إلى سدة الحكم ومطالبها، فعادة ما كانت الحكومات متأثرة بالمطالب والحساسيات العرقية والقبلية، ولهذا فإن حقوق الآخرين كانت معدومة ؛ لأن الحكومة كانت فى الغالب تعمل على تقوية مكانة القبيلة التى تقف وراءها وتراعيها فيما يعود بالنفع عليها.

ومنذ عام ١٧٤٧م وحتى نهاية عام ١٩٩١م كان حكم "البشتون" مسيطرا على أفغانستان، وكانت جميع الامتيازات والإمكانيات المتاحة فى خدمتهم، ولم يكن ممثلاً فى الوزارات الأفغانية سوى شخصين من غير البشتون، وكانت تسند إليهما المناصب الجانبية ؛ فمثلا بعض الوزرات مثل وزارة الدكتور يوسف فى عام ١٩٦٣م لم يكن بها وزير من غير البشتون. ووزارة الإعلام كان بها أربعة أشخاص فقط من غير البشتون، وكانت الإمكانيات الأخرى أيضا تحت تصرف البشتون، فمثلا كبرى المشروعات الزراعية كانت تتم فى المناطق التى يقطنها البشتون، مثلما حدث فى خوست، ودره هيرمند، فالدراسات المتعلقة بإنشاء غابة فى "على خل"، والاستفادة من إمكانيات الطاقة الهيدروليكية ونظام المياه الارتوازية فى "ننكرد"، بل والنهوض بالمشروعات الزراعية فى بعض المناطق الشمالية فى "كندوز" وعلى طول نهر"جيحون" ما كانت تتم لولا أن قاطنيها كانوا من البشتون.

فكل بشتونى كان يجد نفسه ملكا واختياره فرضًا، وكان على أفراد القبائل الأخرى أن تقبل بعلوه وتقتدى به. هذه الإجراءات العنصرية كانت تثير وتحرك الفصائل والقبائل الأخرى، فكانت تبدى مقاومة شرسة دفاعا عن مطالبها أمام ضغط البشتون، وكانت مقاومة القبائل الأخرى للبشتون تتسم برد الفعل الشديد والعنيف ؛ ولهذا كانت هناك إجراءات شديدة وصارمة تصل إلى سفك الدماء والوحشية، ومن

الجدير بالذكر أنه كانت هناك رقابة صارمة جدا على السلوكيات حتى بين فصائل وقبائل البشتون المختلفة، فكل قبيلة بشتونية كانت تراقب قبيلة بشتونية أخرى.

وعلى الرغم من التغيرات الكثيرة والمتنوعة التى حدثت فى المجتمع الأفغانى، فإن التغيرات فى أرض هذه الدولة وشعبها محدودة ، فالمجتمع الأفغانى مجتمع متفرق وتوحيده تحت مظلة حكومة واحدة أمر صعب جدا ؛ ولهذا فالحكومة التى تكون موضع قبول من جميع الفصائل هى حكومة نادرة الوجود.

ويرى أحد المحللين الغربيين أن أفغانستان بلد يحكم بالسيف فقط، ولا يخضع لسيطرة القلم والقانون مثلما هو الحال فى ظل مجتمع متحضر، لأن التقدم والتحضر والتطور يأتى فى ظل حكومة القلم والدستور والنظام الديمقراطى، لا فى ظل السيف. لكن أفغانستان ما زالت تحكم بالسيف، ففى القرى أيضا لا يزال الحكم للخان، وهو لا يعرف القلم ولا القانون، وتأتى الجذور الأخرى للمشكلات الأفغانية على النحو التالى :

١) سوء الجغرافيا الطبيعية، فأكثر من نصف أرض أفغانستان مغطى بالجبال والمرتفعات والصحارى، وإمكانيات المرور فيها ضعيفة، والطرق سيئة جدا، والاتصالات قليلة والشعب يعيش بعيدا عن بعضه البعض.

٢) سوء الموارد الاقتصادية وضعف الدخول.

٣) انخفاض مستوى التعليم والثقافة العامة، وهذا راجع إلى العاملين السابقين.

٤) قلة الطرق المعبدة فى أفغانستان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وسائل النقل محدودة. وهاتان المشكلتان كان لهما نتائج غير طيبة نجمل بعضا منها فيما يلى:

عزوف الأجانب الذين يسافرون إلى أفغانستان أو يعملون فيها عن التنقل بين أرجائها، وترتب على ذلك أن أصبحت التعاملات المختلفة - وخاصة الثقافية - محدودة جدا.

كما كان السفر إلى الأماكن الأفغانية المختلفة يعد مشكلة أيضا بالنسبة للأفغان؛ فعلاوة على مشكلة الطرق ووسائل النقل كانت هناك مشكلة أخرى بالنسبة للأماكن تتمثل فى عدم وجود المساعدات الاقتصادية والاجتماعية وقلة الدخل فى هذه البلاد، كل هذا كان مانعا من أن يتجول الأفغان فى بلادهم، أو أن يسافروا إلى العالم الخارجى، ويستفيدوا من تجارب الدول المختلفة وتقدمها وتطورها .

والخلاصة أنه قد بقى الأفغان جاهلين بتجارب البلدان الأخرى وتقدمها ونموها، والإنسان أو المجتمع الذى يكون جاهلا بتاريخ العالم وتطوره يعتقد أن ما تحت يديه هو أفضل شيء، وهذا لا يؤدى إلى حدوث تطور ونمو بالشكل المطلوب.

كما أن سفر الأفغاني داخل بلاده كان يواجه مشكلة أخرى هى ذلك النظام القومى والقبلى ؛ فهذا النظام جعل المجتمع الأفغانى مجتمعا مغلقا ؛ لأن الحساسية القبلية ترفض أفراد القبائل الأخرى.

ومن حين لآخر كانت الحكومات الأفغانية تسعى للقضاء على النظام القومى والقبلى لكن لم يحالفها التوفيق، حيث إن محو هذين النظامين يتطلب رفع مستوى التعليم والثقافة العامة، ورفعهما لا يتم إلا بتوسعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية واستقرار النظام الديموقراطى، وقد سعى كل من "عبد الرحمن خان"، و"أمان الله خان"، و" داود خان"، و"تره كى" لكى يمحوا النظام الاجتماعى العرقى والقبلى، ولكنهم لم يوفقوا، لأن خطواتهم لم تكن متلائمة مع الحركات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خاصة الديمقراطية، ولأنهم كانوا يقعون تحت تأثير العصبية القبلية لقبائل البشتون. وتحسين الأوضاع المالية والاقتصادية والسياسية يلعب دورا مهمًا فى محو هذا النظام القبلى، ومن ناحية أخرى فطالما كان النظام الاجتماعى قائما على التفكير والحساسية القبلية فإنه من غير الممكن القضاء على النظام الإقطاعى؛ لأن أصحاب الأملاك عموما كانوا زعماء القبائل، ومن الطبيعى أن الزعماء لن يتخلوا عن مصالحهم التى تتحقق فى ظل الإقطاع.

الفصل الخامس

وسائل الإعلام

وكالة الأنباء

تؤدى وسائل الإعلام والاتصال جميعها دورا محدودا فى أفغانستان، فوكالة الأنباء الأفغانية منذ أن بدأت نشاطها سنة ١٩٣٩م، كانت تحت إدارة وزارة الثقافة والاتصالات.

الإذاعة والتليفزيون

الإذاعة والتليفزيون لا يُهتم بهما كثيرا فى "أفغانستان" حتى فى "كابل"، وتأثيرهما محدود جدا ولم يَتَبَوأْ امكانتهما اللائقة حتى الآن، ونشاط الإذاعة أكثر من التليفزيون، ففى سنة ١٩٧٦م كان عدد الأجهزة الإذاعية المستقبلة ١١٥٠٠٠، لكن عددها الفعلى غير محدد.

وقد بدأ بث الإذاعة منذ ١٣٢٠هـ. ش/١٩٤١م، وكان لفترة وجيزة موجها لكابل، وحتى نهاية سنة ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م لم تكن برامج الإذاعة تستمر طوال اليوم، وعادة ما كانت تبدأ منذ الصباح حتى ثلث الليل، ولكن بعد تشكيل حكومة المجاهدين وبسبب الصراعات انخفض البث الإذاعى ولم يتجاوز عشر الساعات يوميًا. وبرامج الإذاعة كانت تبث باللغات الفارسية (الدرية) والبشتون، وكانت تبث بعض البرامج بواحدة من اللغات التالية أيضا: (التركمانية، البلوج، نورستانى، البشايى)، وتوجد محطات محلية فى خمسة عشر إقليماً، وإضافة إلى بث البرامج العامة كانت البرامج المحلية تبث أيضا لعدة ساعات.

بدأ البث التليفزيوني منذ سنة١٣٥٧هـ. ش/١٩٧٨م، وقد واجه في بدايته ثورة الأثوار السبعة في ٢٧ أبريل، وقبل الاعتداء العسكري السوفيتي كان يوجد ٢١,٠٠٠ محطة استقبال تليفزيوني، وكانت مدينة كابل أهم ساحة نشطة للتليفزيون، أما سائر المدن فكانت تحصل على البرامج التليفزيونية لكن مع التأخير، وكان تليفزيون كابل – وعن طريق الأقمار الصناعية – يبث للمدن، أو كانت البرامج تُسَجَّل وتبث عن طريق أرض – جو لبعض مراكز المحافظات.

كانت ساعات بث البرامج التليفزيونية حتى نهاية عام ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م محدودة، وبعد تشكيل حكومة المجاهدين وحتى أواسط صيف ١٣٧١هـ.ش كانت ساعات بث البرامج التليفزيونية لا تتجاوز ٥ : ٧ ساعات، وفي العشرين من أمرداد ١٣٧١ هـ. ش وعلى أثر الهجوم الصاروخي من قبل "قلب الدين حكمتيار" على كابل أصيبت محطة تليفزيون كابل وتوقفت عن العمل مؤقتا.

وتليفزيون أفغانستان لا يملك أكثر من قناة لبث البرامج، ولكن في أثناء احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان في أواخر ١٩٩١م كانت هناك قناتان للتليفزيون السوفيتي، كانتا تبثان في كابل وأجزاء من أفغانستان مباشرة، ولكن انقطع إرسالهما بعد سقوط حكومة نجيب الله في أوائل ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م.

ولم تكن مادة البرامج التليفزيونية جيدة، وكانت قبل حكومة المجاهدين تعتمد على الأفلام الهندية كثيرا، كما كان بثها محدودا أو متوقفا، وأكثر البرامج والأفلام التي تحظى بنسبة عالية من المشاهدين في التليفزيون الأفغاني هي البرامج والأفلام والمسلسلات الإيرانية.

[السينما]

إن السينما في أفغانستان ضعيفة، فعدد دور السينما في أفغانستان حوالي ١٤ دار سينما، وقبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلاميين كانت الأفلام التي تعرض في السينما أفلاما هندية، وفي الوقت الراهن تم وضع قيود على عرض هذه الأفلام، وعلاوة على ذلك أصبحت السينما معطلة أو شبه معطلة منذ صيف سنة ١٩٩٢م.

تم افتتاح نوادى لعروضه فى أفغانستان مثل كثير من الدول، وتمكن عدد من شرائه، لكن غالبية الناس ليست لديهم القدرة على شراء هذا الجهاز.

التليفون

فى سنة ١٩٧٦م كان عدد خطوط التليفونات فى أفغانستان يبلغ ٢٨,٠٠٠ خط، ثم وصل عدد هذه الخطوط فى عام ١٩٧٨م إلى ٣١,٠٠٠ خط، وتستأثر كابل بالنصيب الأعظم من هذه الخطوط، وطبقا لبرنامج الخطة الخمسية (٧٩ - ١٩٨٤م) كان من المقرر أن يصل هذا العدد إلى ٤٠,٠٠٠ خط، ولكن هذا الأمر لم يتحقق. وفى صيف ١٣٧١ هـ . ش/١٩٩٢م أعلنت الحكومة الإسلامية للمجاهدين الأفغان أنه يوجد ٢٨,٠٠٠ خط تليفون فى أفغانستان منها ٢٥,٠٠٠ خط فى كابل.

وتوجد التليفونات فى بعض مراكز المحافظات، وتفتقر أكثر المدن إلى وجود التليفون، ولا توجد بها وسيلة اتصال سريعة مؤثرة.

الصحافة

تأتى الصحافة على النقيض من الإذاعة والتليفزيون والتليفون والسينما، فاستخدامها أوسع وأكثر رواجا، وظهرت الصحافة (متمثلة فى الجرائد- والمجلات - وسائر النشريات المشابهة) بشكل واسع جدا، وذلك بالنظر إلى الإمكانيات الموجودة فى أفغانستان، بل وصلت إلى حالة من التطرف، وبعبارة أخرى فإن ضعف الإذاعة والتليفزيون أدى إلى الإفراط فى النشريات، وبالطبع فإن إصدار النشريات كان من الأهداف القومية والجهادية لمختلف فصائل المجاهدين. وحتى قبل سنة ١٩٧٩م كانت الصحافة تستخدم فى أفغانستان على نطاق محدود، وفى عام ١٩٧٤م كانت الجرائد والمجلات المنشورة توزع ٤٩٩,٠٠٠ نسخة، وفى عام ١٩٧٥م كان توزيع ١٧ إصدار يبلغ ٥٥٤,٠٠٠ نسخة بواقع ٢٧ نسخة لكل ألف مواطن، لكن منذ ١٩٧٨م وما تلاها - خاصة منذ الاعتداء العسكرى الروسى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م - تغير الحال تماما،

فمنذ ١٩٨٠م وما تلاها - إضافة إلى الجرائد والنشريات الحكومية - طبعت نشريات أخرى كثيرة من قبَل الفصائل المختلفة للمجاهدين، ومنذ أعوام ١٩٧٩ وما تلاها شكلت الفصائل السياسية للمجاهدين تدريجيًا. وكان كل منها ينشر ويطبع الجرائد والنشريات بشكل مستقل ومتفاوت ودورى، ولم يكن لإحداها انتشار واسع، ولكن كان عددها كبيرا إلى حد ما، ولا يتسع المقام لذكرها هنا، وقد كان بعضها يصدر بشكل دائم وبعضها الآخر كان يصدر بشكل مؤقت، وكانت إمكانيات النشر محدودة جدا لدرجة أن بعض الإصدارات تصدر لمرة واحدة. وسنذكر فيما يلى عددا من الإصدارات المنشورة من جانب الحكومة وفصائل المجاهدين حتى نهاية سنة ١٩٩١م. وجدير بالذكر أن كثيرا من هذه الإصدارات لم تطبع منذ أوائل سنة ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م، وكان بعض من هذه الإصدارات يصدر عن حكومة نجيب الله، وتم إيقافها بعد سقوط الحكومة، كما كان عدد آخر يصدر عن فصائل المجاهدين، ولم تكن تصدر فى الغالب حتى شهر مهر ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م، وكثير من نشريات المجاهدين كانت تصدر فى باكستان، ولما أصبحت أعمالهم هناك شبه معطلة عادوا إلى أفغانستان. وبناء على هذا فإن الجرائد والنشريات التى سيرد ذكرها هى الرائدة، وهى التى كانت تصدر حتى نهاية عام ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م.

النشريات الخاصة بفصائل المجاهدين

	اسم الدورية	الحزب أو الفصيلة التابعة له
١	مشعل (بالأوردية)	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٢	ميثاق خون	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٣	نشرية إرشاد	وزارة الإرشاد فى الحكومة الأفغانية المؤقتة فى بيشاور
٤	روغتيا	وزارة الإرشاد فى الحكومة الأفغانية المؤقتة فى بيشاور
٥	خراسان	أفغان شمال كاليفورنيا
٦	الأفغان فى صحافة العالم	(مجلة شهرية أفغانية فى الصحافة العالمية)
٧	مجلة الشهادة	الحزب الإسلامى لحكمتيار

٨	مجلة البدر	الحزب الإسلامى لحكميتار
٩	مجلة الشفق	الحزب الإسلامى لحكمتيار
١٠	مجلة الموقف العربى	الحزب الإسلامى لحكمتيار
١١	مجلة الهجرة	حزب حكمتيار الإسلامى
١٢	مجلة الموقف (بالإنجليزية)	الحزب الإسلامى لحكمتيار
١٣	مجلة الجهاد (بالعربية)	حزب حكمتيار الإسلامى
١٤	مجلة الأمل ونشرة الأمل	حزب حكمتيار الإسلامى
١٥	البنيان المرصوص	حزب الاتحاد الإسلامى (سياف)
١٦	مجلة المجاهدين (باللغة الإنجليزية)	حزب حكمتيار الإسلامى
١٧	المجاهدون (بالعربية)	حزب الجمعية الإسلامى
١٨	مجلة الحق بالدم	حزب الاتحاد الإسلامى
١٩	الاتحاد الإسلامى	حزب الاتحاد الإسلامى
٢٠	مجلة رسالة المجاهد	حزب الاتحاد الإسلامى
٢١	جهاد (بالأوردية)	مولوى بلال الدين حقانى
٢٢	مجلة منبع الجهاد	مولوى جلال الدين حقانى
٢٣	مجلة الدعوة	مولوى جميل الرحمان
٢٤	مجلة محاذ	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٥	مجلة أفغانستان (بالإنجليزية)	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٦	مجلة محاذ (بالأوردية)	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٧	مجلة العربى	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٨	مجلة الإنقاذ	منظمة الإنقاذ الوطنى
٢٩	مجلة الإنقاذ (بالإنجليزية)	منظمة الإنقاذ الوطنى

٣٠	مجلة الإنقاذ (بالعربية)	منظمة الإنقاذ الوطنى
٣١	مجلة البشارة	حزب حركة الثورة الإسلامى الأفغانى
٣٢	مجلة عاشوراء	مجلس الرقباء
٣٣	أفغان الجهاد	حزب الشورى الثقافى
٣٤	الفتوى	علماء الحنفية الأفغان
٣٥	مجلة المجاهد	حزب الجمعية الإسلامى الأفغانى
٣٦	رسالة العروة الوثقى	جمعية العلماء
٣٧	القسط	جماعة محمد أمين فروتن
٣٨	القسط	مجموعة الكتاب المتفرعين عن محمد أمين فروتن
٣٩	رسالة المرأة	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٤٠	رسالة الشهيد	الاتحاد الإسلامى للمجاهدين
٤١	النساء المسلمات	الحزب الإسلامى لحكمتيار
٤٢	رسالة الحق	اللجنة الثقافية لاتحاد المجاهدين
٤٣	البصيرة	حزب عبد الأحد مشرفى
٤٤	الجهاد المبين	الاتحاد الإسلامى لأفغانستان الحرة
٤٥	شهادة الشباب	الحزب الإسلامى – حكمتيار
٤٦	صورة الشهيد	الحزب الإسلامى – حكمتيار
٤٧	جهادريز"المتقطر"	حزب حركة الثورة الإسلامية الأفغانية
٤٨	أفق	الحزب الإسلامى – حكمتيار
٤٩	النفيرالعالمى (بالعربية)	حزب الاتحاد الإسلامى للمجاهدين الأفغان
٥٠	فداء الحق	حزب الحركة الإسلامية الأفغانية
٥١	الوحدة الإسلامية	حزب الاتحاد الإسلامى
٥٢	البصيرة	حركة الثورة الإسلامية الأفغانية (مجموعة مولوى موزان)
٥٣	الرسالة الإسلامية	المجموعة الإسلامية الحرة

٥٤	مثل المجاهد	حزب حركة الثورة الإسلامية الأفغانية (مجموعة مولوى موزان)
٥٥	كوثر	مجموعة محمد أمين فروتن
٥٦	كوثر	شورى الكتاب المتفرع من فروتن
٥٧	الشعب الأفغانى	فصلية (مجموعة) الشعب الأفغانى
٥٨	الشباب العربى	فصلية غير محدودة
٥٩	رسالة الجهاد	حزب الحركة الإسلامية الأفغانى
٦٠	المصباح	المجموعة الإسلامية الحرة
٦١	نداء جند الله	حزب الإنقاذ الوطنى
٦٢	النور	الحزب الإسلامى – يونس خالص
٦٣	الشباب المسلم	النهضة الإسلامية الأفغانى
٦٤	الصادقون	حزب الإنقاذ الوطنى الأفغانى
٦٥	جبهة الحق	حزب الإنقاذ الوطنى الأفغانى
٦٦	نشرة الفلق	المجموعة الإسلامية الأفغانية الحرة
٦٧	أردو	وزارة الدفاع للحكومة الأفغانية المؤقتة فى بيشاور
٦٨	الشاهد	الحزب الإسلامى حكمتيار
٦٩	صبح الانتصار	وزارة الإرشاد فى الحكومة الأفغانية المؤقتة فى بيشاور
٧٠	مجلة التنوير	وزارة الإرشاد فى الحكومة الأفغانية المؤقتة فى بيشاور
٧١	الجريدة الحرة	المجموعة الإسلامية الحرة التابعة لحكمتيار
٧٢	عملى ويتا	الدارسون والشباب
٧٣	الحكومة الإسلامية	مجموعة أحمد شاه
٧٤	المقاومة	الجمعية الديمقراطية (المقر : أمريكا)

٧٥	المؤمنات	اللجنة الإسلامية للأخوات
٧٦	مجاهد ولس	المجموعة الإسلامية الحرة
٧٧	الجهاد	الإمارة العامة لوتر
٧٨	الصبح (بالعربية)	الحزب الإسلامي – حكمتيار
٧٩	الإرشاد	جمعية العلماء (عن حركة الثورة الإسلامية الأفغانية)
٨٠	حقيقة الإسلام	جمعية الطلاب (عن حركة الثورة الإسلامية الأفغانية)
٨١	الاستقلال	جبهة اتحاد طلاب (الثورة الإسلامية الأفغانى)
٨٢	والفجر	وحدة العلماء الأفغان
٨٣	جبهة الجهاد	جبهة الإنقاذ الوطنى الأفغانى
٨٤	الخلق	فصيلة غير محدودة
٨٥	الرسالة العربية الشهرية (نصرة)	حركة الثورة الإسلامية الأفغانى مجموعة مولوى مؤذن
٨٦	التجلى الوحدة	رسالة إخبارية لحزب الوحدة الإسلامى الأفغانى
٨٧	بيك (المبعوث)	حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى
٨٨	بولتن خبرى	حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى
٨٩	الرسالة الأسبوعية (الوحدة)	حزب الوحدة الإسلامية الأفغانى
٩٠	الدارس	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٩١	البشارة	نشرة إخبارية لحزب الوحدة الإسلامية الأفغانى
٩٢	مجلة رسالة بلخ	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى
٩٣	لواء الحق	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى
٩٤	توحيد الهدف	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى
٩٥	مجلة الفتح	حزب الله الأفغانى
٩٦	حبل الله	حزب الوحدة الإسلامية الأفغانى

٩٧	ميثاق الوحدة	حزب الوحدة الإسلامية الأفغانى
٩٨	رسالة هراة، هراه	حزب محاذ الوطنى الأفغانى
٩٩	دورية باللغة العربية	الوحدة الإسلامية للجهاد الإسلامى الأفغانى
١٠٠	الرسالة الأسبوعية (الأخوة)	مجموعة غير محدودة
١٠١	ميثاق الدم	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى
١٠٢	العدالة	لجنة قضاة أفغانستان
١٠٣	الاستقامة	حزب الحركة الإسلامية الأفغانى
١٠٤	أفغان نيوز (بالإنجليزية)	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى
١٠٥	أفغانستان فى إذاعات العالم	وزارة الدعوة والإرشاد، الحكومة المؤقتة فى بيشاور

النشريات الخاصة بفصائل المجاهدين

١	جريدة هيواد	
٢	جريدة القلم	لجنة الكتاب الأفغان
٣	جريدة الصبح الجديد	
٤	جريدة كابل تايمز (بالإنجليزية)	
٥	جريدة أنيس	
٦	جريدة نظرة قومية	
٧	جريدة اتفاق سلام	
٨	جريدة الرسالة	المجلس المركزى للحزب الوطنى
٩	جريدة الوطن	
١٠	جريدة الإرشاد الإسلامى أو الحق	تصدر مرة كل أسبوعين
١١	الرسالة الأسبوعية أنيس	
١٢	الاتحاد الوطنى	

١٣	مجلة سباوون	
١٤	مجلة الآداب	
١٥	مجلة الصبح	
١٦	مجلة النور	
١٧	مجلة الضياء	
١٨	جريدة اتحاد	
١٩	جريدة رسالة الحق	
٢٠	جريدة جاوزجات	
٢١	جريدة منكار هور	
٢٢	فصلية عن الصحة العامة الأفغانية	
٢٣	شهرية (العلوم الأكاديمية الأفغانية)	
٢٤	فصلية (إقليم أفغانستان)	
٢٥	مجلة رسالة الحق	
٢٦	فصلية بالإنجليزية (أفغانستان)	
٢٧	شهرية عجلة الحياة الحزبية	
٢٨	فصلية مجلة أريانا	
٢٩	أسبوعية مجلة ننكرهار	
٣٠	الصوت (تصدر مرة كل أسبوعين)	
٣١	مجلة رعنا (شهرية)	
٣٢	مجلة المعادن والصناعة فصلية	
٣٣	ميرمون (شهرية)	
٣٤	الاقتصاد (أسبوعية)	
٣٥	كرانه (الساحل) (شهرية)	
٣٦	أرفان (شهرية)	
٣٧	كاميكو ترابنس (أسبوعية)	

	الجغرافيا (شهرية)	٣٨
	كابل (شهرية)	٣٩
	گوارش (أسبوعية)	٤٠
	(هراة) (شهرية)	٤١
	هيمند (أسبوعية)	٤٢
	حقيقة الجند (تصدر ثلاث مرات أسبوعيا)	٤٣
	مجلة پيام حق"رسالة الحق" (أسبوعية)	٤٤
	مجلة زندگى "الحياة"	٤٥
	مجلة پامير (أسبوعية)	٤٦
	مجلة سيستان (أسبوعية)	٤٧
	مجلة أروند (تصدر ثلاث مرات شهريا)	٤٨
	سراميشت (رسالة شهرية)	٤٩
	تنظيم الأسرة (رسالة شهرية)	٥٠
	هيواد (رسالة شهرية)	٥١
	التعليم والتربية (رسالة شهرية)	٥٢
	الليل (أسبوعية)	٥٣

مؤسسات النشر

وخلافا للمطبوعات التى كان عددها كبيراً نسبيا وكانت تطبع من حين لآخر دون ضابط وبدون تاريخ نشر على الوجه الدقيق، كانت تطبع بعض الكتب بشكل محدودة جدا. كما كان عدد هيئات النشر ومؤسساته قليل أيضا إضافة إلى ضعف إمكانياتها. وهذه المؤسسات على النحو التالى :

١	مؤسسة نشر الكتاب
٢	النشر التعليمى
٣	مؤسسات النشر الحكومية
٤	مؤسسة النشر الأفغانية
٥	كتاب الأفغان
٦	لجنة تاريخ أفغانستان
٧	المؤسسة الجغرافية
٨	أكادمى يشتو
٩	المطبوعات الجامعية فى كابل

رقابة الحكومة على وسائل الإعلام

وفى عقد الثمانينيات وأوائل التسعينيات انقسمت الجرائد والمجلات الأفغانية إلى قسمين ؛ فمنها ما كان تابعا لفصائل المجاهدين، ومنها ما كان تابعا للأنظمة الحاكمة فى كابل. والنشريات المتعلقة بفصائل المجاهدين كانت تعكس الأفكار وأيديولوجية الصراعات السياسية والعسكرية والمذهبية والجهادية لكل فصيلة من الفصائل، أما الإصدارات المتعلقة بالحكومة فكانت تعكس الأفكار ووجهة النظر السياسية للحكومة. وكانت للحكومة هيمنة واسعة على كل وسائل الإعلام والاتصال العامة، فكانت عادة لا تنشر الأفكار ولا السياسات المناهضة للحكومة. وفى جميع العقود السالفة كانت الصحافة الأفغانية تعكس سياسات الحكومة ولا تُقْدِم على سلوك يخالفها.

الفصل السادس

الأوضاع الاقتصادية

تناقصت الأنشطة الاقتصادية الأفغانية(*) منذ احتلال الاتحاد السوفيتي السابق لأفغانستان في أواخر عام ١٩٧٩م، واندلاع الحرب والصراعات الداخلية الطاحنة بشكل لافت للانتباه. كما أن الاقتصاد الأفغاني كان قبل عام ١٩٧٩م اقتصاداً ضعيفاً وفقيراً؛ حيث كانت أفغانستان تقف في مصاف الدول الفقيرة، وهي واحدة من أفقر دول العالم؛ فالأفغان أنفسهم يعتقدون أنهم يأتون في أدنى مستويات الفقر. حيث أحدثت الحرب الداخلية في أفغانستان صدعًا كبيراً لا يمكن رأبه في النواحي الاقتصادية، والثقافية، والسياسية. ولا يمكن كذلك ترميمه على المدى القصير أو المتوسط.

منذ عام ١٩٤٦م وما بعدها بدأ الاقتصاد الأفغاني طريقه بشكل منهجي مدروس، حيث تم تنفيذ أول برنامج للتنمية الاقتصادية في عام ١٩٤٦م، ولكنه فشل بسبب التناقص الملحوظ في المصادر المالية.

(*) وقديما كانت أفغانستان وعاصمتها "كابل" سوقا تجاريا رائجا في المشرق ، وحافلة بكل ألوان السلع الصينية والهندية والخراسانية، وتنتقل منها تلك السلع إلى الأسواق الخارجية. وكان هذا سببا في رواج العلاقات التجارية بين أفغانستان – ممثلة في كابل – والمدن المجاورة لها، فنجد أنها تبادلت السلع التجارية مع لوكر وكرديز في الجنوب ومع غزنة وقندهار غربا، وكانت القوافل التجارية هي وسيلة نقل السلع، وتمر عبر طريق خيبر بين كابل وبيشاور ، أو عن طريق دكه بين جلال آباد والهند ، وآخر عن طريق خوجك بين بلوخستان والهند جنوبا. وكانت صادراتها إلى الهند عبارة عن الفواكه المجففة والطازجة ، لاسيما العنب الأفغاني متعدد الأنواع ، والسمن والحرير الكابلي والفرو والبسط والصوف واللوز والجوز لفستق والتفاح والرمان ، وتستورد منها الموسلين والعاج والخيزران وخشب الصندل والخيوط والحبال. وكانت هذه التجارة سببا في نشر الإسلام في الهند والصين . انظر: لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٨٨ . واليعقوبي، البلدان، ص ٢٨٥ . ودائرة معارف أريانا، ص ١٢٠ . وابن حوقل ، صورة الأرض ، ٢٧٥ . (المترجم)

وتم تدوين البرنامج الثانى للتنمية الاقتصادية فى عام ١٩٥٣م، وباء بالفشل هو الآخر للسبب نفسه، وهو النقص فى المصادر المالية.

وتم تنفيذ أول خطة خمسية (١٩٥٧م -١٩٦٢م) بمعونات مالية سوفيتية. انحصر تنفيذها فى المجالات الصناعية، والاقتصادية، والطاقة، والمعادن.

كما تم تنفيذ الخطة الخمسية الثانية فى مارس ١٩٦٢م، واستمرت حتى عام ١٩٦٧م، والتى كان الهدف منها هو تطوير القطاع الحكومى ثم القطاع الخاص. وتكلف تنفيذ هذه الخطة ٢٥ مليار أفغانى(*).

وتكلف تنفيذ الخطة الخمسية الثالثة من ١٩٦٧م حتى ١٩٧٢م ٢٣ مليار أفغانى.

وتم تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة، والتى بدأت عام ١٩٧٢م، واتسمرت حتى عام ١٩٧٧م، وفيها تمَّ توفير سلع مصرفية وخدمية كثيرة. فقد أخذ داود خان فى اعتباره خطة تستغرق سبع سنوات فى تنفيذها، إلا أن انقلاب الشيوعيين عام ١٩٧٩م أوقفها، وفى عام ١٩٧٩م أعدت الحكومة القبلية لأفغانستان خطة خمسية أخرى كانت فى الواقع الخطة الخمسية الخامسة للتنمية الاقتصادية، ولكنها كانت الخطة الأولى للحكومات الشيوعية فى أفغانستان. وقد تكلفت هذه الخطة ١٠٥,٠٠٠ مليون أفغانى. وتم تخصيص ٥٠ بالمائة منها لقطاع تطوير الصناعة، و٢٥ بالمائة للقطاع الزراعى، وما تبقى خُصِّصَ لسد الحاجات الخدمية. وكان من المقرر أن يوفر ثلث ميزانية هذه الخطة كل من روسيا فى المقام الأول، ثم الكتلة الشرقية بعد ذلك. إلا أن هذه الخطة لم يحالفها النجاح فى المرحلة التنفيذية.

وفى مارس عام ١٩٨٢م أعد حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (عصر ببرك كارمل) خطة تنمية اقتصادية أخرى، وكانت هذه الخطة قد أعدها سلطان على كشتمند

(*) يطلق على وحدة العملة المستخدمة فى أفغانستان اسم "أفغانى". (المترجم)

رئيس الوزراء آنذاك، وكان الهدف منها هو تحقيق زيادة تصل إلى ٦,٢ بالمائة من النمو فى المنتجات المختلفة، وكانت تركز على المعونات السوفيتية فى تقديم ٦٣ مشروعاً جديداً. وفى أغسطس من نفس السنة تبين جلياً أن هذه الخطة لن يمكن تنفيذها، أو حتى التوقف عنها.

فى أعوام ١٩٨٤م، و ١٩٨٥م، و ١٩٨٦م وضعت فى الحسبان خطط وبرامج كثيرة، وكلها إما أنها لم تنفذ أصلاً، أو أنها كانت غير مكتملة التنفيذ، ولم تسفر جميعها عن نتيجة ما.

كذلك لم تحقق أغلب الخطط والمشروعات الخاصة بالتنمية الاقتصادية بأفغانستان أى فائدة، وظلت فقط فى دائرة الكلام والورق، وفشلت معظم الخطط ولم تحقق نتيجة. إلا أن هذه الخطط والبرامج – فى معظمها – كانت شعارات لأهداف اقتصادية عميقة. وكان البنك الأفغانى للتنمية الاقتصادية قد تأسس فى عام ١٩٧٢م من أجل توفير الأموال اللازمة للبرامج الصناعية وغيرها، لكنه لم يحقق فائدة كبيرة؛ ففى يناير عام ١٩٨٦م أعلن عن خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تبدأ من مارس ١٩٨٦م، وتنتهى فى مارس ١٩٩١م. وقدرت ميزانية هذه الخطة بـ ١١٥٠٠٠ مليون أفغانى (حوالى ٢ مليار وثلاثمائة مليون دولار). وقد أدت هذه الخطة إلى زيادة كبيرة فى المنتجات الصناعية والمعدنية إلا أنها– ومع كبر حجمها – فشلت هى الأخرى.

المعادن(*):

تعد أفغانستان واحدة من الدول الغنية بالمصادر المعدنية، لكن أغلب هذه المصادر المعدنية لا تزال بكراً لم تستغل بعد، أو أنها لا زالت مجهولة. وغير معروف على وجه

(*) منذ العهود السالفة وحتى اليوم والمصادر تخبرنا بأن أفغانستان بلد غنى بالثروات التعدينية ، فالحديد توجد مناجمه فى جبال الهندكوش وسليمان ، والنحاس يكثر بمنطقة " منار جكرى كابل "، والفضة بينجشير، والرصاص والخارصين بفوريند ، وملح الطعام توجد منه كميات كبيرة، حيث إن كابل تعد أقدم أسواق الملح . انظر: ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢٨ ، ص ٢٧٨ . ولسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٩ . والمقدسى ، أحسن التقاسيم ، صـ ٣٢١ . (المترجم)

الدقة ما المصادر الموجودة فى أفغانستان، كما أنه ليس هناك ما يثبت بدقة القدر الموجود من احتياطى المعادن. ويقول أغلب المحللين إن الاتحاد السوفيتى السابق لديه معظم المعلومات المتعلقة بالمصادر المعدنية لأفغانستان، وذلك لأنه منذ عقد الخمسينيات - وخاصة منذ عامى ١٩٧٨م، و ١٩٧٩م وما بعدهما - قام الروس بإجراء كثير من الأبحاث، وحضر إلى أفغانستان أكثر من مائتى جيولوجى محنك من روسيا لاستكشاف مصادرها المعدنية. وكان مسموحًا لهؤلاء الجيولوجيين - مثل الجنود الروس - السفر إلى أى مكان يريدون لإتمام أبحاثهم.

وهناك حدس بأن المصادر المعدنية الأفغانية كثيرة للغاية. ويعد ذلك أحد الأسباب التى أغرت الروس بالتعدى على أفغانستان؛ حيث كان للاتحاد السوفيتى ولع وطمع بالغين بالمصادر المعدنية الأفغانية. وما تم استخراجه منها حتى الآن اختصت روسيا نفسها به. كذلك كان الاتحاد السوفيتى يوفر الصناعات والمعدات الخاصة باستخراج هذه المعادن من أفغانستان؛ فقد بلغت تكلفة الصناعات المستخرجة فى عام ١٩٧٩م ٤١٥ مليون دولار، حيث وفر الاتحاد السوفيتى الجزء الأعظم منه. وفيما يلى أهم الأرصدة المعدنية المعروفة بأفغانستان:

(الغاز الطبيعى، الفحم الحجرى، الحديد، النفط، النحاس، اليورانيوم، الملح، الكروم(*)، النيكل، الذهب، السولفور، الباريت، النحاس الأصفر، القصدير، الفلوفر، الطلق (حجر معدنى)، الماغنيسيوم، الميكا، اللازورد، الياقوت، الألومنيوم، الرصاص، حجر القطن (نوع من القطن لا يحترق)، الزئبق، البوكسيد، التنجستين، الليثيوم، المنجنيز، المرمر، الحجر الجيرى، حجر الأهك (حجر ضعيف و سريع الكسر)... إلخ)

وأما ما تم استخراجه من المعادن المذكورة فهو: الغاز الطبيعى، والفحم الحجرى، والملح. وقطعًا فإن ما تعمد الروس استخراجه هو الذهب، والفضة، والكروم، والنحاس،

(*) نوع من أنواع الزيت طيب الرائحة، و مرطب للجلد، و يستخدم فى التجميل. (المترجم)

واليورانيوم، وسائر الأحجار الثمينة. إلا أن المعلومات لا تسعفنا عن الكم الذى تم استخراجه، أو معدل الدخل الذى عاد عليهم.

الغاز الطبيعى

يعد الغاز الطبيعى من أهم المصادر المعدنية التى يمكن استخراجها من أفغانستان. فبالفعل هو أهم مخزون للطاقة فى الدولة، وحقول الغاز الطبيعى المعروفة موجودة فى الغالب فى الحدود الشمالية لأفغانستان فى مزار الشريف، وأطراف شيرخان وسربل؛ لذلك فإن تصديره عن طريق الحدود الشمالية أوفر فى التكلفة. وتقدر نسبة الاحتياطى من الغاز الطبيعى الأفغانى بين ١٠٠ و ١٥٠ مليار متر مكعب. إلا أن بعض المصادر قد قدر نسبة الاحتياطى تقديراً حدسياً بحوالى ٥٠٠ مليار متر مكعب. فقد أكتشفت كمية كبيرة من احتياطى الغاز الطبيعى فى عقد الستينيات. و بدأ تصديره بإنشاء خط أنابيب فى عام ١٩٦٧م عبر أراضى جمهورية أوزبكستان. و منذ ذلك الوقت، و حتى قبيل سقوط الحكومات الموالية للاتحاد السوفيتى فى كابل عام ١٣٧٠هـ. ش يتم استخراج من ٢ إلى ٣ مليارات متر مكعب سنويا، حيث كان يصدر إلى روسيا ٩٥ بالمائة منه، وفى عام ١٩٨٨م فتح المجال لاستخراج معادن أخرى فى محافظات جورجيا، و فارياب، و وصلت القدرة على استخراج الغاز الطبيعى إلى ثلاثة مليارات متر مكعب. كذلك اكتشفت معادن أخرى ستزيد نسبة تصديرها إذا تم استخراجها. و فى عام ١٩٨٤م أعلنت إذاعة كابل أنه قد تم إنتاج ١٤,٥ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى فى الفترة الزمنية بين عامى ١٩٧٨و ١٩٨٤م، وتم تصديرها جميعها للاتحاد السوفيتى. و فى عام ١٩٧٩م تناقص إنتاج الغاز الطبيعى الأفغانى بسبب خروج القوات الروسية من أفغانستان واندلاع الأزمة وظهور ظروف سياسية جديدة. ولكن منذ فبراير عام ١٩٩٠م تهيأ المجال لاستخراج الغاز وتصديره مرة ثانية. و فى مايو عام ١٩٩٠م تم التوقيع على برتوكول جديد لتصدير الغاز الطبيعى لروسيا، و فى بداية عام ١٣٧١هـ. ش انقطع تصدير الغاز الطبيعى لروسيا مرة أخرى، وكذلك للدويلات الروسية بسبب سقوط حكومة نجيب الله.

كان إنتاج الغاز الطبيعي على الدوام لصالح روسيا لأسباب، منها:

أولاً: كانت روسيا تخفض من سعره، و تشتريه بأقل من القيمة العالمية له.

ثانياً: لأنها كانت تصدره نيابة عن أفغانستان في مقابل المنتجات النفطية عموماً، ففي عام ٨٢-١٩٨٣م تم توفير ٣٥٥,٠٠٠ طن من المنتجات النفطية الروسية.

النفط

تم تقدير الاحتياطي من النفط الأفغاني بحوالي ١٠٠ مليون برميل في بداية الأمر، إلا أن الأبحاث التي أجريت بعد ذلك أثبتت مجاوزة هذه النسبة بمراحل. أعد الاتحاد السوفيتي السابق الإعدادات المناسبة لاستخراج النفط الأفغاني، ولكن عملية تصديره لم تتم. وتم الإعداد لإنشاء معمل تصفية بطاقة ٥٠,٠٠٠ برميل في شمال أفغانستان، ولم يتم تنفيذه هو الآخر.

الفحم الحجري

الفحم الحجري في أفغانستان موجود وبجودة عالية. ويقدر الاحتياطي الذي تم رصده بحوالي ١٠٠ مليون طن، وهو في الحقيقة أكثر من هذا الكم، ويصل الاحتياطي النهائي له إلى ٤٠٠ مليون طن، ويقال إنه أكثر من هذا المقدار، وقد تناقص إنتاج الفحم الحجري في مراكز تعدين كركرو Karkar ودكشDodkas من ١٩٠,٠٠٠ طن في عام ٧٨- ١٩٧٩م إلى ١١٥,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٠م، و كان موضوعاً في الاعتبار أن نسبة إنتاج الفحم الحجري لعام ٨١- ١٩٨٢م تصل إلى حوالي ٢٠٠,٠٠٠ طن، ولكن ذلك لم يتم.

وطبقًا لما ذكرته إذاعة كابل فقد تم استخراج ٨٠٠,٠٠٠ طن من الفحم الحجرى فى الفترة من ١٩٧٨م، حتى عام ١٩٨٤م.

معدل إنتاج الفحم الحجرى (بالألف طن)

١٩٨٤- ١٩٨٥	١٩٨٦- ١٩٨٧	٨٧-١٩٨٨م	٨٨ -١٩٨٩
١٤٨	١٦٠	١٦٧	١٣٨

وكان القسم الأعظم من الفحم الحجرى المنتج فى مزار الشريف قد استهلك فى محطة الكهرباء بينما تم تصدير غاز المنطقة نفسها لسد احتياجات الصناعة التقليدية بالاتحاد السوفيتى.

الملح

الملح هو أحد المعادن المستخرجة فى أفغانستان، ويصل معدل استخراجه إلى النسب التالية:

معدل إنتاج الملح (بالألف طن)

٧٨-١٩٧٩	١٩٨١	٨٤-١٩٨٥	٨٦-١٩٨٧	٨٧-١٩٨٨	٨٨-١٩٨٩
٨١,١	٣٠,٨	٥٣	٣٧	١٥	٣٨

الحديد

الحديد هو أهم ثروة معدنية فى أفغانستان بعد الغاز الطبيعى، والثروات الحديدية كثيرة. ولكن لا يوجد تقدير دقيق لها، ومن أهم حقول التعدين المكتشفة من الحديد: حقل تعدين حاجى جك Hajigak، الذى قدر الخبراء الأفغان احتياطيه بملياري طن أو أكثر، ويعتبرون نسبة ٦٢ بالمائة منه نسبة صافية، ويذهب بعض منهم إلى أبعد من هذا، وهو أن هناك احتياطيا عظيما من الجير الذى من الممكن استخدامه فى إذابة الحديد، وأن نسبة هذا المعدن مرتفعة، وللآن لم يتم استغلالها.

النحاس

هناك ثروات نحاسية عظيمة موجودة فى أفغانستان، ولكنها لم تستخدم بالشكل الاقتصادى الأمثل، وأفضل معادن النحاس معدن الأينك Ainak، وقد تم اكتشاف قدر كبير منه. وهذا المعدن يعد أفضل المعادن النحاسية فى العالم، ويصل الاحتياطى منه من ٤ إلى ٥ مليون طن، ونسبة نقاء هذا المعدن مرتفعة جداً، وكان من الصعب استغلاله رغم ما يقال من أن الاتحاد السوفيتى السابق كان يستغله.

وأفغانستان غنية بسائر المعادن كما سبق، فبالقرب من ننجرهار(*) توجد كمية كبيرة من احتياطى السولفور. وتم اكتشاف ثروات اليورانيوم فى الصحارى الجنوبية الغربية بأفغانستان فى المناطق البلوجية وفى جبل ميرداود بين هراة وسيندند، وكذلك فى منطقة قندهار يوجد اليورانيوم، وقد كان الروس يستغلونه. واشتهر ياقوت بدخشان، وقد أخذ الروس من الحكومات الأفغانية وعوداً بالمساعدة فى استخراجه.

(*) الرسم الفارسى لهذا الاسم هو "ننگر هار"، حيث ينطق صوت الـ(گ) فى الفارسية، كما ينطق صوت الجيم فى اللهجة القاهرية المصرية. (المترجم)

الزراعة(*)

تشكل المنطقة الجبلية أكثر من ٨٠ بالمائة من الأرض الأفغانية وحوالى ١٥ بالمائة من أراضيها صالحة للزراعة، وحوالى نصف هذه النسبة فقط مزروعة بالفعل، ومع هذا فإن أفغانستان دولة زراعية، ويعمل أربعة أخماس سكانها (أى ٨٠ بالمائة من التعداد السكانى) بالزراعة والرعى والصناعات الريفية (مثل الغزل). وفى الوقت الحاضر فإن ثلثى الأراضى الموجودة تخضع للزراعة الموسمية ، والقسم الأعظم من أفغانستان أراض جيدة، ولكن لا توجد مياه، وفى كثير من المناطق الموجود بها مياه لا توجد بها الأراضى الجيدة. لذلك فإن إحدى المشاكل الطبيعية بأفغانستان هى عدم التناسب بين الأرض والماء، وكانت الحكومات الأفغانية منذ عام ١٩٥٠م مهتمة بالقضاء على هذه المشكلة، وتم إنشاء أنظمة الرى لهذا الهدف، حتى إن أنظمة الرى كانت (حتى نهاية عقد التسعينيات) تغطى ثلاثة أرباع الأراضى الأفغانية، وهو ما يعادل ٤ ملايين هكتار من الأراضى، وكانت وديان هيرمند، وقندهار، ومزار الشريف، وقندوز تتمتع بمقومات أفضل للتنمية الزراعية.

(*) تشكل الزراعة الركن الأساسى للاقتصاد الحالى لأفغانستان ؛ فوفقا للإحصائية الرسمية لعام ١٩٦٣م تبلغ المساحة القابلة للزراعة أربعة عشر مليون هكتار تقريبا، والمساحة المزروعة حاليا سبعة ملايين فدان خمسة منها تزرع على الرى الدائم واثنين منها على الآبار . ويُعتمد فى تسميدها على فضلات الحيوان أو الإنسان، ولا وجود قط للتسميد الكيميائى . وتعد الأراضى الخاضعة للحكومة قليلة جدا، كما أن أراضى الوقف الزراعية أقل وتعطى للمزارعين على سبيل الإيجار ، وتأتى مناطق غرب هراة وسيستان والمنطقة السفلى لنهر كابل أهم مناطق الزراعة فى البلاد وتشتهر بزراعة القمح ، والذرة الشامية والرفيعة والسمسم والخردل ، والصفصاف والقطن والشعير للجياد، كما يصنع منه الخبز أيضا، كما تشتهر هذه المنطقة بزراعة العرعر وهو شبيه بالصفصاف، ويروى فلاحو هذه الأرض أراضيهم من جدول بهسود وختكوت بالإضافة إلى قنوات الرى . انظر: درمسير ، تاريخ أفغانستان ، ص ١٧ . وياقوت ، معجم البلدان. ج ٨ ص ١٠٤ . دهخدا ، لغتنامه، ٣٧ ص ١٢٨٨ . والنويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج١ ، ص ٢٠٤ . (المترجم)

كما أن أفغانستان كانت حتى قبيل التغيرات الماركسية تتمتع بالاكتفاء الذاتى من ناحية المواد الغذائية إلى حد ما، و لكن بعد عام ١٩٨٨م، وخاصة بعد التدخل العسكرى للاتحاد السوفيتى، واندلاع الحروب، والصراعات الداخلية الشديدة خرجت معظم الأراضى من نطاق الزراعة، ولم تتم المنتجات الزراعية النمو الكافى. و كذلك فإن الزيادة السكانية قد ألجأت البلاد إلى استيراد المواد الغذائية، وخاصة القمح؛ حيث يعد القمح الغذاء الأساسى للشعب الأفغانى، وكان القمح قبل الحرب يشكل ما يقرب من نصف المحاصيل الإنتاجية بأفغانستان. و قد تسببت الحرب، وأعمال القصف المختلفة الكثير من أنظمة الرى التقليدية والآلية فى كثير من الأماكن إلى إضعاف النشاط الزراعى، ومن ناحية أخرى فإن الاتحاد السوفيتى قام بالقضاء على الزراعة، وعلى الإمكانيات الإنتاجية، و ذلك لإضعاف قوة المجاهدين المادية والمعنوية. وقد ساعد هذا الإجراء على انتشار الآفات فى المنتجات الزراعية، وأدى إلى تلاشى النشاط الزراعى تماماً من بعض المناطق الأفغانية. وكما قلنا إنه تم القضاء التام على الزراعة فقد تناقص الإنتاج من الفاكهة والخضراوات التى كانت تنتج بوفرة وبمواصفات جيدة فى أفغانستان، وكانت إحدى المنتجات التصديرية بها.

وكان الترياق هو المحصول الوحيد الذى شهد زيادة كبيرة، وعلى الرغم من التناقص، أو عدم النمو الكافى فى المحاصيل طوال فترة الحرب، فإن إنتاج الترياق كان فى نمو وزيادة على طول فترة الحرب، وكان يشكل أحد أهم المحاصيل.

المنتجات الزراعية

(بآلاف الأطنان)

نوع المحصول	٦٩-١٩٧١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
القمح	٢,١٥	٢,٨٦٢	٢,٩	٢,٨٥	٢,٧٥	٢,٧٥	٢,٨	٢,٩
الذرة	,٧٠٧	,٨	,٨٠٦	,٨	,٨١	,٨١	٨١٥	٨٣٩
الأرز	٣٧٤	٤٧٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٧٢	٤٩٠
الشعير	٣٦٣	٣٥٠	٣٣٦	٣٢٣	٣٣٠	٣٣٠	٣٣٢	٣٤٥
القطن	٧٥	٤٥٠	٦٦	٦٦	٧٥	٨٤	٧٥	٧٢
الحبوب	٤٧	٣٠	٣٢	٣٨	٣٨	٤٠	٤٠	٤٠
لب عباد الشمس	٢	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥
السمسم	٣٣	٣٠	٣٠	٣٠	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
بذرة الكتان	١٧	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
بنجر السكر	٦٣	٤٥	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	...
قصب السكر	٥٥	٧٢	٧٠	٧٠	٧٠	٧٥	٧٥	...
الخضراوات	٥٧٤	٩٥١	٧٦٦	٧٨٤	٧٨٤	٧٨٣	٧٩٠	٣٧٠
الفاكهة	٧١٠	٨٢٥	٨٣٦	٨٣٧	٨٣٧	٨٤٩	٨٠٦	٧٨١

Source: fao, production yearbook, 1988.

سائر المحاصيل (بآلاف الأطنان)

نوع المحصول	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
البلح	٣١	٣٤	٣٤
الشمام	١٢٠	١٢٠	١٢٠
العنب	٥١٠	٥١٠	٥١٠
المشمش	٣٦	٣٦	٣٦
البرتقال	٢٤	٢٤	٢٤
البرقوق	٣٦	٣٦	٣٦

وإلى جانب الزراعة يزدهر نشاط الرعى بنفس الدرجة، وفيما يلى الإحصائيات التى تم رصدها فى هذا القطاع عن المنتجات الحيوانية:

عدد الحيوانات الموجودة (بآلاف الرءوس)

نوع الحيوان	٦٩-١٩٧١	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
الحصان	٤٠٠	٤١٢	٤٠٥	٤٥٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠
البغل	٣٤	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
الحمار	١,٢٨٣	١,٣٠٣	١,٣١٥	١,٢٥٠	١,٢٥٠	١,٢٥٠	١,٣٢٥	١,٣٠٠	١,٣٠٠
البقر	٣,٦٦٠	٣,٨٠٠	٣,٧٤٠	٣,٧٥٠	٣,٧٥٠	٣,٧٥٠	٣,٨٣٠	٣,٧٠	٣,٦٠٠
الجمل	٢١٤	٢٧٠	٢٦٥	٢٧٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٦٥	٢٠٠	٢٦٥
الماعز	٣,١٠٠	٣,٠٠٠	٢,٩٠٠	٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,١٠٠٠	٢,٩٩٠	٣,٠٠٠	٢,٨٠
الدجاج بالمليون	١٤,٣	٢٠,٦	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠
الخراف بالمليون	...	...	...	٢٠	٢٠	٢٠	...	...	...

Source: FAO. Production Yearbook, 1988.

وصل عدد الخـراف في عـام ١٩٧١- ١٩٧٢ حـوالي ٢٢ مليـون رأس، ويبـدو أن الرقم حوالى ٢٢ مليون رأس، من عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٨٩م.

نسبة المنتجات الحيوانية (بآلاف الأطنان) طبقًا لتقدير هيئة الأمم المتحدة.

نوع المنتج الحيوانى	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
لحم البقر ، والعجالى	٦٨	٦٨	٦٨
لحم الخراف	١٣٣	١٣٣	١٣٣
لحم الماعز	٢٦	٢٦	٢٦
لحم الدجاج	١٣	١٣	١٣
سائر اللحوم	١٢	١٢	١٢
لبن البقر	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
لبن الخراف	٢٤٥	٢٤٥	٢٤٥
لبن الماعز	٥٥	٥٥	٥٥
الجبن	١٠,٢	١٠,٢	١٠,٢
الزبد ، والزيت	١٢,٦	١٢,٦	١٢,٧
بيض الدجاج	١٤,٢	١٤,٢	١٤,٢
العسل	٣,٠	٣,٠	٣,٠
الصوف الخام ، الدهن	٢٣,٥	٢٣,٥	٢٣,٥
الصوف المنقى	١٣,٥	١٣,٥	١٣,٥
جلد البقر	١١,٢	١١,٢	١١,٢
جلد الخراف	٢٠,٨	٢٠,٨	٢٠,٨
جلد الماعز	٣,٩	٣,٩	٣,٩

Source: FAO. Production Yearbook.

وكان معدل إنتاج لحم الأسماك طبقًا لتقدير (الفاو)FAO حوالى ١٥٠٠ طن من عام ١٩٦٤م، حتى عام ١٩٨٤م.

الغابات(*)

لا تغطى الغابات غير واحد بالمائة من الأراضى الأفغانية فقط؛ حيث إن أفغانستان فقيرة من ناحية المصادر الغاباتية رغم الاعتماد على وقود الخشب كمادة أساسية. ولم يستهلك النفط والغاز فى أفغانستان، ويستغل الشعب الأفغانى الأخشاب فى توفير احتياجاته من الطاقة، ويستخدم الحديد والألومنيوم فى تشييد المبانى الأفغانية بندرة، ولذلك فإن أسقف المنازل والأبواب والمحال والنوافذ عمومًا من الأخشاب، ولذلك فإن الأخشاب تستخدم بكثرة رغم إنتاجها القليل. ولم تتخذ إجراءات جادة فى تنمية المصادر الغاباتية بينما يتم استغلال المصادر الغاباتية الموجودة قدر الإمكان، وقد لحقت خسائر فادحة بهذه المصادر، وفى عام ١٩٦٥م حضر إلى أفغانستان فريق من الخبراء من ألمانيا الشرقية السابقة، ووضعوا خطة لإنشاء منطقة غاباتية بالقرب من منطقة على خل ALI KHEL ، حتى يمكن توفير الأعمدة، والألواح الخشبية التى يحتاجون إليها، وكذلك تصدير جزء منها إلى باكستان. إلا أن الخطة المعنية لم يتم توسيعها، وأفغانستان فى مأزق من ناحية إنتاج الخشب ومنتجاته.

(*) من الطبيعى أن يأتى تنوع النبات متواكبا مع المناخ، ولهذا فان الغابات الظليلة تنتشر على سفوح الجبال فى الشرق والشمال والغرب ، كما أن الغابات الكثيفة تمتد على سفوح جبال سفيد وسليمان فى الشرق ومن أهم أشجاره السنديان ، والزيتون ، والعرعر، والدوم ، والسرو ، والصنوبر، والبلوط دائم الخضرة والرمان . وفى الشمال توجد الغابات على سفوح جبال شبردر ويغمان وهندكوش، وأهم الأشجار النبق والراتيج والصنوبر والورد والليلاب والبندق واللوز والزيتون البرى وأشجار الليمون وأزهار السوسن . كما يأتى من غابات المنطقة الغربية الفستق والعرعر وأشجار النيلة التى تستخدم فى الصباغة . انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أفغانستان. والنويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب، طبعة القاهرة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م، ج ١٠ ص ١٦٧ . (المترجم)

ونسبة الغابات و الأراضى التى يمكن استغلالها فى أفغانستان طبقًا لتقديرات مكتب العمران التابع للأمم المتحدة هى:

نوع الأرض	مساحة الأرض المزروعة	بالنسبة لكل أراضى البلاد
الأرض المزروعة	٣٢٤٠٣ كيلومتر مربع	٥ بالمائة
المراعي	٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع	٤٦ بالمائة
الغابات والأراضى الغاباتية	١٧,٠٠٠ كيلومتر مربع	٢ :٦ بالمائة
باقى الأرض	٢٠٢,٨٢٢ كيلومتراً مربعاً	٤: ٤٦ بالمائة

الطاقة

إن إنتاج الطاقة واستهلاكها فى أفغانستان محدود للغاية، والمصادر الرئيسة للطاقة عبارة عن: الكهرباء، والغاز الطبيعى، والنفط، والفحم الحجرى والأحطاب. ويعد الخشب – بوصفه مصدراً للطاقة – أهم ذلك كله، ويستخدم فى الأغراض المختلفة، وخاصة فى القرى؛ حيث يعد الخشب أهم مصادر الطاقة الكهربائية. ويتم إنتاج حوالى ٨٠ بالمائة من كهرباء البلاد عن طريق الطاقة الهيدروليكية، وينتج قسم بسيط فى مصانع الكهرباء. وكان الروس قد خططوا لإقامة عدة سدود على بحر كنوز فى شمال أفغانستان، كانت ستوفر قدراً كبيراً من الاحتياجات الكهربائية فى حال إنشائها فى أفغانستان، وتصل الطاقة الإنتاجية لهذه السدود إلى الشبكة الجنوبية لكهرباء الاتحاد السوفيتى. وطبقًا لتقديرات الأمم المتحدة فإنه فى نهاية عام ١٩٨٢م كانت الطاقة الكهربائية التى يتم إنتاجها ٣٩٤ مليون كيلووات، وفى عام ١٩٧٥م حوالى ٣٢٥مليون كيلووات، وبناء على هذا كانت الزيادة الإنتاجية من الكهرباء فى الفترة بين عامى ٧٨–١٩٧٩م، و ٨٧–١٩٨٨م حوالى أربعة بالمائة، و تناقص هذا المعدل الإنتاجى فى عام ٨٨–١٩٨٩م بنسبة ٥,٥ بالمائة بالنسبة للسنوات السابقة، وفى المقابل زادت الواردات

من الكهرباء من الاتحاد السوفيتي. وفي هذا العام نفسه (٨٨-١٩٨٩م) وصلت النسبة إلى ٤٢ مليون كيلووات، كان يتم استيرادها بصورة حرة. في عام ١٩٨٧م كانت الطاقة الإنتاجية، والمستهلكة ٤٨٠ مليون كيلووات، وكان نصيب الفرد ١٤٠ كيلووات في الساعة في عام ١٩٨٧م.

النفط

مع أن هذه المادة لها استخدامات كثيرة فإنها لم تستخدم بالفعل في أفغانستان. ويتم استيراد المنتجات النفطية من الخارج، ولذلك فإن سعرها مرتفع لدرجة تفوق الخيال، وأغلب الشعب لا قدرة له على شرائها واستهلاكها. وحتى عام ١٣٧٠ كان القسم الأعظم من المنتجات النفطية في أفغانستان يتم استيراده من الاتحاد السوفيتي، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وكذلك سقوط حكومة نجيب الله في بداية عام ١٣٧١هـ. ش انقطعت صادرات الوقود هي الأخرى من روسيا، وفي الوقت الحاضر يعد توفير المنتجات النفطية واحداً من أصعب المشاكل أمام الحكومة الأفغانية.

الغاز الطبيعي

إن الغاز الطبيعي الذي يُسْتَهلك في الدول على نطاق كبير لم يجد له في أفغانستان مجالاً للاستهلاك مع أنها غنية به ؛ حيث إنه لا مجال لاستخدامه، وعامة الشعب لا يعرفون عنه شيئًا. إلا أن هناك جزءًا من الغاز الطبيعي المستخرج من أفغانستان يستخدم في المصانع الكهربائية، والبتروكيماوية، ويتم تصدير الباقي لروسيا.

ومن بين مصادر الطاقة النفط والكهرباء، التي يتم استهلاكها في المدن، وخاصة في المدن الكبرى، والفحم الحجري والغاز، واللذان يستخدمان في بعض الصناعات، ويصدر الباقي، فعامة الشعب من كابل و حتى أبعد المناطق يستخدمون الحطب والخشب.

معدل إنتاج واستهلاك الخشب ومخلفات قصب السكر (بالألف طن)

نوع الوقود	١٩٧٥	١٩٨٤
إنتاج خشب الوقود	١,٣٩١م	١,٤١٦
محصول مخلفات قصب السكر	٤	١,٤١٦
استهلاك وقود الخشب، ومخلفات قصب السكر	١,٣٩٥	١,٤١٦

Source: UN, Yearbook of world Energy statistics.

معدل إنتاج الطاقة المخطط لها من جانب الحكومات الأفغانية

نوع الطاقة	١٩٧٤-٧٣	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٤-٨٣
الكهرباء (مليون كيلووات)	٥٢٥	١,٢٨٨	١,٣٨١
النفط (بالألف طن)	-	١٦	١٦
الغاز الطبيعي (مليون متر مكعب)	٢,٧٣٥	٣,٠٠	٣,٠٠
الفحم الحجري (بالألف طن)	١١٢	٤٢٧	٥٢٣

Source: Five year Development Plan (1979-80/1983-84)

هذا البرنامج لم يتم تحقيقه أيضاً

معدل استهلاك الطاقة التجارية الأولية (بالألف طن)

نوع الوقود	١٩٧٣	١٩٨٣	معدل التغيير المئوى
الوقود الجامد	١١٧	١٦٥	٤١,٠
الوقود السائل	٣٣٥	٤٥٨	٣٦,٧
الغاز الطبيعي	١٦٦	٢٣٨	٤٣,٤
الكهرباء	٢٠٧	٣٠٥	٤٧,٣
المجموع الكلى	٨٢٥	١١٦٦	٤١,٣

Source: UN, Yearbook of world energy statistics.

الصناعة

التنمية الصناعية فى أفغانستان محدودة جدا، والدولة متخلفة تخلفًا كبيراً فى هذه الناحية، وفى حقيقة الأمر لا يوجد شىء مهم يطلق عليه اسم صناعة، والصناعات الموجودة فى أغلبها طرز صناعية روسية وأوروبيــة شــرقيـة قديمة، وهذه الصناعات لا تلبى الاحتياجات الداخلية لأفغانستان بحال من الأحوال، وهى توفر فقط جزءاً من احتياجات المدن، وبالأخص المدن الكبرى. والمجتمع الأفغانى يعيش فى أغلبه حياة تقليدية وقديمة، فهو شعب غير مستهلك، والصناعات الموجودة غالبًا تنحصر فى الصناعات الزراعية المعتادة. وفى العقدين الأخيرين شهدت الصناعات - وخصوصاً الغاز والفحم الحجرى - نموا ملحوظًا، وينحصر القسم الأعظم من الوحدات الصناعية فى كابل، والولايات الشمالية والشرقية، ويوجد فى كابل ثمانون بالمائة من الوحدات الصناعية بالقطاع الخاص.

بدأ النشاط الصناعى بإنشاء مصنع للنسيج فى جبل السراج فى عام ١٩٢٤م وأُتبع هذا المصنع بفرعين آخرين تم افتتاح أحدهما فى منطقة بل خمرى(*)، والآخر فى منطقة جل بهار(**). كما تم إنشاء فرع آخر فى مدينة قندهار.

كذلك تم إنشاء أول مصنع للأسمنت فى عام ١٩٥٨م فى منطقة جبل السراج، ثم أنشئ مصنع آخر كذلك فى بل خمرى. وتشتمل الصناعات الأفغانية على مصانع للزيوت النباتية، وتجفيف المشمش، والسماد الكيماوى، والسكر، والآجر المطبوخ، والورق المقوى، والزبد، ومنتجات اللحوم، وتفصيل الأحذية، والزجاج، والبلاستيك، والصابون المطبوخ، والمنسوجات، والصوف، والقطن، والحرير.

(*) المعنى الحرفى لهذا الاسم الجسر الخمرى «بل خمرى». (المترجم)

(**) المعنى الحرفى لهذا الاسم ورد الربيع «كل بهار». (المترجم)

وتشمل الصناعات اليدوية في أفغانستان صناعة السجاد، والكليم، والحلج، وصناعة الجلود، والأواني الفخارية، والنحت، والحياكة ...إلخ. إلا أن عدد الوحدات الصناعية في القطاعات المذكورة محدود، وعادة لا يزيد عن وحدة أو عدة وحدات.

وعلى طول أيام الحرب لم يشهد قطاع الصناعة تطوراً يذكر، فضلاً عن أن عدداً من الوحدات قد تهالك وتعطل عن العمل، فالعمر الافتراضي للمصانع لا يتعدى متوسطه خمس عشرة سنة أو ما يقرب من هذه المدة، وهي الفترة التي استغرقتها صراعات الحرب والأزمة. لذلك فإن بعض الوحدات قد تهالك وتعطل عن العمل، أو في طريقة للتعطل عن العمل، وبعضها قد تأثر بالحروب والقصف، و بصفة عامة فإن الصناعات الموجودة لا هي حققت الأهداف التي تم التخطيط لها من أجل تطويرها، ولا هي عملت بالطاقة الآلية لها حتى ولو اسماً.

الأهداف التي تم التخطيط لها من أجل زيادة الصناعات (بالألف طن)

نوع المنتج	٨٢-١٩٨٣	٨٣-١٩٨٤
الأسمنت	٣٢٠	٢٥٠
القطن المنقى	٥٩	٥٩
المنسوجات القطنية	١٦٥	٢٠٠
المنسوجات الصوفية	١,١٠٠	
دقيق القمح	١٨١	٢٠٠

الزيوت النباتية	١٦,٧	١٨,٥
السكر	٢٥,٠	٣٠,٠
الصابون	٢,٨	٣,٦

Source: five Year Development plan, (1979-80/ 1983-84)

إلا أن الأهداف التى تم التخطيط لها لزيادة المنتجات الصناعية لم يكتب لها التوفيق، وغالباً ما شهدت القطاعات الصناعية زيادة محدودة.

نسبة إنتاج الصناعات المهمة فى أفغانستان (بآلاف الأطنان)

نوع المنتج	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩	١٩٨٢-٨١	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٤-٨٣	١٩٨٥-٨٤
الأسمنت	١٢٧	٩٩	٧٥	٧٨	١٣١	١١٢
السماد الكيماوى	١٠٦	١٠٦	١٠٨	١١٣	١٢٥	١٢١
الملح المصفى	٨١	٦٨	٣٧	...	...	...
السكر المصفى	١١	٩	٣	...	...	...
دقيق القمح	٩٧	١٢٣	١٢٣	١٢٤	١٣٦	١٥٤
الزيوت النباتية	١٠	٧	...	...	...	...
المنسوجات القطنية	٧٧	٦٣	٤٣	...	...	...
المنسوجات الحريرية	٢٣	٢١	١٥	...	...	...

المنسوجات الصوفية	٤٠٥	٤٠١	٢٤٥	٢٧٧	٢٨٥	٣٢٠
القطن المنقى	٤٥	٢٩	٢٣	...	...	...
الفواكه المجففة	٣٨	٤٧	٥٧	٤٥	٦٥	٥٢
الزنابيل	٢,٢٤٦	١,٧٠٠	١,٣٩٠	١,٤١٣	١,٨٠٣	١,٥٥٢

Source: five year development plan, (1979-80/1983-84) asian development bank, key indicatory of developing member countries.

الأوضاع المالية والاقتصادية

وحدة العملة فى أفغانستان هى "الأفغانى"، والقيمة الرسمية لها قد تم معادلتها فى عام ١٩٦٣م بما يعادل ٤٥ أفغانى لكل دولار . وقد تعرضت هذه القيمة الرسمية للارتفاع والانخفاض حتى عام ١٩٨١م بين ٥٠ و٦٠ أفغانى؛ حيث ثبتت على ذلك. ومن المسلم به أن العملة الرسمية هى التى تستخدم فى الإنفاق الخاص.

وكانت القيمة الرسمية للعملة الأفغانية فى الفترة بين عامى ١٩٨٧م و١٩٩١م هى نفس القيمة بالنسبة للدولار. وقطعاً فإن قيمة العملة (الصعبة) الأجنبية قد تعرضت لزيادة فاحشة فى السوق الحرة؛ ففى أوائل شهر تير(*) عام ١٣٧١هـ-ش (الموافق لأواخر يونيو عام ١٩٩٢) وصلت قيمة الدولار إلى ما يعادل ٦٥٠ أفغانى . وفى أواسط نفس الشهر وصلت قيمته إلى ٩٥٠ أفغانى، وكان يباع ويشترى داخل كابل. وفى شهر إسفند ١٣٦٩هـ-ش (فبراير– مارس ١٩٩١م) كان سعر العملات الأجنبية بالشكل التالى:

(*) تبدأ السنة الإيرانية وفقًا للتقويم الهجرى الشمسى فى ٢١ مارس وتبدأ بشهر "فروردين". و"تير" هو الشهر الرابع، "وإسفن" هو الشهر الثانى عشر. (المترجم)

نوع العملة	١٣٦٩/١٢/٣	١٣٧٠/١٢/٢٢
التومان	٥,٥ أفغاني	٩,٨ أفغاني
الدولار	٨٤٢ أفغاني	١٥١٠ أفغاني
الروبية الهندية	٤١ أفغاني	٤٦ أفغاني
المارك	٥٦٧ أفغاني	٨٩٠ أفغاني
الروبية الباكستانية	٣٥ أفغاني	٥٤ أفغاني

في شهر تير ١٣٧١ هـ.ش (يونيو - يوليو ١٩٩٢م) كان كل تومان إيراني يتم مبادلته بما يتراوح بين ٤ و ٥ أفغاني . وهبط سعر العملة الأفغانية هبوطًا شديداً، حتى إنه كان لا بد من دفع نسبة كبيرة من العملة في مقابل السلع المعتادة. وفي شهر تير ١٣٧١هـ. ش (يونيو - يوليو ١٩٩٢) كانت أسعار بعض أنواع السلع كالآتي:

التفاح كل كيلو ٧٠٠ أفغاني، والبرقوق كل كيلو٦٠٠:٧٠٠ أفغاني، وكل سبعة كيلو بصل ٩٠٠:١٠٠٠ أفغاني، وكل سبعة كيلو بطاطس ٩٠٠:١٢٠٠ أفغاني.

وكان دخل الشعب في تير ١٣٧١هـ. ش يتراوح ما بين ١٠٠٠٠، و٢٠٠٠٠ أفغاني، فكان الدخل قليلا جدا، والإنفاق مرتفع جدا. وفئات العملة الأجنبية عبارة عن ١٠ أفغاني، و٢٠ أفغاني، ويستخدم الرمز (لك)[*] بعد كل رقم مالي أكبر من ذلك .

وكل لَك يساوي مائة ألف أفغاني؛ حيث يقال لك بدلاً من أن يقال مائة ألف أفغاني.

(*) اسم وحدة عملة هندية تساوي ١٠٠ ألف، وهي مأخوذة من اللغة السنسكريتية. (المترجم)

الإنتاج الوطنى غير الخالص :

كان الإنتاج الوطنى الأفغانى غير الخالص فى عام ١٩٨٥م حوالى ثلاثة مليارات دولار، وفى عام ١٩٨٦م حوالى ٣,٨ مليارات دولار. وهذا الإنتاج يصل نصيب الفرد فيه إلى ٢٧٣ دولار. وقد تم نقل الإحصائيات التالية للعامين ١٩٨٧، و١٩٨٨م.

الإنتاج الوطنى غير الخالص (بالمليار)

١٩٨٧	١٩٨,٣١ أفغانى	٣,٩٢ دولار
١٩٨٨	١٨٧,٢٢ أفغانى	٣,٧٠ دولار

نسبة الإنتاج الوطنى الخالص (بقيمة عام ٧٨-١٩٧٩م) بالمليار الأفغانى

نوع الإنتاج	٨٠-١٩٨١	٨١-١٩٨٢	٨٢-١٩٨٣	٨٣-١٩٨٤	٨٤-١٩٨٥	٨٥-١٩٨٦
زراعى	٨٣,٦	٨٦,٣	٨٦,٢	٨٨,٥	٨٧,٦	٨٩,٠
صناعى و معدنى	٢٨,٨	٢	٨	٣٢,٥	٣٦,١	٣٦,٩
العمارة	٥,٩	٦,٣	٦,٣	٧,٤	٨,٠	١٠,٢
تجارى	٩,٨	١٠,١	١٠,٥	١١,٢	١٢,١	١٢,٦
نقل و مواصلات	٤,٨	٤,٨	٥,٠	٥,٥	٤,٣	٤,٦
خدمات آخرى	١,٨	٢,٠	١,٩	٢,٢	٢,٢	٢,٣
إنتاج داخلى غير خالص	١٢٤,٧	١٢٧,٦	١٢٨,٨	١٤٧,٣	١٥٠,٣	١٥٥,٦
التغير بالنسبة المئوية	-٣,٧	٢,٢	٠,٩	٦,١	٢,٠	٣,٥

Source: Asian Development Bank, Key indicators of Developing member contries.

دخل الفرد

كان دخل الفرد فى عام ١٩٨٠م – طبقًا لما ذكره البنك الدولى – ١٧٠ دولارًا. وقد زاد هذا الرقم فى عام ١٩٨٦م إلى حوالى ٢٢٠ دولارًا.

قيمة النمو الاقتصادى: قيمة النمو الاقتصادى غير محددة على وجه الدقة، والإحصائيات المتعلقة بالنمو الاقتصادى إحصائيات تقوم على الحدس والتخمين مثل سائر الإحصائيات المتعلقة بالنواحى المختلفة بأفغانستان.

كانت قيمة النمو الاقتصادى – كما ذُكر – فى عام ١٩٨٨م حوالى ٢,٣ بالمائة، وفى عام ١٩٨٩م صفر بالمائة. وبالنسبة لعام ١٩٩٢م إذا لم يكن الاقتصاد قد شهد نموًا سلبيًا فإن نسبته كانت صفرًا بالمائة.

الميزانية

لم يكن لأفغانستان ميزانية حقيقية، ولم تُعلن أرقامها الصحيحة فى الغالب. وطبقًا للتقويم الإحصائى لهيئة الأمم المتحدة فإن أرقام الميزانية منذ عام ١٩٧٨م، وحتى عام ١٩٨١م كانت كالتالى:

نوع الأجر	١٩٧٨–٧٧	١٩٧٩–٧٨	١٩٨٠–٧٩	١٩٨١–٨٠
مجموع الميزانية	٣٠,٦٣٢	٢٣,٩٠٤	٢٧,١١٢	٢٨,٣٦٥
مجموع الدخل	١٥,٣٥٥	١٦,٤٥٥	١٥,٧٨٨	٢٦,٢٢١
عجز الميزانية	١٥,٢٧٧	٧,٤٤٩	١١,٣٢٤	٢,١٤٤

مصادر الدخل فى الميزانية (بالمليون أفغانى)

جهة الدخل	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩
الضرائب المباشرة	٢,٤٢٨	٢,٥٣٥	٢,٤٦١
الضرائب غير المباشرة	٦,٨٣٠	٦,٩١٣	٤,٧٩٤
الدخول الخاصة	١,٣١٦	١,١٩٢	١,٤٠٧
دخل الغاز الطبيعى	١,٥١٠	٢,٦٣٧	٣,٨٧٤
دخول باقى الأموال والخدمات	٢,٣٥٧	١,٩٥٤	٢,٤٥٦
باقى الدخول	٤٨٠	١,٢٢٤	٧٩٦
مجموع الدخل	١٤,٩٢١	١٦,٤٥٥	١٧,٧٨٨

معدل الدخل، والإنفاق، وعجز الميزانية (بالمليون أفغانى)

Source: IMF, international Financial statistics.

جهة الإنفاق	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨١-٨٠
الإدارات	١,٢٥٥	١,٦٩٠	٢,٢١٨
الدفاع والأمن	٢,٦٥٦	٣,٠٠٧	٦,٢٩٤
الخدمات الاجتماعية	٢,٥٣٨	٣,١٨٦	٣,٢٧٩
الخدمات الاقتصادية	٧٨٠	٩٨٥	١,٠٩٢
مجموع الوزارات	٧,٣١٩	٨,٨٦٨	١٤,٨٨٣
فوائد الديون الخارجية	٢,٠٨٧	٢,٤٩٣	١,٠٢٩

إعانات الحكومة	٢,٥٣٢	١,٠٢٤	٨٧٠
مجموع النفقات المعتادة والعامة	١١,٩٣٨	١٢,٢٨٥	١٦,٧٨٢
ميزانية التنمية	٥,٢٠٠	٦,٨٤٥	٥,٣٧٤

جهات الإنفاق من الميزانية (بالمليون أفغانى)

Source: Imf, International, financial Statistics.

نوع التجارة	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩
بضائع التصدير	٣٢٦,٦	٣٣٦,٧	٤٨١,٢
بضائع الاستيراد	-٥٢١,٣	-٦٣٨,٦	-٦٨١,١
الموازنة التجارية	-١٩٤,٦	-٣٠١,٩	-١٩٩,٩
نقل المسافرين	٣٨,٠	٢٨,٠	٧,٠
الخدمات المتعلقة بخبراء المشروعات	-١٨,٩	-١٧,١	ـــــــ
القروض الرسمية	١٩٨,١	٢٠٤,٣	٢٦٤,٥
سائر الخدمات	٢٠,٣	٣١,٥	٥٢,٦
فوائد الديون الداخلية	-٥٠,٨	-٥٨,٠	-١٨,٠
سائر المعاملات	١٦٣,٤	٢١٢,٠	١٧,٥
تغيير الأرصدة	١٥٥,٥	٩٨,٨	٦٠,٧

Source: Imf, International, financial Statistics.

نسبة المدفوعات (بالمليون دولار)

نوع التجارة	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٩	١٩٨٨
بضائع التصدير	٧٢٨,٨	٧٨٧,٧	٦٢٨,٢	٤٩٧,٠	٥٣٨,٧	٤٥٣,٨
بضائع الاستيراد	٨٩٠,٩-	١/٢٠٤,٧-	٩٢١,٦-	١,١٣٨,٨-	٩٠٤,٥-	٧٣١,٨-
الموازنة التجارية*	١٦٢,١-	٤١٧,٠-	٢٩٣,٤-	٦٤١,٨-	٣٦٥,٨-	٢٧٨,٠-
الخدمات المصدرة	٧٧,٤	٥٣,٨	٦٩,٢	٥٣,١	٥٤,٨	٩٢,٩
الخدمات المستوردة	١٧٢,٠-	٢١٤,٧-	١٦٢,٧-	٢١٤,٦-	١٦٧,٦-	١٣١,٥-
التحويلات المالية الخاصة والخالصة	٨,٣	—	—	—	—	—
التحويلات المالية الحكومية الخالصة	١٠٩,٦	١٢٧,٣	١٤٣,٧	٢٦٧,٤	٣١١,٧	٣٤٢,٨
موازنة الحسابات الجارية	١٣٨,٨-	٤٥٠,٦-	٢٤٣,٢-	٥٣٥,٩-	١٦٦,٩-	٢٦,٢
الاستثمار المباشر	—	—	—	—	—	—
باقي الاستثمارات طويلة المدى	٢٠,٩	١٢٧,٣	١٤٢,٧	٢٦٧,٤	٣١١,٧	٣٤٢,٨
الاستثمارات قصيرة المدى	١٦٣,١	٢٥٦,٢	٢٣,٢	٤٨,٥	١٤٧,٥-	٢٦,٥-
موازنة مدفوعات رأس المال	١٨٤,٠	٣١٣,٢	١٠٠,٨	٣٠٢,١	٣٣,٩-	٤,١-
التغيرات والأخطاء	٩٩,٨-	٢٠٢,٦	١٦٨,٤	٢١٥,١	٢١١,٦	٤٧,٩-
البضائع الخاصة بالمشاركة	٦,٦-	١١,٢-	٤٠,٥	١٨,٠-	١٠,٤	٧,٢
الميزانيات الاستثمارية قابلة الإحصاء	—	—	—	—	—	—
أرصدة المؤسسات الأجنبية	—	—	—	—	—	—
التغير في الأرصدة مؤشر الزيادة	٦١,٢	٥٤,٠-	٦٦,٥-	٣٦,٧	٢١,٢-	١٨,٦

Source: Imf, International, financial Statistics.

نسبة النقدية الدولية (بالمليون دولار فى آخر كل عام)

نوع وجهة النقدية	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩
المجموع ما عدا الذهب	٢٢٨,٧١	٢٩٥,٢١	٢٥٨,٥٢	٢٧٩,٦٨	٢٦١,١٢	٢٤٣,٦٩
التقدير الخاص	١٢,٢٣	١٣,٦٤	١٣,٩٩	١٤,٩١	١٢,٨٠	١٠,٦٣
حالة الأرصدة فى صندوق النقد الدولى .	٤,٧١	٥,٢٩	٥,٩٢	٦,٨٧	٦,٥٣	٦,٤١
العملات الأجنبية	٢١٠,٧٦	٢٧٦,٢٧	٢٣,٨٦١	٢٥٧,٩٠	٢٤١,٨٠	٢٢٦,٦٥
الذهب	٢٤١,٦٠	٢٣٤,٧٠	٢٩٢,٤٠	٣٤٢,٣٨	٣٠٠,٧٦	٢٨٢,٠
المجموع	٤٧٠,٣١	٤٧٠,٩١	٥٥٠,٩٢	٦٢٢,٠٦	٥٦١,٨٨	٥٢٥,٦٩

Source: Imf, International, financial Statistics.

الديون الخارجية

كانت معظم الديون الخارجية المستحقة على أفغانستان لصالح الاتحاد السوفيتى السابق طوال فترة احتلاله لها، ثم بعد ذلك الكتلة الشرقية، و طوال هذه المدة وصلت لأفغانستان معونات قليلة من هذه الدول الغربية. و قُدر حجم الديون الأفغانية فى عام ١٩٨٦م بأكثر من ٣٠ ملياراً من الدولارات(*).

The military Balance, 1991- 1992, P.156 (*)

الديون العامة الأجنبية (بالمليون دولار)

مجموع الديون العامة	١٩٧٣	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨*
	٨٨١,٦	١,٤٨٥,٥	١,٦٣٦٧	١,٨١٤,٧	١,٩١٢,٠
	٦٢٧	٧٧١,٦	٨٢٠,٥	٩٦,٠	١,١٠٤,٦
	٤٧,٨	٣٦,٠	٣٣,١	٣٠,٧	٢٩,١

Source: World Bank, world Dept tables, 1982-83

وكان عام ١٩٧٨م هو آخر عام يتم فيه عمل إحصائية عن الديون الخارجية. و منذ عام ١٩٧٨م حتى عام ١٩٨٢م لم يعثر على أية إحصائية.

الديون الأجنبية عموماً (بالمليون دولار)

	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
على المدى الطويل	٨٠٠	٨٠٩	٨٦٦	١,١١٧	١,٢٧٠	١,٤٨٢	١,٦١٩
الدول الأعضاء فى OECD	١٨٢	١٦٩	١٥٥	١٤٦	١٤٣	١٤٦	١٣٤
عوائد رأس المال	١٥٧	١٤٥	١٣٣	١٤١	١٤٢	١٤٦	١٣٤
الأوراق المالية	٢٤	٢٤	٢٢	—	—	—	—
الرسمية للتصدير	١	—	—	—	—	—	—
البنك	١١٠	١٠٩	١٠٩	١١٩	١٢٩	١٣٩	١٣٧
متعدد الجوانب	٥٠٨	٥٣١	٦٠٢	٨٥٢	٩٩٩	١,١٩٦	١,٢٤٩
الدول غير الأعضاء OECD	٤٠٠	٤٢٥	٥٠٠	٧٥٠	٩٠٠	١,١٠٠	١,٢٥٢
الدول العربية	١٠٨	١٠٦	١٠٢	١٠٢	٩٩	٩٦	٩٦

المدى القصير	١٠	٨	٦	٥	١٨	١٧	٢٠
البنك	١	٨	٦	٥	١٨	١٧	١٩
أموال التصدير	٩	—	—	—	—	—	—
مجموع الديون المعروفة	٨١٠	٨١٨	٨٧٢	١,١٢٢	١,٢٨٩	١,٤٩٩	١,٦٣٩
الامتيازات	٧٧٥	٧٨٥	٨٤٣	١,١١٢	١,٢٦٩	١,٤٨١	١,١٧

Source: OECD, Financing and external Dept of Developing countries.

حجم التضخم: (العمل)

طبقًا للإحصائيات الرسمية فإن حجم التضخم فى عام ١٩٨٩م كان حوالى ٧٥,١ بالمائة، وفى عام ١٩٩٠م حوالى ٤٢,٢ بالمائة.

عجز الميزانية

كان العجز فى الميزانية فى عام ١٩٨٥م يقدر بحوالى ١٤,٥ مليار أفغانى، وهو ما يعادل ٢٨٦,٥٦ مليون دولار.

يشتغل القسم الأعظم من القوة العاملة بأفغانستان فى الزراعة، ويأتى بعد الزراعة الصناعة والمعادن، ثم بعد ذلك الأعمال الخدمية وغير الإنتاجية، وهى القطاعات التى يشغلها العدد الأكبر من القوة العاملة.

تقدير قوة العمل

نوع العمل	١٩٧٦-٧٥		١٩٨١-٨٠		١٩٨٦-٨٥	
	القوة العاملة بالفعل (بالألف عامل)	النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل	القوة العاملة بالفعل (بالألف عامل)	النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل	القوة العاملة بالفعل (بالألف عامل)	النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل
الزراعة	٤,٠٢٢	٧١,٦	٢,١٣٨	٥٧,٣	٢,٧٧١	٦٦,٩
الصناعة	٣٥٠	٦,٢	٦٨٩	١٨,٥	٨٤٥	١٥,٥
المعادن	١٨٨	٣,٤				
الأعمال غير الإنتاجية	٧١٥	١٢,٧	٦٩٩	١٨,٧	٨٢٩	١٤,٩
البطالة	٣٤٣	١٦,٠	٢٠٤	٥,٥	١٦٥	٣,٠
مجموع القوة العاملة	٥,٦١٨	١٠٠,٠	٣,٧٣٠	١٠٠,٠	٥,٥٦٠	١٠٠,٠

Source: seven year Development plan (1976-77 /1982-83); Asian Development Bank, Key indicators of Developing Member countries.

البنوك والأرصدة المالية

بدأ النشاط البنكي في عقد الثلاثينيات من القرن الحالى، ففى عام ١٩٣٠م أسس عبد المجيد الزابلى البنك الأفغانى الوطنى، وكان دعم الصناعة هو أحد أهدافه الأساسية. وفى تلك الأيام كان القطن أهم البضائع المصدرة. وظل على هذه الحال حتى سنوات ما قبل الحرب. وفى الوقت الحاضر فإن (بنك أفغانستان) هو أهم بنك أفغاني؛ إذ يقوم بأعمال البنك المركزى، وفى الوقت نفسه يقوم بالأعمال التجارية والبنكية.

وأهم البنوك الأفغانية بعد بنك أفغانستان هى: البنك الوطنى، والبنك التجارى البشتونى، وبنك الإسكان، وبنك التنمية الصناعية، وبنك تنمية الصادرات، وصندوق الأرصدة الصناعية، والبنك الزراعى.

والأرصدة الموجودة بالبنوك قليلة، ويتم استثمارها فى القطاع التجارى، فعلى سبيل المثال كان الرصيد الموجود ببنك التنمية الصناعية، الذى تم تأسيسه فى عام ١٩٧٣م ٢٤٠٠ مليون أفغانى. كما كان رأسمال بنك دعم الصادرات - الذى تأسس فى عام ١٩٧٦م - فى بداية أمره ١٠ ملايين أفغانى.

وفى عام ١٩٧٥م أعلنت حكومة داود خان تأميم جميع البنوك. وبهذه الطريقة يتم إعداد نظام بنكى فعال، وبناءً على هذا فقد خضعت البنوك للسيطرة الحكومية. وكان تأميم البنوك فى غالب الأمر يرجع إلى اشتراكية داود خان، وذلك لرغبته فى إصلاح النظام البنكى وتنشيطه ؛ ولأنه رأى أن النظام البنكى لن يتطور. ومع هذا فإن الصرافين فى قصر الأمير ظلوا يمارسون أنشطتهم.

نسبة الرصيد المالى (بالمليون أفغانى)

١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧
٣٩,٧٧٩	٤٥,٦٦٥	٥٢,٩٧٣	٥٥,٦٩١	٦٨,٧٠٧	٧٤,٤٢٤	٨٢,٩٥٦	١٢٨,٠٨٩
١٩٨٨	١٩٨٩						
١٧٤,٨٦٧	٢٨٨,٨٦١						

Source: Imf, International, financial Statistics.

السياحة

كانت السياحة فى العقود السابقة تمثل أحد مجالات الدخل الأفغانى ؛ ففى أفغانستان توجد آثار عريقة وأماكن جذابة كثيرة مثل تمثال بوذا، وسائر الآثار المتعلقة

ببوذا (وذلك فى باميان، ومضيق خيبر) ونظام الحياة القديمة، وهى التى تعتبر أشياء رائعة بالنسبة للأوروبيين؛ حيث تصور العصور السابقة لحياة الإنسان. وهناك آثار قديمة كثيرة فى مدينة هراة، وقندهار، وغزنين، ووصلت نسبة الآثار القديمة فى بعض المدن مثل هراة إلى درجة جعلت اليونسكو تختار هذه المدينة لتكون من المدن التابعة لها. وهذه الآثار تلعب دوراً مهما و مؤثراً فى عملية جذب السياح إلى أفغانستان، ولكن منذ فترة الحرب والاحتلال السوفيتى لأفغانستان والسياحة متلاشية تماما، ولم يذهب إلى أفغانستان إلا قليل من الصحفيين، ولم يأت إلى هذا البلد أحد ؛ لأنه لا يوجد إليها طريق، ولا تتمتع بالأمن. ولذلك فإن دخل هذا القطاع منعدم تقريباً.

عدد السياح الذين ذهبوا إلى أفغانستان

اسم البلد	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
ألمانيا الغربية	٨٦٤٩	٨٩٠٧	٩٠٨٥	٧٤٩٦	١٨١٧	٢٥٨
فرنسا	٩٤٣١	٧٧٩٤	٦٧٧٩	٤٧٨١	١١٥٣	٢٣٤
أستراليا	١٠٩٤	١٠٥٥	٤٣٩٧	٣٠٧٠	٩٦٧	٢٨
الولايات المتحدة الأمريكية	٩٤٠١	٨٩٥٠	٩٠١١	٦٣٨٩	١٠٣٩	٧٩
الهند	٨٧١٧	٨٥٢١	١١١٨٥	٩٧٤٤	٤٢٥٠	٩٩٢
إنجلترا	٩٧٧٧٧	١٠١٠٨	١١٥٢٦	٩١٠٢	١٨٥٠	١٢٨
باكستان	١٣٦٤٨	٢٠١٣	٣٥١٠٥	٢٣٦٦٣	١٠١٢٦	٢٤٦٦
باقى الدول	٣٠٠٧٧	٢٤٤٧٨	٣١٧٢٠	٢٧٧٤٤	٨٩٠٢	٢٤٣٨
المجموع الكلى	٩٠٨٩٤	٩٣٠٢٦	١١٨٣٦٠	٩١٩٨٩	٣٠٢٠٤	٦٦٢٣

مستوى دخل أفغانستان من ناحية السياحة (بالمليون دولار)

١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٨	١٩٨٩	١٩٨٠
١١	١٢	١٢	٢٨	٧	١

source: The far East and Australasia, 1988.

Europa publications Limited.

النقل والمواصلات

الطرق: حالة الطرق بأفغانستان سيئة للغاية، وغير مناسبة. وكانت الطرق والمواصلات قد شهدت تطورات كبيرة فى سنوات عقدى الستينيات والسبعينيات طبقًا للملاحظات السياسية، وذلك بين كابل و المدن الكبرى. ولكن المواصلات بين المدن الصغيرة وباقى الولايات لم تشهد تطورًا يذكر، وظلت الطرق وعرة تقريبًا حتى أن الطرق التى تربط بعض المراكز الكبرى مثل فيض آباد و فراه بكابل لا تزال وعرة، وغير معبَّدة والطرق غير المعبَّدة فى معظمها غير مناسبة، لدرجة أن قطع الطريق الذى يصل طوله إلى ١٠٠ كيلو متر يستغرق من أربع إلى خمس ساعات، وعبور البحر أمر صعب للغاية. ولا تزال الكبارى التى تستخدم فى العبور كبارى خشبية. كما تصعب عملية نقل البضائع لأن المنطقة جبلية، ولا يوجد بها طرق مناسبة، وكذلك بسبب النقص فى وسائل النقل الآلية، ولا يزال حتى الآن القسم الأعظم من البضائع يتم نقلة عن طريق الجمال والحمير والخيل والعربات التى تجرها الثيران، وفى حالات كثيرة يقوم الإنسان بجر هذه العربات، بالإضافة إلى أنه لا يتيسر للكثير وجود الحمير لجر هذه العربات فى العادة، حتى إن نقل خشب السرو إلى باكستان يتم على ظهر الجمال.

وقد تم إنشاء معظم الطرق بأفغانستان وتنفيذ مشروعات كبيرة فى عقد الستينيات بمعونات من الاتحاد السوفيتى. وقد وصل الطول الإجمالى للطرق الأفغانية

٢١٠٠٠ كيلو متر حتى عام ١٩٨٤م. ووصل الطول الإجمالى للطرق التى عُبدت من هذه النسبة ٢٨٠٠ كيلو متر، وهى فقط التى لها بنية تحتية قوية ومحكمة. والبقية معبدة تعبيداً بسيطاً، ولها بنية تحتية ضعيفة للغاية، وقد تعرضت لأضرار كبيرة.

أما المساحة المعبدة تعبيداً قويا المشار إليها، والتى يصل طولها إلى ٢٨٠٠ كيلو متر فإنها تمثل طريقًا دائريًا، ورئيسًا بأفغانستان، ويبدأ هذا الطريق من شمال "هراة" تقريبًا في منطقة "تورغندى" (حدود أفغانستان، وروسيا) حتى يصل إلى هراة، ثم يأخذ الطريق فى الانحناء صوب الجنوب حتى يصل قندهار. ومن قندهار يتجه صوب كابل حتى يصل إليها. ثم بعد ذلك من كابل نحو مزار الشريف في شمال البلاد. ومن مزار الشريف يعود مرة أخرى إلى الحدود الروسية، ولذلك فإن هذا الطريق يتصل بالاتحاد السوفيتى من جهتين. وفى الغرب يتصل بإيران عبر طريق هراة. وفى قندهار يتصل بكويتة باكستان، وفى كابل كان يصل عبر الطريق الموصل إلى ترخم (حدود أفغانستان مع باكستان) بعد عبور مدينة جلال آباد. بعد ذلك يتجه صوب مدينة بيشاور فى باكستان، وطبقًا لما ذكر فإن أهم الطرق الأفغانية من الممكن أن تكون:

١- طريق كابل-قندهار- أسبن بولدوك بطول ٦٢١ كيلو متراً.

٢- طريق كابل - ترخم بطول ٢٣٢ كيلو متراً.

٣- طريق قندهار- هراة - تورغندى بطول ٦٧٨ كيلو متراً.

٤- طريق هراة - اسلا على الحدود الإيرانية.١٢٤كيلو متراً.

٥- طريق كابل - مزار شريف بطول ٦٢١ كيلو متراً.

٦ - نفق سالنج الكبير بطول ثلاثة آلاف متر. و٣٥٠٠ متر ارتفاعًا عن سطح البحر. ففى عام ١٩٦٤م أقامه الاتحاد السوفيتى السابق.

وطبقًا لتقارير هيئة الأمم المتحدة وإحصائياتها، فقد ألحقت أضرار بالطرق بطول نحو ٥٠٠٠ كيلو متر حتى عام ١٩٨١م. وتم تفجير ٣٠٠ جسر. وفى السنوات التالية أنزلت كذلك خسائر فادحة فى الطرق، وتم تدمير عمليات تعبيدها حتى أصبحت ترابية،

فعلى سبيل المثال كان طريق هراة - إسلام قلعة، والذى يبلغ طوله ١٢٣ كيلو متراً يستغرق من أربع إلى خمس ساعات فى قطعه، ولم تتعرض الطرق الموصلة إلى المدن وحدها للضرر، وإنما تعرضت طرق أكثر المدن كذلك للضرر والتخريب، وأصبح معظمها ترابيا أو شبه ترابى، وبه الكثير من الحُفَر والمطبات.

وعدد وسائل المواصلات عموماً من سيارات الركوب، والأتوبيسات، والشاحنات ... إلخ محدود، والسيارات الموجودة فى غالبها قديمة ومتهالكة صناعة روسية أو مجرية وسلوفاكية، والتوكيلات الأجنبية كانت تدخل إلى أفغانستان بصعوبة عبر باكستان، وفيما يلى عرض لنسبة وسائل المواصلات طبقًا لإحصائيات غير دقيقة بدرجة كبيرة (من الصعوبة بمكان إجراء إحصائيات دقيقة فى أفغانستان، أو إحصائيات صحيحة بالمرة).

نسبة وسائل المواصلات

ركوب وشخصية	٢٦,٠٠٠	٣٤,١٩٤	٣٤,٠٨٠	٣٤,٩٠٨
عاملة وتجارية	٢٦,٠٠٧	٢٧,٥٥٥	٢٨,٧١٤	٣٠,٨٠٠

وفى أغسطس عام ١٩٨٩م وافق الاتحاد السوفيتى على إعطاء أفغانستان ٥٠٠٠ وسيلة مواصلات منها ٥٠٠ شاحنة من نوع كماز (KAMAS) لنقل البضائع الروسية لأفغانستان، ولكنه لم ينفذ ذلك.

الموانئ و الملاحة البحرية

ليس لأفغانستان طريق على البحر الحر، وليس بها ميناء أو ملاحة بحرية. كما أنه ليس بها بحار تقبل الملاحة البحرية. والبحر الوحيد الذى يمكن القيام بالملاحة فيه هو بحيرة حدودية لبحر الخزر فى شمال البلاد، والتى يقل عمقها وعرضها فى مناطق

ويزيد فى أخرى، لذلك لا يتحرك فيها إلا الزوارق واللنشات الصغيرة، وقد تم إنشاء موانئ صغيرة على سواحل بحر الخزر حتى يمكن الوصول من خلالها - و بالاعتماد على جسر أفغانستان - إلى الاتحاد السوفيتى.

السكك الحديدية

لا توجد سكك حديدية فى أفغانستان؛ فهى إحدى البلاد التى لم تطور فيها السكك الحديدية. وهناك سكتان حديديتان فقط، ويصل طول إحداهما إلى عشرة كيلو مترات، وتبدأ من كوشك فى الاتحاد السوفيتى، وتنتهى فى تورغندى فى أفغانستان. ويصل طول الأخرى إلى خمسة عشر كيلو متراً من ترمز فى الاتحاد السوفيتى حتى خيبر آباد فى أفغانستان، وهى التى تم مدها - من أجل نقل البضائع أو الأشياء الأخرى - على يد الاتحاد السوفيتى، وكانت البضائع الأفغانية المصدرة يتم نقلها قبل الحرب بشكل تقليدى عن طريق باكستان، فكانت البضائع تحمل على شاحنة أو أى وسيلة أخرى إلى بيشاور فى باكستان، ومن تلك المدينة يتم نقلها عن طريق السكك الحديدية إلى كراتشى. وفى كراتشى كانت تحمل إلى المناطق الأخرى بالسفن. وقد تغير طريق نقل البضائع تدريجيا نحو الشمال، وذلك بعد توسيع النفوذ الاقتصادى والعسكرى والسياسى من جانب الاتحاد السوفيتى، وكذلك بعد تنمية العلاقات الاقتصادية بين كل من أفغانستان وروسيا بعد نشوب الصراعات مع باكستان. وعن طريق الاتحاد السوفيتى عرفت البضائع الطريق للأسواق الأخرى، ومعنى ذلك أن خطوط السكك الحديدية وصلت إلى حدود أفغانستان عبر إيران، وباكستان، والاتحاد السوفيتى السابق، ولكنها لم تعرف الطريق إليها مطلقاً.

وبصرف النظر عن عوامل الضعف الاقتصادى الأفغانى، فإن أحد أسباب عدم توسيع شبكة السكك الحديدية بأفغانستان هو صراعات القوى العظمى وخلافاتها، وفى القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين كانت إنجلترا، وروسيا، وأمريكا،

والاتحاد السوفيتى السابق، ترى كل دولة منها أن توسيع شبكة السكك الحديدية بأفغانستان سوف يلحق بها الضرر، أو يقوى من شوكة الطرف الآخر. و كانت أفغانستان على طول القرنين الماضيين لها حدود سياسية وعسكرية مع القوى العظمى. فكان كل طرف يمانع عملية توسيع الطرق ومد الخطوط، والدليل على ذلك أنه لما لم يكن هناك سكك حديدية أو طرق لم تكن القوى العظمى على مقدرة من الهجوم فكانت تجعل قواتها تهاجم ببطء.

ولم تتحقق الخطة السبعية لداود خان، و كذلك اقتراح المعونة التى تبلغ مليارى دولار من إيران لأفغانستان، لتِمُدَّ لها طريق يصل طوله ١٨٠٠ كيلو متر يتصل بالسكك الحديدية الإيرانية، وعبر هذا الطريق يتم الوصول إلى المياه الدولية، ولم تنفذ هذه الخطة لأن داود خان واجه الانقلاب السابع من ثورات، وقتل فسقط نظامه، وبعد فترة انتصرت الثورة الإسلامية فى إيران، وأطيح بالشاه.

المطارات

لأفغانستان مطاران دوليان فى كابل وقندهار. وكذلك لها مطاران آخران من الأهمية بمكان فى بكرام (بالقرب من كابل)، وشيندند (بالقرب من إيران)، وهناك مطاران عسكريان آخران. كما توجد كذلك مطارات أخرى فى هراة وجلال آباد ومزار الشريف. كما أنها تمتلك أكثر من عشرين مطاراً داخلياً صغيراً ليست لها أهمية، وهناك شركة الطيران الأفغانية "اريانا" التى تمتلك أسطولاً من الطائرات روسية الصنع. وبعضها من نوع أنتونوف (an.26s) .

عدد طلعات الطيران الأفغانى

	١٩٨٠-٧٩	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١
مقدار مسافة الطيران (بآلاف الكيلومترات)	٣,٦٦٥	٣,٠١٢	٢,٠٧١
عدد المسافرين المتغيرين	١٠١٠٠٠	٨٦١٩٩	٦٩٣٦٤
مسافات المسافرين (بآلاف الكيلومترات)	٢٣٨,٠٦٨	١٧٣,٨٥٥	١٦٤,٤٥٥
الأحمال بالطن	١٩,٠٨٤	٢١,٣٦٦	٢١,٠٣٢٧٧
المنقولات والبريد	٦٠٠٠	٧٠٧٠	٥٢

التجارة الخارجية

التجارة الخارجية بأفغانستان مثل سائر القطاعات الصناعية والاقتصادية تماماً، فهى محدودة ولا قيمة لها، وأصناف البضائع التصديرية الأفغانية تشتمل على الغاز الطبيعى، والفواكه الطازجة والمجففة، والجلود، والسجاد. وقبل اندلاع الحرب والصراعات كان مستوردو جلود الغزلان الصغيرة(*) من الأمريكان، والإنجليز. أما مستوردو الصناعات اليدوية كالسجاد فكانوا من أوروبا الغربية، وخاصة من الألمان، ومستوردو الفواكه، والخضراوات الطازجة، والمجففة من الهند. وعلى طول العقدين الأخيرين كانت روسيا هى المستورد الأساسى للغاز الطبيعى، والأعشاب الطبيعية الأفغانية.

منذ عقد الستينيات والسبعينيات شهدت التجارة بين كل من أفغانستان والاتحاد السوفيتى نموا وزيادة، وفى عام ١٩٧٥م كان يذهب حوالى ٣٦ بالمائة من الصادرات

(*) يطلق على الغزلان الصغيرة فى إيران اسم (قره كل) وهو المعنى هنا persianlamb، وهى أشهر الغزلان الأفغانية، ولها شهرة عالمية . حيث مركز بيعها كان فى البداية لندن ثم بعد ذلك نيويورك. ويشترط أن يؤخذ جلده بعد الرضعة الأولى أو حتى قبل أن يرضع، ولحمه لذيذ. (المترجم)

الأفغانية إلى الاتحاد السوفيتى، وقد زاد هذا الرقم حتى وصل إلى ٦٦ بالمائة فى عام ١٩٨٧م. وبعد الاتحاد السوفيتى تأتى أوروبا الشرقية.

وكانت أفغانستان فى نهاية الثمانينيات تعتمد اعتماداً رئيسيا على تصدير الغاز، وتقدمت البلاد فى طريق واحد للإنتاج. ففى عام ١٩٨٤م وصل عائد الغاز الطبيعى إلى ٢٠٠ مليون دولار. وكان هذا الرقم يعادل ٥٦ بالمائة من دخل أفغانستان.

وعندما اشتعلت نيران الحرب فى أفغانستان كانت أفغانستان تتمتع بنمو ضئيل فى التصدير، وطبقًا لأخبار **IMF** فإن نسبة نمو الصادرات كانت كما يلى:-

٨١-١٩٨٢	٨٢-١٩٨٣	٨٣-١٩٨٤
٣,٦ بالمائة	١,٩ بالمائة	٣ بالمائة

وسار هذا الرقم فى عام ٨٥-١٩٨٦م، وخاصة فى عامى ٨٨-١٩٨٩م و٨٩-١٩٩٠م فى طريق الانخفاض، وذلك منذ عام ٨١-١٩٨٢ . وفى عام ١٩٩٢م - نظراً لتأجج نيران الحرب وشدة الصراعات - يبدو كأنه أقل من واحد بالمائة.

نسبة التجارة الخارجية (بالمليون دولار)

نوع التجارة	٨٣-١٩٨٤	٨٤-١٩٨٥	٨٥-١٩٨٦	٨٦-١٩٨٧	٨٧-١٩٨٨	٨٨-١٩٨٩	٨٩-١٩٩٠
تصدير	٧٢٨,٦	٦٣٢,٩	٥٥٦,٨	٥٥١,٩	٥١١,٩	٤٣٢,٧	٤٢٥,٩
استيراد	٨١٦,١	١,٠٩٧,٧	٨٨٣,١	٨٦١,٦	٨٨٦,٤	٧٢٥,٩	٦٨١,٢
نسبة الموازنة التجارية	٨٧,٥	٤٦٤,٨	٣٢٦,٣	٣٠٩,٧	٢٧٤,٥	٢٩٣,٢	٤٤٥,٣

Source: Imf, International, financial Statistics.

نوع البضائع المصدرة وقيمتها (بالمليون دولار)

نوع البضاعة	٨٠-١٩٨١	٨١-١٩٨٢	٨٣-١٩٨٤	٨٨-١٩٨٩	٨٩-١٩٩٠
الفواكه الطازجة	٣٩,٧	٥٠٠,٥	٦٦,٣		
الفواكه المجففة	١٦٩,٤	١٧٥,٩	١٩١,٩	١٤٢,١	١١٠,٢
الجلد	١٤,٤	١١,٧	١٥,٥	—	—
الجلد الأسود	٣٢,٣	١٨,٨	٩,٥	٦,١	٣,١
القطن	٣٩,٦	٢٢,٥	١٠,١	١٢,٣	٠,٩
الصوف	١٢,٣	٢٣,٣	٢٥,٣	٣٠,١	٥,٥
السجاد	١٠٣,٦	٧٢,٦	٥٠,٣	٣٩,١٠٠٠	٣٨,٠
الحبوب الزيتية	٦,٤	٢,٠	٣,٨	...	...
الأعشاب الطبية	٤,٢	١١,٥	١٦,٥	١٤٣,٠	...
الغاز الطبيعي	٢٣٣,١	٢٧٢,٥	٣٠٥,٢	...	...
سائر البضائع	٤٩,٢	٢٨,٩	٣٠,١		...

Source: Imf, International, financial Statistics, and the farEast and Australasia, 1988.

الشركاء التجاريون

كان الاتحاد السوفيتي في عقدى السبعينيات، والثمانينيات هو أكبر شريك تجارى لأفغانستان سواء في التصدير، أو في الاستيراد. وفي نفس المدة كانت الهند تحتل الترتيب الثاني بعد الاتحاد السوفيتي بالنسبة لشراء البضائع الأفغانية، أما اليابان فكانت أكبر مصدر لأفغانستان.

نوع البضائع المستوردة وقيمتها (بالمليون دولار)

نوع البضاعة	١٩٧٦-٧٥	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
السكر	٣٩,٥	٤٠,٨	٥٠,٣	٢٥,٢
القمح	...	٠,٧	١٨,١	٣٨,٢
الشاى	٣٠,٥	٢٨,٣	...	٢٣,٨
المنسوجات	٢٠,٦	٦٠,١	٧٠,١	...
السجائر والدخان	١,٩	٥,١	٧,٢	١٢,٧
أنواع الأدوية	٦,٧	٤,٤	٤,١	٣,٧
وسائل النقل وقطع الغيار	١٦,٩	٨٩,٨	١٤١,٠	...
منتجات البترول	٢٧,٠	١٢٤,٠	١١٢,٠	...
المواد الكيماوية	١٠,٥	٧,٤	٦٦	...
الملابس المستعملة	١,٤	٢,٥	١,٨	٥,٣
الصابون	...	٩,٩	١٧,٢	٨,٠
البلاستيك	٢١,٦	١٦,٧	١٢,٧	٢٨,٨
السماد الكيماوى	...	٨,٣	٣,٣	٣,٩
الأدوات الكهربائية وغير الكهربائية	...	٢,٣	٠,٧	...
الدرجات	...	٢,٠	٠,٤	١,٩
سائر البضائع	١٧٠,٣	١٠٦,٦	٩٢,٣	...

Source: Imf, International, financial Statistics, and the farEast and Australasia, 1988.

الشركاء التجاريون الأساسيون لأفغانستان (بالنسبة المئوية للتجارة عموماً)

الصادرات

النسبة المئوية للدولة	١٩٧٥	١٩٨٣	١٩٨٨
الاتحاد السوفيتي	٣٤,٢	٥٩,٨	٦٣,٣
الهند	١٣,١	٦,٣	٧,٣
ألمانيا الجنوبية	٩,٨	٥,٦	٢,٩
إنجلترا	٦,٧	٤,٢	١,٩
ألمانيا الشرقية	...	١,٧	٢,٧
بلجيكا – لكسمبورج	...	٠,٦	١,٩
باكستان	١٤,٧	٣,٢	١,١

الواردات

النسبة المئوية للدولة المستورد منها	١٩٧٥	١٩٨٣	١٩٨٨
الاتحاد السوفيتي	١٢,٨	٤٣,٦	٤٨,٨
اليابان	١٨,٢	١٦,٧	١٠,٠
كوريا الجنوبية	...	٢,٦	٤,٤
سنغافورا	...	٣,٤	٦,٧
الصين	...	١,٠	٢,٢
ألمانيا الغربية	١٠,١	٣,٠	١,٦
باكستان	٢,٦	٢,٢	٢,٨

Source: Ministy of commerce, External Trade statistics; IMF, direction of trade statistics.

قيمة الواردات من كبار الشركاء التجاريين (بالمليون دولار)

الدولة المصدرة	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
الاتحاد السوفيتي	٢٩٠,٤٩٧	٣٦٥,٠٠٠	٥٢٦,٣١٩
اليابان	٩٨,٢٠٧	٧٦,٦٧٠	١١١,٠٦١١
الهند	٢٠,٥٧٢	١٧,٠٢٤	٢٨,٩٨٥
هونج كونج	١٨,٥٨٦	٢٧,٣٨٦	...
ألمانيا الغربية	١٦,٧٧٩		١٧,٠٧٦
باكستان	١٤,٨٩٥	١١,٧٣٧	١٤,٨٨٢
الولايات المتحدة الأمريكية	١٤,٢١٦	٧,١٥٦	٨,٧٢١
المجموع الكلى (يشمل كذلك بقية الدول)	٥٥١,٧٤٨	٦٦٢,٤١٦	٨٤٦,٠٢٢

Source: The far fast and Australasia. 1988, P.166

الواردات

وقد بلغت قيمة الواردات لأفغانستان فى عام ٨٤ - ١٩٨٥م حوالى ٩٠٢ مليون دولار، وفى عام ١٩٨٦م حوالى ٨٤٨ مليون دولار، وهو ما يمثل نمواً سلبيًا بالنسبة للصادرات.

قيمة الصادرات لكبار الشركاء التجاريين (بالمليون دولار)

الدولة المصدر إليها	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
الاتحاد السوفيتى	٤١٧,٨٧٢	٤١٢,٦٣٥	٤٠٠,٧٥٦
الهند	٥٤,٧٤٦	٤٣,٢١٢	٤٨,٢١٢
باكستان	٥٢,١٠١	٦١,٢٤٩	١١٨,٠٨٠
ألمانيا الغربية	٥١,٥١٣	٤١,٨٠١	٢٦,١٣٠
إنجلترا	٥١,٨٤٤	٣٦,٣٤٠	٢٥,١٣٧
السعودية	٢١,١٨٨	١٩,٢١٤	...
تشيكوسلوفاكيا	١٤,٥٨٥	١٢,٠٨٨	٤,٨٣٦
المجموع الكلى (يشمل كذلك بقية الدول الأخرى)	٧٠٥,٢٤٤	٦٩٤,٢٩٢	٧٢٨,٥٧٦

Source: the far fast and Australasia. 1988, P.166

وكانت قيمة الصادرات الأفغانية عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م حوالى ٧٧٨ مليون دولار، وعام ١٩٨٦م حوالى ٥٦٥ مليون دولار.

وفى عام ١٩٨٥م كانت قيمة الصادرات الأفغانية لأمريكا ٧,١ مليون دولار، والواردات من أمريكا ٣,٤ مليون دولار، وسار معدل النمو صوب الانخفاض.

العضوية فى المنظمة الدولية

وأفغانستان عضو فى المنظمات الدولية التالية:

١- هيئة الأمم المتحدة، ودخلتها فى عام ١٩٤٦م. و حتى عام ١٩٧٠م كانت أفغانستان عضواً فى المنظمات التالية:

٢- البنك الدولى.

٢- صندوق النقد الدولى.

٣- بنك التنمية الآسيوى منظمة دول عدم الانحياز ADB .

٤- مشروع كلمبو.

٥- مجموعة الـ ٧٧ .

٦- المنظمة الدولية للأقمار الصناعية إنتيلسات (INTELSAT).

٧ - مجلس التعاون الجمركى (CCC).

٨- هيئة التموين والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة (FAO).

٩- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية التابعة لهيئة الأمم المتحدة لآسيا، ومنطقة المحيط الهادى إسكاب (ESCAP).

١٠- الوكالة الدولية للطاقة النووية (IAEA).

١١- الهيئة الدولية للطيران المدنى (إيكاو ICAO).

١٢- بنك التعمير الأمريكى (IDB).

١٣- المنتدى الدولى للتنمية (IDA).

١٤ - بنك التنمية الإسلامى.

١٥- الصندوق الدولى للتنمية الزراعية إيفاد (IFAD).

١٦- المؤسسة المالية الدولية إيفك (IFC).

١٧- منظمة العمل الدولية (إيلوILO).

١٨- الاتحاد الدولى للاتصالات عن بعد (إتيلو ITLU).

١٩- المنظمة العلمية التعليمية والثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة (يونسكو UNESCO).

٢٠- الاتحاد العالمى للبريد (UPU).

٢١- الهيئة العالمية للأرصاد (WMO).

٢٢- منظمة الصحة العالمية (WHO).

٢٣- NAM .

٢٤- WFTU.

٢٥- WTO.

٢٦- WSG.

وبذلت جهود كثيرة لكى تنضم أفغانستان بمنظمة "إكو"، وفى خريف ١٣٧١هـ. ش تهيأ المجال لعضويتها فى الإكو.

الفصل السابع

المؤسسات الإدارية والحكومية

مختصر تاريخ أفغانستان

يحتوى تاريخ أفغانستان المعاصر على ثلاث مراحل أو ثلاثة أحداث مهمة:

١- انفصالها عن إيران.

٢- الاعتداء السوفيتى على أفغانستان.

٣- إخراج الاتحاد السوفيتى من أفغانستان وتشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية.

انفصال أفغانستان عن إيران وما تلاه من أحداث :

انفصلت الأرض الأفغانية الحالية عن إيران سنة ١٢٧٣هـ . ش/١٨٥٧م وفقًا لمعاهدة باريس، ومن المؤكد أن مقدمات استقلالها بدأت منذ أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر، ففي سنة ١١٦٠هـ . ش/١٧٤٧م قتل "نادر شاه" على يد واحد من رؤساء القزلباش(*) فى فتح أباد وقوجان.

وفى تلك الأثناء اغتنم الفرصة "أحمد خان إبدالى" الذى كان من بين قادة "نادر شاه" وكان تحت إمرته أربعة آلاف رجل. وفى الليلة نفسها التى وقعت فيها الحادثة جمع

(*) القزلباش: لفظ تركى ومعناه أحمر الرأس، وقد لقب بهذا اللقب جميع العساكر الصفوية الشيعة ؛ لأنهم كانوا يعتمون (بأمر السلاطين الصفوية) بعمائم حمراء. انظر: تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص٢٠٨ . (المترجم)

حوله جنده وسلحهم جميعًا وأعلمهم بواقعة القتل. وتوجه صوب "قندهار" موطن قبائل الإبدال، الذين هم من قبائل البشتون، ووقعت اضطرابات عقب قدوم "أحمد خان" إلى قندهار فأعلن الاستقلال، ولقب نفسه بأحمد شاه، وبالتأكيد لم يخضع له الملك بسهولة فقد كان ملكًا فى سنين الشباب تقريبًا، وحتى يصل إلى ما يريد استفاد من سلوكيات "نادرشاه" فى صحراء "مغان". وبعد مجيء "أحمد خان" إلى قندهار، وعندما رأى زعماء القبائل والأقوام إصلاحاته قرروا أن يعينوه ملكًا، فشكل مجلس "لويه جركه" وجمع رؤساء القبائل البعيدة أيضًا وتباحث معهم قرابة تسعة أيام، ورغم كثرة هذه المباحثات وطول هذه الجلسات على مدى تسعة أيام فلم ينطق أحمد خان بكلمة واحدة مثل نادر شاه، وكأنه لم يكن له ميل إلى السلطة، وكان لمجلس الحكم مدعوون كثيرون، ولم تصل المباحثات إلى نتائج ، وفى الجلسة التاسعة التى وصلت فيها المباحثات إلى النهاية وقف واحد من زعماء القبائل يدعى "صابر شاه" على قدمه وقال : "أحمد خان" (Ahmad khan)

لقد خلق الله لنا واحداً من أعظم الشخصيات، يعنى"أحمد خان"، وهو أفضل الجميع من كل الوجوه، وبسبب تفوق شخصيته بين أنصاره ونفوذه الكافى، وهذا النفوذ نابع من خدماته الكثيرة وإسهاماته العظيمة؛ ولهذا السبب يتجه نفوذه نحو الزيادة.

وفى الجلسة التاسعة تم التسليم بالسيادة "لأحمد شاه"؛ فقد كان ذكيا، مهد لهذا الأمر من قبل بأعمال كثيرة، فعمل بذلك على جذب اهتمام رؤساء القبائل، وكانت إحدى تلك الخطوات مايلى :

أرسل "نادر شاه" بعد آخر غزوة له إلى الهند ما جمعه من جواهر ونفائس فى قافلة إلى إيران. ولم تكد هذه القافلة تصل حتى قتل "نادر شاه". وبعد أن توجه "أحمد خان" إلى قندهار أغار على هذه القافلة التى لم تكن قد علمت بعد بمقتل "نادر شاه" واستولى على ما تحمله، ثم قسم تلك الغنائم بين رؤساء القبائل الأفغانية الذين كانوا فى الغالب من البشتون، وبهذا أكد نفوذه عليهم وخضع الجميع له واتفقوا مع أهدافه. وبعد استيلائه على هذه القافلة وتقسيمها بين رؤساء القبائل الأفغانية ألغى لقب إبدالى لقبيلته، وأطلق عليها لقب "دارانى"، وعمل على تأكيد مكانته ونفوذه.

كان الهدف الأساسى لأحمد خان هو توحيد القبائل الأفغانية المختلفة تحت قيادته، ورأى أن اتحاد القبائل الأفغانية المختلفة سيكون عن طريق الفيدرالية الإقطاعية القومية، وأن الأسلوب الأمثل لإدارة البلاد هو الأسلوب التقليدى نفسه . وطبقًا للنظام الفيدرالى القومى يكون لقادة القبائل دور فى إدارة شئونهم الخاصة، إلا أنهم يعملون تحت إشراف الحكومة المركزية ويؤيدونها، وفى المقابل يجب على الحكومة المركزية أن تبذل قصارى جهدها لتأييد ودعم قادة القبائل. وبناء على هذا الأسلوب يجب على أى جماعة تريد أن تسيطر على أفغانستان أن تتفق مع قادة القبائل.

ومع أن أحمد خان كان قاسيا على معارضيه، فقد كان أيضًا سمحا كريمًا عطوفًا، وكان هذا الكرم مع رؤساء القبائل، فكان يرهب طائفة ويستميل أخرى. ولا يزال هذا الأسلوب رائجًا حتى اليوم.

أحد الأحداث المهمة فى حكم أحمد خان

كان غزو الهند هو أحد الأحداث المهمة فى حكم أحمد خان، وفى هذا الصدد كان يعالج هدفين، الأول أورده "مونت إستورات ألفين إستون" فى كتابه "شرح سلطنة كابل" حيث قال :

" عمل أحمد خان على إحكام سيادته، فاعتمد إلى حد كبير على الآثار السياسية للحروب الخارجية فى الداخل، إذ كان الانتصار فى الحروب الخارجية سببًا فى ذيوع صيته السياسى والعسكرى وتأييد رؤساء القبائل له، كما كان انتصاره فى الحروب الخارجية سببًا فى تزايد الرغبة فى الإغارة والغنيمة بين رؤساء القبائل، و سببًا أيضًا فى أن يلتف حوله جمع غفير من سكان أفغانستان. وكان التفاف الناس حوله بهذا الشكل سببًا في خوف القبائل من قوته العسكرية. وترتب على ذلك أن دانوا له بالولاء والطاعة".

الهدف الثانى هو أن دعائم حكومة أحمد خان كانت قائمة على الحرب والتهديد، وبجانب ذلك كانت الغنائم التى تأتى عن طريق الحرب توزع بين رؤساء القبائل

والجنود. وكانوا يتوافقون معه إلى أبعد الحدود، فقد غزا الهند ثمانى مرات، كما قاد بعض الغزوات أيضًا إلى خراسان. وكان نتيجة ذلك بصفة عامة – ويغض النظر عن الأهدف الأخرى السالفة – تأييد القبائل لأحمد خان وانصياعهم له، وليس هذا إعمالاً للعقل والمنطق والقانون، ولكن خوفا من قوته العسكرية وطمعًا فى الغنائم والهبات الأخرى . ولأن عماد الأمر كان قائمًا على الخوف والرهبة وليس على الإقناع ؛ فلما مات انفرط عقد الأمور.

وكان من حسن طالع " أحمد خان" أيضًا أن ضعفت الحكومة المركزية فى إيران بسبب مقتل "نادر شاه" المفاجئ، بل وشمل الهرج والمرج والفوضى أنحاء البلاد. ويضاف إلى ذلك أنه بسبب غزوات نادر شاه، ثم هجوم الإنجليز على الهند، ضعفت الحكومة الهندية ، وخاصة خلفاء بابر، ولم يعد هناك أى اهتمام ذى قيمة بالأقسام الشرقية لإيران أى أفغانستان.

قبل انشقاق أحمد خان كانت أفغانستان وإيران دولة واحدة ذات كيان واحد، بحيث يصعب فصل التاريخ الأفغانى عن التاريخ الإيرانى ؛ لأن أفغانستان كانت دائمًا مندمجة فى إيران ودائرة فى فلكها.

توفى "أحمد شاه" فى يونية سنة ١١٨٧هـ . ش/١٧٧٣م، وهو فى العقد الخامس بمرض الجذام، ودفن بقندهار. ويعد "أحمد خان" مؤسس أفغانستان الحديثة، وقد اتخذ من قندهار مركزًا لحكومته وسط قبائل البشتون.

وبعد وفاة "أحمد شاه" اعتلى ابنه الثانى"تيمور" العرش فى قندهار، ومن المؤكد أن ابنه الأكبر سليمان كان هو الأولى بهذا الأمر، إلا أن أحمد شاه كان يرى أن تيمور أعقل من سليمان ؛ ولذا أولاه ولاية العهد.

ومنذ أن توفى "أحمد شاه" دب الصراع على السلطة بين أبنائه، وقد أدى ضعف الحكومة إلى تمرد القبائل؛ فشق زعماء القبائل – وخاصة أبناء أحمد شاه– عصا الطاعة فى المدن المختلفة، ولم يتمكن تيمور شاه من قمع القبائل والزعماء المتمردين.

وفى سنة ١٧٩٣م مرض تيمور شاه وتوفى فى كابل. ويعتقد البعض أنه مات مسمومًا، كان تيمور كثير الأبناء، وكان كل واحد منهم واليًا على مدينة. ومن بينهم "همايون" الابن الأكبر الذى كان واليًا على قندهار، و"محمود" الابن الثانى الذى كان واليًا على هراة وغيرهما. وكان أرستقراطيو البلاط وكبار الإقطاعيين يؤيدون من الملوك من يتوافق منهم مع مصالحهم وأطماعهم، وبهذا الشكل أصبحت المصالح العامة للبلاد ضحية الأهواء والمصالح الشخصية. وهذا الأمر هو أحد المشكلات السياسية والاجتماعية فى أفغانستان، حيث إن زعماء القبائل يؤيدون الأفراد الذين يراعون مصالحهم الشخصية.

ومن بين أبناء "تيمور شاه" نجح "زمان شاه" فى أن يشكل حكومة استمرت من سنة ١٧٩٣م حتى ١٨٠١م، إلا أن حكومته لم تأخذ طابع الحكومة المركزية فى أفغانستان، وكانت كل مدينة تحت زعامة واحد من الأمراء الذين ادعوا الاستقلال والأحقية بالملك، ولم يخضعوا لزمان شاه.

وفى نهاية القرن الثامن عشر، ومع تولى الأسرة القاجارية زمام الأمور اشتد ساعد الحكومة المركزية فى إيران مرة ثانية، ومنذ هذا الوقت لجأ بعض ولاة أفغانستان إلى الحكومة الإيرانية لتوطيد نفوذهم، ومن المؤكد أن استقلال أفغانستان عن إيران لم يكن قد تأكَّد حينئذ، بل كان الأمر بالنسبة للرأى العام لا يعدو أن يكون حالة تمرد وعصيان مثل بعض مناطق إيران، حيث يفكر بعض الأفراد فى العصيان والتمرد وشق عصا الطاعة على الحكومة المركزية.

تبلور انفصال واستقلال هذا القسم من الأراضى الإيرانية "أفغانستان" تدريجيا منذ أوائل القرن التاسع عشر، وتصادف هذا الانفصال مع تزايد النفوذ والوجود الإنجليزى فى شبه القارة الهندية. وقد بدأ الوجود والعمل على تنمية النفوذ الإنجليزى فى الهند منذ القرن السابع عشر، وفى بداية القرن التاسع عشر كانت الهند بأسرها قد أصبحت تحت السيطرة الإنجليزية. منذ بداية القرن التاسع عشر أصبح الشغل الشاغل بالنسبة للإنجليز هو سَدُّ الطرق ومحاور النفوذ إلى الهند، وكان أهم محور

وصلت عن طريقه الغزوات على مدى القرون الخالية هو الأراضى الأفغانية، وكان الغزاة الأجانب بصفة عامة - من الإيرانيين أو غير الإيرانيين - قد جاءوا إلى الهند عن طريق إيران وأفغانستان. وكانت غاية ما يطمع فيه الجنرالات والساسة الإنجليز هو أن تنفصل أفغانستان عن إيران، وأن تتحول هذه الأراضى عن طريق تشكيل حكومة تابعة للإنجليز إلى قلعة حصينة تصد الهجوم البرى على الهند. وكان مما يعكر صفو الإنجليز أكثر من أى شيء آخر هو الوجود المباشر وغير المباشر "الاجتماعى والمعنوى" لإيران فى أفغانستان، حيث يكتب السيد "جان - سى جريفى" فى هذا الشأن، فيقول: "كان النفوذ الإيرانى فى أفغانستان أمرا مسلما به، كما كانوا المغيرين الذين يزحفون دوما على أفغانستان لإخضاعها لنفوذهم"، ثم يضيف: "لايزال النفوذ الإيرانى حتى الآن يمثل أساسا لحياة الأفغان، وهذا النفوذ من المؤكد أنه مهم إلى حد ما بالنسبة للنفوذ الإسلامى فى هذه الأراضى".

كان أمل الإنجليز أن يتم تشكيل حكومة أفغانية ثابتة ومستقلة عن إيران، وفى الوقت نفسه دائرة فى فلك الإنجليز، حتى تعضد مكانة الإنجليز فى الهند، وفى هذا الصدد يكتب السيد محمود محمود فيقول: "يجب التسليم بهذه الحقيقة، فطبقًا لاعتقاد الإنجليز تمثل كل من إيران وأفغانستان خطراً على الهند، وكان سلوك الإنجليز مع الولاة المحتلين فى الهند وطريقة ضبط أموالهم وأراضيهم قد ألب عليهم الهنود، إلا أنه لم يكن لديهم الاستعداد حتى يستطيعوا أن يثوروا فى وجه الاحتلال، ومن ثم توجهت أنظار كل الهنود إلى إيران وأفغانستان، فربما يسعى الإيرانيون أو الأفغان يومًا ما إلى إنقاذهم؛ ولهذا السبب كان من الضرورة بمكان القضاء على أى قوة أو نفوذ لإيران".

منذ أوائل القرن التاسع عشر، ومع اشتداد ساعد الحكومة المركزية فى إيران عملت الحكومات الإيرانية على ضم أفغانستان مرة ثانية، ولذا توجه محمد شاه فى شهر ربيع الثانى ١٢٥٣ هـ . ش / نوفمبر ١٨٣٧م من طهران قاصداً هراة، وبعدما وصل إلى أطراف هذه المدينة قام بمحاصرتها.

وحول أهمية هذه المدينة هناك وجهات نظر كثيرة، لكن مراعاة للاختصار يمكننا القول إن الصحافة والمحافل السياسية الأوروبية تعتبران هراة "بوابة" أو "مفتاح"

الهند. وحول فضل هذه المدينة وأهميتها جفت أقلام كثيرة، من بينها قلم السيد "السير جان وليم كى" مؤلف كتاب "الحرب فى أفغانستان"؛ حيث يفصل القول بخصوص القضايا المتعلقة بأفغانستان وهراة، فيقول:

"تتمتع هراة - دون مبالغة - بأهمية غير عادية، فهى بمثابة بوابة الهند، وكل الطرق التى تؤدى إلى الهند تتقاطع مع بعضها فى مدينة هراة، ويستطيع المغيرون بأسلحة بسيطة - إذا لم تواجههم معوقات صعبة - أن يجتازوا جبال الهندكوش الوعرة من خلال النقاط الواقعة بين هراة وكابل، ويسيطروا على الموقف والمصادر الطبيعية بالشكل الذى يمكنهم من تحقيق هدفهم بنجاح، وتوجد حول هراة المقومات الطبيعية اللازمة لتجهيز جيش جرار".

ويكتب "السير جون مك نيل" الوزير المفوض للإنجليز فى إيران خلال رسالة يبعث بها إلى الحكومة الإنجليزية الهندية "قضية هراة هى قضية أفغانستان بأسرها. ولو سقطت قبل أن يتم اتخاذ الخطوات الصحيحة لإنقاذها فإن هذه الحادثة سيكون لها تأثير سلبى على هذه المنطقة وستكون ضربة قاصمة بالنسبة لنا ...".

كان حصار هراة(*) من جانب محمد شاه سببًا فى وقوع التوتر السياسى والعسكرى بين إيران وإنجلترا، وكانت الأخيرة ترى أن الحفاظ على مكانتها فى جنوب آسيا مرهون بالحفاظ على أفغانستان فى دائرة سيطرتها السياسية والعسكرية مما

(*) نظر الإنجليز الى هذا التحرك الفارسى ضد هراة على أنه كان بتوجيه من الروس أو على الأقل يرضيهم، لأنه كان فى مصلحتهم على طول الخط، سواء انتصر الشاه الفارسى فى حملته لفتح هراة أو فشل فى مهمته ، وقد تعرض أحد الموثقين الإنجليز إلى هذا الأمر فقال :

"إن الحملة الإيرانية على هراة كانت تخدم المصالح الروسية ، فلو نجحت لكان لروسيا الحق - بموجب معاهدة ترجمان جاى - أن تعين قنصلاً فى هراة فيسهل عليها إتمام تخطيط حدود الأراضى الهندية ، وإذا فشلت الحملة فستكون إيران منهكة، وذلك يجعلها أكثر خضوعًا للروس ، كما ينشأ العداء بين إيران وبريطانيا ، وبذلك تجنى روسيا الثمرة". انظر: عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٨٢ . (المترجم)

حرم حكومة إيران من حقها المعترف به، وهو حق السيادة على هراة وقندهار. ثم أرسلت إنجلترا القوات العسكرية إلى داخل أفغانستان، وسيرت السفن الحربية إلى الخليج الفارسى، وقطعت العلاقات السياسية مع طهران.

امتد حصار هراة مدة عشرة أشهر، وبعد أن فشل محمد شاه فى حصارها انسحب إلى طهران، وبقيت المدينة تحت إشراف قائد المدفعية الإنجليزى المدعو "الدروياتنجير"، وتم التسليم بالوجود الإنجليزى فى أنحاء أفغانستان.

وكما قيل سابقًا، بعد وفاة أحمد خان انفرط عقد الحكومة فى أفغانستان، وتنازع الأمراء الدارانيون فيما بينهم، كل يدعى الأحقية فى الملك، وترتب على ذلك أن تحولت المدن الأفغانية إلى إمارات صغيرة، وهو الأمر الذى مكن الإنجليز من العمل براحة ويسر على زيادة نفوذهم ووجودهم فى أفغانستان، فمن ناحية ليست هناك حكومة مركزية تقف ضد تقدم الجيش الإنجليزى، ومن ناحية أخرى فإن الأمراء المحليين أيضًا لا طاقة لهم بهذه القوة . ونظرًا للخلافات الأسرية فى سبيل الوصول إلى العرش؛ فلا سبيل إلى وحدتهم، وكذلك كانت إنجلترا تدخل فى مباحثات مع ولاة وحكام هذه الولايات بشكل منفصل، وكانت تستميلهم إليها وتُعين بعضهم على بعض عن طريق بذل المال. أما فى كابل فمنذ أوائل القرن التاسع عشر أصبح ولى العهد "شجاع الملك". وفى سنة ١٨٠٨ م خلع محمود شاه "شجاع الملك" واستولى على زمام الأمر فى كابل والمناطق المجاورة لها، إلا أنه هو الآخر كان مآله إلى الضعف بعد فترة. وكان قد سمل عينى وزيره الأعظم، فحمل أخو الوزير الأعظم (أى دوست محمد خان) السلاح واستولى على كابل سنة ١٨٢٦م.

وفى سنة ١٨٣٤ هزم "دوست محمد خان" شجاع الملك" الشاه شجاع" الذى كان قد جاء من الهند بناء على موافقة الإنجليز ودعمهم لإسقاطه. وفى سنة ١٨٣٥م أطلق على نفسه أمير أفغانستان، إلا أن سلطته كانت مقصورة على كابل والشمال الشرقى من أفغانستان، وكانت قندهار تحت إمرة أخيه "كهندل خان" تدار بشكل مستقل، وكانت "هراة" تحت إمرة "كامران ميرزا".

وكان "دوست محمد خان" بصدد الاستيلاء على "هراة"(*) و"بيشاور"(**). وبعد الحرب الإيرانية الإنجليزية فى سنة ١٨٣٨م تم احتلال قندهار وكابل من جانب الجيش الإنجليزى، وقبض على دوست محمد خان، وسيق إلى الهند. وفى الهند أودع السجن سنة ١٨٤٠م. ثم أنشأ شاه شجاع بمساعدة الإنجليز - بغرض حماية الملك العميل لهم شاه شجاع - ثكنات عسكرية فى جيرسك، وكلات قيلزاى، وجلال أباد، وغزنين، وتشاربكار. لكن إذا ما تجاوزنا هذه المناطق لا نجد أى شخص يدين بالولاء لهذا الملك أو بالتبعية للإنجليز.

وكانت أطراف المدن واقعة تحت إمرة المعارضين والمتمردين، وعملت الحكومة الإنجليزية على زيادة قواتها لسحق هؤلاء المعارضين. وفى سنة ١٨٤٠ م استولت عسكريًا على قسم كبير من المناطق المهمة فى أفغانستان. ولم تتوافق هذه الإجراءات مع روح الشعب الأفغانى وعقائده وتقاليده، وكذلك أيضًا تضررت مصالح الأقوام والقبائل ؛ ولذا شق الشعب عصا الطاعة. وفى سنة ١٨٤١ م وقَّع الإنجليز معاهدة مع حكومة كابل بمقتضاها أجرى الإنجليز مناورة فى أفغانستان. وفى سنة ١٨٤١م فاق عدد الجيش الإنجليزى فى أفغانستان خمسين ألف جندى عسكرى فى عواصم كابل وقندهار وجلال أباد وغزنين وكلات وباميات ... إلخ ، وكان غدو هذه القوات ورواحها فى الأراضى الأفغانية يتم عبر أراضى القبائل والعشائر الأفغانية، وشق ذلك على سكان تلك المناطق الأفغانية، ولذا شاع الاضطراب العام فى كل أنحاء البلاد منذ سنة ١٨٤١م، فترك الجيش الذى كان قوامه ستة عشر ألفًا من الجنود الإنجليز- الذين

(*) هراة : من أهم مدن خراسان، كانت حديثا مسرحا للمناورات البريطانية والروسية والفارسية نظرا لموقعها الجغرافى المهم، انظر: القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٦١ . ولسترانج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٤٩ . والشعوب الإسلامية ، ص ٤٣٧ . (المترجم)

(**) بيشاور : كان يطلق عليها شابورا ، و تقع إلى شمال شرق كابل. انظر: أحمد على كهزاد ، تاريخ أفغانستان ، جلد دوم، ص ٢٤٥ . (المترجم)

كانوا قد عسكروا فى تلك المدينة – كابل للانضمام إلى باقى القوات الإنجليزية فى جلال أباد، وفى الطريق بين كابل وجلال أباد أغار عليهم المتمردون الأفغان. وفى يناير ١٨٤٢م هلكت هذه القوات عن آخرها بالقرب من جلال أباد ، ولم يبق منها على قيد الحياة آنذاك سوى ضابط طبيب كان مثخنًا بالجراح يدعى الدكتور "بريدون"، حمل نفسه حتى وصل إلى جلال أباد وقص القصة على الآخرين.

وكانت لهذه الهزيمة آثار مهمة، من بينها سقوط حكومة "اللورد ملبورن". كما حدثت بعض التداعيات فى الحكومة وقيادة الجيش بعد هذه الحرب الكبرى، وأضحى الأفغان فريسة الصراعات الداخلية والقومية للحصول على الامتيازات الناجمة عن هذا الانتصار، ولم يغفلوا عن الفكر السياسى لإنجلترا القائم على رد تلك الهزيمة، وبالفعل وجه الإنجليز قوة عسكرية مجهزة بأحدث العتاد العسكرى إلى أفغانستان. ودارت حرب ضروس قتل خلالها "الشاه شجاع"، وانتصرت القوة العسكرية الإنجليزية بعد جهد، جهيد وقضت على الحركة الشعبية.

وقد أحضر الإنجليز "دوست محمد خان" لخلافة شاه شجاع، وكان "شاه شجاع" قد خلعه واغتصب الملك منه بمساعدتهم منذ ثلاث سنوات، حيث كان سجينًا لديهم ، وتوجوه ملكًا على إمارات كابل.

وفى سنة ١٢٦٧هـ . ش/١٨٥١م توفى يار محمد خان حاكم ولاية هراة. وكان يار محمد خان مواليًا لإيران، ولم يكن فقط لا يسمح بتدخل الإنجليز فى هراة ، بل كان يثور ضدهم فى نجارا وخيوه أيضًا ، وحال دون تقارب سكان تلك المناطق مع الإنجليز. وأثرت أعماله هذه فى كل أنحاء أفغانستان، فكان سببًا فى أن يثور الشعب ضد الإنجليز. وبعد وفاته أصبح ابنه سعيد محمد واليًا على هراة فطلب المساعدة من إيران، وبعد فترة وجيزة ترك مكانه لمحمد يوسف ميرزا الذى كان مواليًا أيضًا لإيران وكان على عداء لأمير كابل العميل.

أما عن الوضع فى إيران فبعد وفاة محمد شاه سنة ١٢٦٤هـ . ش/١٨٤٨م تولى ابنه ناصر الدين شاه الحكم، وعمل ناصر الدين شاه على تلبية مطالب محمد يوسف

ميرزا وأظهر حسن النية، وجهز جيشًا للتوجه إلى هراة. وبناء على أمر ناصر الدين شاه استعد حسام السلطنة "سلطان مراد ميرزا ابن عباس ميرزا" للاستيلاء على هراة، وفى رجب سنة ١٢٧٢ هـ . ش/ ١٨٥٦م وضعت حرب الكريمة والعزم أوزارها بعد أن استولى على غوريان وباذغستان، وكان قاب قوسين أو أدنى من هراة.

وفى ربيع الأول سنة ١٢٧٢هـ . ش/ ١٨٥٦م أرسل الإنجليز عدة سفن حربية وشراعية إلى ميناء بوشهر، وأنزلوا عددًا قليلاً من قواتهم البحرية فى هذه المدينة.

وفى المقابل زاد حسام السلطنة من اقترابه من هراة؛ فكثف الإنجليز من تهديداتهم أيضا، وكانوا يسعون عن طريق عملائهم – وخاصة "ميرزا أغاخان نورى"– إلى تغيير وجهة نظر الشاه. وبعد فترة فتح" محمد يوسف ميرزا "بوابات هراة أمام الجنود الإيرانيين، ودخل الإيرانيون هراة، لكن نتيجة للمؤامرات والدسائس والرشاوى التى قدمها الإنجليز، قامت ثورة ضد القوات الإيرانية واضطر محمد يوسف ميرزا تحت ضغط المتآمرين أن يطلب المساعدة من الإنجليز، وبالفعل تدخل الإنجليز. ومن ناحية أخرى فقد وقع الإنجليز فى السادس والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٥٧م فى بيشاور معاهدة مع دوست محمد خان، أصبحت أفغانستان بمقتضاها تحت الوصاية الإنجليزية.

وفى أوائل سنة ١٢٧٣ هـ. ش/ ١٨٥٧ م استولت إيران على هراة ، وقد تنبهت إنجلترا للإجراءات التى اتخذتها إيران للاستيلاء على "قندهار"(*) ومناطق أخرى من "أفغانستان"؛ فأعلنت الحرب على "إيران"، وساقت قواتها العسكرية إلى خليج فارس والأراضى الواقعة فى جنوب إيران، وأنزلت القوات فى مدن بوشهر وأبادان و"خرم

(*) قندهار: تقع فى الجنوب الغربى لأفغانستان ، ويجرى بها نهر أرغنداب . بأطرافها بساتين يانعة وفواكه . مشهورة بالرمان والعنب والتين ، وتعد من المراكز المهمة فى أفغانستان لتصدير الصوف والفواكه . انظر: العلاقات الروسية الأفغانية، ص ٦٨ . (المترجم)

شهر" والأهواز وخارك وغيرها. وأخضعت هذه المناطق لسيطرتها، والتهبت المقاومة بين القوات المحلية الإيرانية (وخاصة الشنجستانين والدشنستانين) وبين القوات الإنجليزية، وأنزلت خسائر فادحة بالجيش الإنجليزى. وفى هذه الأثناء خشى"ميرزا أغاخان نورى" أن يعزله الإنجليز، فأمر فرخ خان أمين الملك أن يدخل فى مباحثات مع الإنجليز بأى شكل. من ناحية أخرى أرسل "حسام السلطنة" الحمام الزاجل إلى طهران محملاً بالرسائل، وكتب للملك والحكومة ألا تقلقوا من وصول السفن الإنجليزية إلى بوشهر ؛ لأنها لا تستطيع مطلقًا أن تذهب إلى أبعد من براز خان ... وفى السابع من شهر صفر سنة ١٢٧٣هـ.ش أرسل "حسام السلطنة" إلى الملك يخبره بفتح هراة، وكتب إليه: إن الجنود الهنود(*) قد قاموا بثورة، ولو أعطيتنى الإذن فسأتوجه بجيشى هذا إلى الهند(**) . إلا أن التهديدات الإنجليزية كانت قد أثمرت، وكان فرح خان أمين الدولة قد دخل فى مباحثات فى هذا الصدد مع سفير إنجلترا فى باريس عن طريق وساطة إمبراطور فرنسا "نابليون الثالث". وانتهى اليوم السابع من شهر رجب سنة ١٢٧٣هـ.ش/مارس ١٨٥٧م بعقد معاهدة باريس بينه وبين السفير الإنجليزى، وتقرر أن تخلى إنجلترا الموانى والجزر الإيرانية، وأن تسحب إيران أيضًا جيشها من هراة وأفغانستان، وتعترف باستقلالها رسميا، وأن تكف إيران عن كافة أشكال الادعاء بضم أفغانستان إليها، وأن ترتضى إيران تحكيم إنجلترا فى حل الخلافات التى قد تنشأ بينها وبين أفغانستان، وبذلك أصبحت أفغانستان طبقًا لمعاهدة باريس حرة تمامًا من كافة أشكال التبعية لإيران، وأجبرت الحكومة الإيرانية على الاعتذار للسفير الإنجليزى(***).

وقد عقدت معاهدة باريس بعد موقعة الكريمة بسنة، وكانت مناسبة جدا من حيث التوقيت بالنسبة للإنجليز، إلا أن الجنود وسكان الهند قد بدأوا تمرداً عاما فى تلك

(*) تاريخ العلاقات السياسية الإيرانية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر ، الجزء الثانى صـ ٦٩٣ . (المترجم)

(**) حقوق بكيران إنجليز در إيران ، ص ٩ ، ٢٥٨ . (المترجم)

(***) عباس إقبال إشتيانى ، تاريخ المفصل ، صـ ٩ ـ ٨٣١ . (المترجم)

السنة نفسها - أى فى سنة ١٨٥٧م - متأثرين فى ذلك بحرب إيران وإنجلترا، وكانت الأخيرة مضطرة إلى سحب قواتها من جنوب إيران والخليج الفارسى حتى تستطيع قمع التمرد الهندى.

وفى فبراير سنة ١٨٥٧م استولى المتمردون على مدينة "دهلى"، وكان هذا الأمر ثقيلاً على الحكومة الإنجليزية، واتسع تمرد الشعب الهندى ووصل إلى أوجه، لدرجة أنه كان يطاح كل يوم بآلاف الرقاب من الإنجليز رجالاً كانوا أو نساء أو أطفالاً ... وأرسل حسام السلطنة الرسل فأبلغوه بوقوع ثورة عظمى فى الهند، وأنه يجب أن يكون يقظا؛ فكل ما يطلبه من الإنجليز سيقدمونه له، فلا يضيع الفرصة المواتية. وبعد ذلك دخلت القوات الإنجليزية الهند وقمعت الشعب، واستعمرت تلك البلاد بالكامل، وتم تتويج الملك الإنجليزى ملكًا على الهند أيضًا.

بعد معاهدة باريس:

كان انعقاد معاهدة باريس وانفصال أفغانستان بصورة كلية عن إيران سببًا فى زيادة السلطة والنفوذ الإنجليزى فى أفغانستان. وأصبح "دوست محمد خان" لا يجد بدًا من موالاة الإنجليز(*)، وبات أميرًا عامًا على أفغانستان. وكان مبلغ آمال "دوست محمد خان" أن يصبح مستقلاً عن القوى العظمى فى عصره ، لأنه أدرك أن اتباع إحدى القوتين العظميين "إنجلترا وروسيا" سيكون سببًا فى غضب الأخرى. ونبتت جذور "الحياد" فى السياسة الخارجية الأفغانية منذ تلك الفترة ، وسعت الحكومات التالية لأفغانستان إلى تَبَنِّى سياسة "الحيادية" تجاه إنجلترا وروسيا، ثم الاتحاد السوفيتى وأمريكا فيما بعد.

(*) حاول دوست محمد خان أن يثبت نفسه فى الحكم عن طريق التحالف مع الإنجليز، فعمل على تقوية هراة لكسب ودهم ، ولكن الروس قد أدركوا أن فى هذا الاتجاه خطرا على أهدافهم فى المنطقة فسعوا لكسبه . انظر: الشعوب الإسلامية ، ص ٤٢٧ . (المترجم)

وقد توفي"دوست محمد خان" سنة ١٨٦٣م، وخلفه ابنه "أمير شير علي خان"، وخلال فترة حكمه كانت إدارة أفغانستان تتسم أكثر ما تتسم بطابع ملوك الطوائف(*). وفي العهود التالية كانت أفغانستان تدار بصورة محلية، ولهذا السبب لم تسيطر الحكومات الأفغانية منذ القدم وحتى اليوم على وحدة أراضيها، وكانت تقتصر سيطرتها على كابل والمدن الكبرى، وكانت القبائل والعشائر قلما تعلن عن ولائها وانصياعها للحكومة المركزية.

وقد واجه حكم "أمير شير علي خان" مشاكل جمة، فقد وقف وجهًا لوجه إزاء معارضة إخوته خمسة العشر، كما أنه لم يكن يملك حسن تصرف "دوست محمد خان"، إضافة إلى كل ذلك اشتعال الحرب والمقاومة بين القبائل والعشائر الأفغانية، والحكومة الإنجليزية.

وأدرك "أمير شير علي خان" أن الحكومة الروسية في حالة نمو وازدهار، ومن الضروري أن يسير في ركابها إلى حد ما، أو على الأقل يراعي حالة الحياد، وفي سنة ١٨٧٧م اتسمت العلاقات الإنجليزية الأفغانية بحالة من الفتور. وفي سنة ١٨٧٨م تهيأت أسباب الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية، وتصاعدت شدة التمرد ضد الوجود السياسي العسكري الإنجليزي في أفغانستان. وبالفعل بدأت الاشتباكات وقتل عدد من الإنجليز، ووجهت الحكومة الإنجليزية قوة من الهند إلى أفغانستان حتى تقمع التمرد. وإزاء الإجراء الإنجليزي طلب "أمير شير علي خان" المدد من روسيا؛ حتى يتمكن من

(*) هذه الطبقة من ملوك الفرس تعرف بالإشكانيين من ولد " إشكان بن دارا الأكبر " . وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عند افتراق أمر الفرس؛ وذلك أن الإسكندر لما قتل دارا استشار معلمه "أرسطو" في أمر الفرس فأشار عليه أن يفرق رياستهم في أهل البيوت منهم، فتتفرق كلمتهم ويخلص له أمرهم . انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، بيروت لبنان ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ، المجلد الثاني ص ١٦٨ . (المترجم)

الوقوف فى وجه القوة الإنجليزية، إلا أن قائد الجيش الروسى فى آسيا الوسطى أعلن أن هناك مشكلة بسبب الشتاء وطبيعة البلاد تحول دون إرسال الجنود.

وبسبب تدهور الأحوال فى أفغانستان اختار "ديسرائيلى" رئيس الوزراء "اللورد ليتون" نائبًا للملك على الهند ، ووقعت فى عهده الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية. قرر "ليتون" أن يحتاط وأن يهيئ الظروف حتى لا تتكرر أحداث عهد "اللورد أوكلند". وما حدده "ليتون" مثل كثير من الساسة الإنجليز هو أن هناك اختلافًا كبيرًا بين هزيمة أفغانستان عسكريا والسيطرة عليها ؛ فهزيمة أفغانستان عسكريا واحتلالها أمر ممكن، لكن ترويضها والسيطرة عليها ليس بالأمر الممكن أو على الأقل ليس بالأمر السهل الهين. وقد شوهد فى الفترة الأخيرة أن الاتحاد السوفيتى مع كل ماله من قوة عسكرية قد باء بفشل عظيم، وترك أفغانستان بمحض إرادته.

وفى السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٧٩م تم توقيع اتفاقية سلام باسم "معاهدة كندمك" بين الإنجليز والحكومة الأفغانية، وطبقًا لهذه المعاهدة حسنت بريطانيا وضعها العسكرى فى أفغانستان، وأحكمت سيطرتها على الشعاب الجبلية فى "خيبر" (*)، و"ميشينى" وأقسام من" سيبى" و"بيشين" و"كرم"، وأنشأت مفوضيات رسمية لها فى أفغانستان، وعينت بعض الضباط على المناطق الحساسة من الحدود الأفغانية ليراقبوا التحركات الروسية. وحصلت بريطانيا على بعض الصفقات التجارية، وامتياز إنشاء خط "التلغراف"، وامتياز إدارة السياسة الخارجية لأفغانستان، وبهذا الشكل سيطر الإنجليز على كافة الشئون الداخلية فى أفغانستان(**). وطبقًا لمعاهدة "كندمك" فإن

(*) أشهر ممر يخترق جبال سليمان على الحدود الشرقية لكابل، ويصل بين الهند وكابل مارا بمنطقة بيشاور، ويبلغ طول الممر ثلاثة وخمسين كيلو مترًا، ويقع فى واد جبلى جدب ، وترى من فوقه هضاب السند ، وكانت تمر به القوافل التجارية والقبائل. انظر: د . صلاح عبد الحميد ريحان ، الفتح الإسلامى لمدينة كابل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ ، ص ٣٠ . (المترجم)

(**) بيو كارلوترنزيد ، الصراع الروسى الإنجليزى فى إيران وأفغانستان، ترجمة عباس أرزين، ص٩٧ . (المترجم)

قسما من الأراضى الأفغانية سوف ينضم إلى الهند. وتم تقسيم الحكومة الأفغانية إلى ثلاث إمارات: "كابل" و"قندهار" و"هراة"، وتخضع كل إمارة من هذه الإمارات الثلاث لإشراف الحكومة الإنجليزية الهندية، وبهذا الشكل ظن الإنجليز أن الأمر قد انتهى وأصبحت الأوضاع على ما يرام، وأن كل شىء تحت السيطرة، إلا أن الشعب والفصائل الأفغانية لم ترض عن الأوضاع الجديدة، ولهذا فقد شقوا عصا الطاعة وهاجموا مبنى المبعوثين الإنجليز وساووه بالتراب. وفى اليوم الثالث من شهر سبتمبر ١٨٧٩م قتل "سرلولى كاوا خبارى" وكافة أعضاء البعثة الإنجليزية. وقد كان الحفاظ على أرواح هؤلاء الأفراد وأمنهم طبقًا لمعاهدة "كندمك" هو مسئولية الأمير الأفغانى "أمير شير على خان"، وقد كانت الحكومة الإنجليزية منزعجة بسبب الأوضاع الأفغانية، وكانت ترسل مبعوثيها للبحث عن شخص مناسب يتمكن من إدارة البلاد والتخفيف من حدة الأزمة، ويقيم علاقات طيبة مع الإنجليز، لكن قلما يوجد شخص بهذه المواصفات. فقد كان "أمير شير على خان" ميالاً إلى الروس مما زاد من انزعاج الإنجليز من احتمالية النفوذ الروسى فى أفغانستان.

وقد أدت الحرب الأفغانية الإنجليزية والأحداث السابقة إلى سقوط حكومة "أمير شير على خان" سنة ١٨٨٠م، وتولى "عبد الرحمن خان" زمام الأمر فى تلك السنة.

عبر "عبد الرحمن خان" نهر جيحون ودخل أفغانستان بعد مضى اثنتى عشرة سنة من النفى إلى روسيا، ومنحه المجلس القبلى فى أفغانستان لقب أمير فى يوليو ١٨٨٠م، وكانت إنجلترا منزعجة من ضعف الحكومة المركزية وتردى الأوضاع الأفغانية. بل إن تردى الأوضاع هذا قد خلق مشكلة بالنسبة للحكومات الإنجليزية ؛ إذ كان عليها حماية الأمير "عبد الرحمن خان" ودعمه. وكانت تعتقد أن القوات التى كانت تحت إمرة "عبد الرحمن خان" هى دعم ومدد من جانب الروس. وكان أساس الاستنتاج الإنجليزى قائمًا على أن "عبد الرحمن خان" يعد واحداً من الاشتراكيين، وليس ممكنًا أن يتحول إلى عميل روسى أو إنجليزى، وكان استنتاج الإنجليز صحيحاً إلى حد ما ؛ لأنه فى مارس سنة ١٨٨٥م اشتبك الجيش الأفغانى مع الجيش الروسى للسيطرة على واحة تقع على نحو مائة ميل جنوب مرو.

كان "عبد الرحمن خان" واحداً من ملوك أفغانستان العظام، وقد نجح فى إدارة البلاد بأساليب استبدادية إلى حد ما. وقد تم ترسيم الحدود الفعلية لأفغانستان فى عهده. ففى سنة ١٨٧٣م تم توقيع معاهدة بين إنجلترا وروسيا تبلورت على ضوئها الحدود الأفغانية الروسية فى سنوات ١٨٨٥ - ١٨٩٥م. وطبقًا لاتفاقية ١٨٧٣م تم الاعتراف بنهر "جيحون" خطا حدوديا بين إنجلترا وروسيا، وطبقًا لذلك تم الفصل بين الأجناس الطاجيكية والأوزبكية والتركمانية التى تعيش فى منطقة نهر جيحون.

وكانت أشهر اتفاقية حدودية لأفغانستان فى عهد "عبد الرحمن خان" اتفاقية "دوراندا " التى تم توقيعها فى سنة ١٨٩٣م بين أفغانستان والحكومة الإنجليزية الهندية، وتبلورت على ضوئها الحدود الأفغانية الهندية ثم الحدود الأفغانية الباكستانية، وقد تم رسم خط "دوراندا" بواسطة المهندسين العسكريين الإنجليز تحت إشراف "السيرمور تيمور دوراندا" مسئول الأمن الخارجى بالحكومة الإنجليزية الهندية، وقد تم توقيع هذه الاتفاقية المفروضة مع الأمير "عبد الرحمن خان"، وقد قسم هذا الخط الحدودى قبائل البشتون والبلوش والبراهوبية على الرغم من وجود صلات قرابة نسبية وعرقية وقومية، والأمر الوحيد الذى يمكن أن يشار إليه بخصوص هذا الخط الحدودى الصناعى هو أنه جعل أحمد خان "الإبدالى" يتمكن من توحيد القبائل والعشائر الأفغانية تحت حكمه ، وكانت قبائل البشتون التى تعيش بالقرب من خط "دوراندا" الحدودى - فى باكستان اليوم - تحت سيادة الحكومة المغولية الهندية، وكانت القبائل الأخرى التى تعيش بالقرب من خط دوراندا - أفغانستان الحالية - تحت السيادة والنفوذ الإيرانى. وقد تسبب هذا الخط الحدودى فى نشوب خلافات حدودية بين أفغانستان وباكستان.

وطوال فترة الوجود الإنجليزى فى الهند لم يكن لأفغانستان أى اعتراض على خط "دوراندا"، لكن بعد جلاء الإنجليز عن الهند سنة ١٩٤٧م ادعت أفغانستان أن "بيشاور" وسائر المناطق التى يقطنها البشتون هى من حق أفغانستان، وتعتبر بيشاور عاصمة القبائل البشتونية الباكستانية، وترى الحكومة الأفغانية أن بيشاور ضرورية

لتحصين المكانة الاستراتيجية لأفغانستان. وقد رأى "ألكسندر بارنز" أن تحصين أفغانستان يتطلب استرداد بيشاور.

حبيب الله خان(*) Habib Alloh Khan :

بعد موت "عبد الرحمن خان" سنة ١٩٠١م خلفه ابنه "حبيب الله خان"، ويعتبر من الأمراء الأفغانيين المجددين والمثقفين ثقافة غربية، وفى عهده نشبت خلافات بين أفغانستان وإنجلترا بخصوص تنفيذ معاهدة "جندمك". وكان استدلال الإنجليز هو أن العرف الشرقى وكذلك الحكومات الملكية تنفذ المعاهدات التى يتم إبرامها مع الملوك، وفى حالة وفاتهم تلغى هذه المعاهدات، وبما أن معاهدة "جندمك" قد تم إبرامها فى عهد "أمير شير على خان" فى سنة ١٨٧٩م فقد أصبحت غير سارية المفعول، ولذا فمن الضرورى أن توقع معاهدة جديدة، وكان هدف إنجلترا أن يتم توقيع معاهدة جديدة تتفق مع الظروف المستجدة فى القرن العشرين، وتتماشى مع مصالح إنجلترا وسياستها آنذاك.

ومن أهم الأحداث التى وقعت فى عهد "حبيب الله خان" نشوب الحرب الثالثة بين أفغانستان وإنجلترا منذ سنة ١٩١٨م، وعمت الثورة والاضطرابات أنحاء أفغانستان، ووقعت اشتباكات بين القبائل والقوات المحلية وأذناب الإنجليز وقواتهم، ويعتقد البعض أن هذه الثورة كانت متأثرة بثورة أكتوبر ١٩١٧م فى روسيا، وعلى الرغم من أن ثورة أكتوبر الروسية لم يكن لها أى تأثير على أحداث أفغانستان؛ فقد نشبت حربان قبل ذلك بين إنجلترا وأفغانستان.

(*) حبيب الله خان : كان أكثر الناس احتياطا فى علاقاته مع الروس ، واستفاد من الخبراء والمهرة الأتراك فى المشروعات العسكرية والصحية والاجتماعية والطباعة . وحتى آخر دقيقة لم يسمح لأى روسى أن يدخل أفغانستان تحت اسم هذه الوظائف ، ولكن إقرار العلاقات التجارية مع الروس قد حطم هذا السد وهيأ أفضل طريق وأحسن فرصة كان الروس فى انتظارها منذ سنوات. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية ، ص ١١٥ . (المترجم)

أثناء الاشتباكات الإنجليزية قتل "حبيب الله خان" في العشرين من شهر فبراير سنة ١٩١٩م على يد قاتل مجهول، وبعد قتله بأسبوع تولى ابنه "أمان الله خان". واستمرت الاشتباكات حتى نجحت إنجلترا إلى حد ما في قمع الثورة بعد أن استخدمت الأسلحة المتقدمة، علاوة على هذا قبلت أن تمنح أفغانستان استقلالها، وأن تسحب قواتها من أراضيها، وبهذا الشكل حصلت أفغانستان على استقلالها سنة ١٩١٩م واستقر فيها الهدوء النسبي.

وفي سنة ١٩٢٣م غير "أمان الله خان" لقبه من أمير إلى ملك، وكان بصدد تحديث بلاده، وكان يعتقد أن تحديث البلاد يتطلب اقتفاء أثر الغرب وثقافته. وقد كان متأثراً غاية التأثر "برضا شاه" في إيران، و"كمال أتاتورك" في تركيا. وفي سنة ١٩٢٤م سافر إلى الغرب، وبعد عودته أعد أول برنامج إصلاحي، وكان من بين بنود برنامجه الإصلاحي تفعيل دورالسيدات الذي يهدف إلى إنهاء السلطة المطلقة للرجال على النساء، وخلق المساواة بين الرجل والمرأة.

وفي سنتي ١٩٢٧، و١٩٢٨م ذهب مرة أخرى إلى أوروبا، وزار لندن وروما وأنقرة وموسكو، ثم عاد إلى بلاده بسيارة رولز رويس، وأبدى تشجيعاً كبيراً لعملية الإصلاح، وأعلن عن برامج كثيرة منها: كشف الحجاب بالنسبة للسيدات، وإنشاء مدارس مشتركة للأولاد والبنات، والارتداء الجبري للزي الغربي من الحذاء حتى القبعة، والتأكيد على مبدأ فصل الدين عن السياسة والتعليم، ومنع تعدد الزوجات، وتغيير يوم العطلة الرسمية ليصبح يوم الأحد بدلا من يوم الجمعة، ومجموعة أخرى من التغيرات.

واجهت إجراءات "أمان الله خان" معارضة شديدة من جانب علماء الدين والشعب، وقد ألقى القبض على عدد من علماء الدين لأنهم قالوا عنه: "عندما يأتي يذهب الدين". ولكن لم تكن هناك فائدة من هذا الإجراء؛ فقد ساند الشعب ثورة علماء الدين، وأصبحت حكومة أمان الله خان في موقف صعب، وفي النهاية سقطت سنة ١٩٢٩م.

وعلى الرغم من مساعي أمان الله خان لإحداث تغيير وتطوير على نمط النظام الغربي فإنه لم ينجح، ولم يعتر الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأفغانية أي تغيير.

وصف بعض المحللين "أمان الله خان" بأنه اشتراكى، إلا أن هذا التحليل لم يكن صحيحاً بدرجة كبيرة، ومن المؤكد أنه قد ظهرت الروح المعادية لكل ما هو إنجليزى بسبب الحروب الإنجليزية الأفغانية فى سنتى ١٩١٨و ١٩١٩م، وأن ميل أمان الله خان إلى الاتحاد السوفيتى لم يكن بسبب أعتناقه المبادئ الاشتراكية أو تأييده الاتحاد السوفيتى، بل كان بسبب ضغط الإنجليز من ناحية، وعدم دعمهم ومساعدتهم لأفغانستان من ناحية أخرى.

كانت أفغانستان أول دولة اعترفت رسميا بالحكومة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وعقدت معها علاقات صداقة، وكتب أمان الله خان فى بداية حكمه عدة رسائل وجهها إلى لينين، وأبدى خلالها ميله لعقد معاهدة مودة وصداقة مع الاتحاد السوفيتى، وطلب من لينين العمل على خلق هذه الصلات، لكن لينين كتب فى رده أن أفضل ضمان لعقد صلات المودة والصداقة هو أن تتخذ أفغانستان من الاتحاد السوفيتى قدوة ونموذجًا يحتذى، وأن يسعى لتحويل بلاده إلى بلاد اشتراكية.

كان هدف أمان الله خان هو التخلص من السلطة والنفوذ الإنجليزى، ولذلك وضعه لينين أمام الطريق الصعب، وكان قبول ذلك الطريق بالنسبة للحكومة الأفغانية أمراً محالاً.

من المؤكد أن رد لينين على إقامة علاقات طيبة كان رداً إيجابيًا، ولكن كانت متطلباته صعبة، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتى قد قام ببعض الأعمال، منها إرسال الأسلحة إلى أفغانستان، وتقديم الدعم فى مقابل محدودية المساعدات الإنجليزية. وقد بدأ ازدهار العلاقات الأفغانية السوفيتية منذ ذلك الوقت، وازدهرت هذه العلاقات أكثر بمرور الأيام، وتبنى الاتحاد السوفيتى سياسات التضييق على إنجلترا ثم أمريكا وسائر الدول الغربية.

حكومة ابن السقا "بچه سقا" : Bach Saka

فى بداية ١٩٢٩م ونتيجة للضغط العام كان لا مفر من عزل أمان الله خان، الذى هرب إلى الهند، ومن هناك ذهب إلى إيطاليا، وتوفى فى زيورخ سنة ١٩٦٠م، وقد خلفه

أخوه "عناية الله" الذى لم يحكم سوى ثلاثة أيام. وفى هذه الأثناء استولى شخص من الطاجيك يدعى "حبيب الله" المشهور بابن السقا على كابل – وكان ذلك فى أواسط يناير سنة ١٩٢٩م – وأنهى حكم عناية الله، ثم أطلق على نفسه حبيب الله الثانى. ونهج الروس حيال ابن السقا سياسة الحياد إلا أن بعض الشيوعيين كانوا يدافعون عنه.

استمر حكم ابن السقا مدة تسعة أشهر. وفى أكتوبر ١٩٢٩م شنق بتواطؤ سبعة عشر رجلا من أعوانه بعد هجوم "محمد نادر خان". وكان "حبيب الله خان" الذى أدرك مكانة الإسلام فى المجتمع الأفغانى قد طالب بتكوين حكومة دستورها الشريعة الإسلامية ، وذلك حتى يوطد نفوذه فى أفغانستان، وبذلك يكسب تأييد علماء الدين.

وقد ثار الروس على محمد نادر شاه حتى يستفيدوا من الأوضاع فى أفغانستان ويستغلوا المكانة التى كانت مخولة لأمان الله خان، ولذلك وضعت موسكو – بحجة تأييد أمان الله خان – جيشًا قوامه من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ جندى قرغيزى تحت تصرف غلام نبى سفير أفغانستان فى موسكو، وذلك حتى يعيد أمان الله خان إلى العرش مرة ثانية، لكن فى هذه الأثناء تحرك من أوروبا محمد خان السفير السابق لأفغانستان فى باريس، ووصل إلى الهند، ومن هناك وصل إلى أفغانستان بدعم من الحكومة الإنجليزية والهندية، وفى أكتوبر سنة ١٩٢٩م استولى على كابل.

وفى السادس عشر من السنة نفسها تم تتويجه ملكًا. وأثناء الاستيلاء على كابل وإخضاع المناطق الثائرة هزم محمد نادر خان "غلام نبى"، وتم القبض عليه وإعدامه سنة ١٩٣٢م.

وعمل "محمد نادر خان" على تهدئة الأزمة العارمة، فعمد إلى إيقاف الإصلاحات الغربية التى كان أمان الله خان قد تبناها من قبل، بغرض دفع الأوضاع لمزيد من الاستقرار، وأصبح مؤيدا للشريعة، وإن كان قد حاول تنفيذ إصلاحات أمان الله خان بشكل تدريجى، وبأقصى درجات الحيطة والحذر. وفى سنة ١٩٣٠م عمل على تحقيق تنمية اقتصادية، وخاصة فى مجال المواصلات ونظم الرى والتنقيب عن الثروة المعدنية.

اعتمد محمد خان فى بداية أمره على الثوار والمتمردين، وكان قد أوكل الوظائف المهمة إلى إخوته، لكن نظراً لأنه كان يتمتع بشخصية قوية وكفاءة فقد نجح فى توحيد القبائل الأفغانية، وقد اشتهر بأنه شخصية محافظة.

ومع اعتلاء "محمد نادر خان" العرش زاد النفوذ الإنجليزى فى أفغانستان وتراجع نفوذ الاتحاد السوفيتى الذى كان فى حالة من النمو والازدهار فى عهد أمان الله خان، ومع هذا سعى نادر شاه لعمل توازن بين إنجلترا وروسيا؛ فقام بتقسيم الامتيازات بين روسيا وإنجلترا، وكلما منح إنجلترا امتيازاً حاول قدر المستطاع منح روسيا امتيازا مثله. وفى المقابل كانت روسيا أول دولة تعترف بنظام محمد نادر شاه. ومع أن نادر شاه حصل على ١٠٠٠٠ قطعة سلاح، و١٨٠٠٠٠ جنيه إسترلينى مساعدة مالية من إنجلترا، بل إنه عمل على تقليل الوجود السوفيتى فى القوات الجوية الأفغانية، فإن روسيا لم تكنً له أى عداء أو منافسة .

وفى عصر محمد نادر شاه ازداد النفوذ الألمانى فى أفغانستان، فقد تزايد نشاط الخبراء الألمان فى هذا البلد، مثلما كان الحال فى إيران والعراق وسائر دول الشرق الأوسط، وقد أنشئ خط اتصال بين برلين وكابل عن طريق تيرانا وأثينا ورودس ودمشق وبغداد وطهران. وكان محمد نادر شاه ميالاً لأن يستبدل بموسكو أو بلندن برلين، ويخصها بمزيد من التعاون.

محمد ظاهر شاه M.Zaher Shah :

قتل محمد نادر شاه فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣م على يد طالب يقال إنه كان ابنا غير شرعى لغلام نبى، ويقال أيضًا إن سبب القتل سبب شخصى. وبعد وفاة "محمد نادر شاه" خلفه ابنه الوحيد وهو فى سن التاسعة عشرة ويدعى "محمد ظاهر شاه"، وفى بداية عهد "محمد ظاهر شاه" كانت السلطة الحقيقية فى يد أعمامه الثلاثة، وهم محمود خان وولى خان وهاشم خان، وكان هاشم خان رئيسًا للوزراء،

وفى سنة ١٩٤٦م كان لابد من تنحيته بسبب كهولته، كما أنه كان يحاول التدخل فى شئون البلاد، ثم تأججت المنافسة الشديدة بين ولى خان وابنه عبد الولى وبين الجنرال محمد داود خان، وفى سنة ١٩٥٣م قام ظاهر شاه بما يشبه الانقلاب بمساعدة داود خان، واستطاع ظاهر شاه بهذا الأمر أن يزيح بنى أعمامه عن الحكم والسلطة ، وعين داود خان الذى كان ابن عمه وزوج أخته رئيساً للوزراء .

حاول ظاهر شاه أن يواصل الأعمال الإصلاحية لأمان الله خان ومحمد نادر شاه بشكل تدريجى، وفى البداية عمل على كسب حب الشعب والرأى العام، فأعلن تمكسه بالإسلام واتباع الشريعة الإسلامية. لكنه فيما بعد غير منهجه، ومن التغييرات التى قام بها رفع الحجاب.

كان ظاهر شاه شخصاً حسن النية، إلا أنه كان ضعيف النفس. بعد تنحية داود خان سنة ١٩٦٣م حاول القيام بمجموعة من الإصلاحات ابتدأها بسن دستور جديد فى أول أكتوبر ١٩٦٤م، ثم حاول أن يخرج أفغانستان من النظام الديكتاتورى إلى نظام أحدث، وهو الحياة النيابية الملكية ؛ ولهذا قلص عدد أفراد الأسرة الحاكمة فى الحكومة على الساحة السياسية، وشكل المجلس الذى كان بعض أعضائه معيناً وبعضهم الآخر منتخبا، إلا أن أغلب إصلاحات ظاهر شاه كانت عبارة عن شعارات رنانة، ولم تفلح فى التأثير فى الشعب الأفغانى المضطرب. وإليكم بعض المعوقات التى حالت دون تحقيق الإصلاحات :

١- لم يسمح ظاهر شاه للأحزاب أن تعمل فى النسيج السياسى والنظام التعليمى الخاص بأفغانستان على المدى البعيد، ولهذا لم تتمتع الأحزاب بالحرية.

٢- عدم توزيع السلطة بشكل متوازن؛ فكان المسئول الوحيد أمامه هو رئيس الوزراء، وكان البرلمان ضعيفاً.

٣- وعلى الرغم من المشكلة السابقة فإن ظاهر شاه نفسه قلما كان يتدخل فى الأمور، ومن المحتمل أنه كان يتصور أن النظام يسير بشكل تلقائى، وأن كل شىء تم إعداده بالشكل المطلوب.

٤- كان النفوذ العائلى فى المناصب والوظائف من المشاكل الأخرى. يضاف إلى كل ذلك المشاكل التى كان يعانى منها العالم الثالث بصفة عامة.

٥- بعد داود خان كان التغير السريع لرؤساء الوزارات من المشاكل التى ظهرت على الساحة، فمنذ سنة ١٩٥٣م وحتى سنة ١٩٦٣م تولى رئاسة الوزراء شخص واحد، بينما تولى رئاسة الوزراء فى الفترة من ١٩٦٣م وحتى ١٩٧٧م خمسة وزراء، هم الدكتور يوسف، وميوندال، واعتمادى، وظاهر، وموسى شفيق، وقد منيت كل هذه الحكومات بالفشل. وكان نجاح داود خان فى القيام بانقلاب ضد ظاهر شاه بسبب هذا الوضع غير المستقر، وفشلت كل الحكومات ولم تستطع تحقيق أية نتيجة.

الحكومات الجمهورية(*)

داود خان Daoud Khan :

وصل الجنرال "القائد" محمد داود خان إلى مقاليد السلطة خلال فترتين من عمر أفغانستان ، المرة الأولى كان رئيسًا للوزراء، وقد امتدت هذه الفترة من ١٩٥٣م إلى ١٩٦٣م. ففى سنة ١٩٥٣ أصبح رئيساً للوزراء خلفًا لابن عمه شاه محمد، وفى سنة ١٩٦٣م خلفه الدكتور محمد يوسف الذى كان شخصاً ليبراليًا، ولم يكن من الأسرة الحاكمة. وعلى الرغم من أن تولى داود خان رئاسة الوزراء كان بسبب خلافات الأسرة الحاكمة ؛ فإنه لا يمكن تجاهل مظاهر الدعم من جانب خروتشوف.

يعتبر" داود خان" شخصية قوية ووطنية، وكان شغوفًا باعتلاء عرش بلاده ، كما أنه واحد من الذين أسسوا حركة عدم الانحياز، إلا أنه رغم كل هذا كان بشتونيا

(*) يقول الأفغانى عن ماهيتها وأدائها بأنها : " حكومة استبدادية مطلقة ، ولكن لها نوع مشابهة بالحكومة الشورية لأنه لا يمكن إبرام أمر مهم فيها إلا بمشاورة رؤساء القبائل ". انظر: تتمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ٢٠٩ . (المترجم)

متعصبا، وكان يدافع عن البشتونية، وخلال فترة حكمه أصبحت كل الوظائف المهمة في يد البشتون بشكل تدريجي. وقد واصل تنمية بلاده على أساس أفضلية العنصر البشتوني؛ فكان يعتقد أن البشتون هم النواة الأساسية للأمة الأفغانية، وكان غيوراً عليهم بشدة.

ولم يكن اهتمام داود خان بالبشتونية قاصراً على داخل أفغانستان فقط، بل تعداه إلى باكستان. وكان لذلك الأمر ردود فعل كثيرة، وتوترت العلاقات بين أفغانستان وباكستان.

ترك ظاهر شاه بلاده في الخامس والعشرين من شهر يونيه ١٩٧٣م – بغرض النقاهة وعلاج عينه – قاصداً إيطاليا، وكان الجنرال عبد الولي نائبًا للملك آنذاك، فاستغل "داود خان" نفوذه وقام بانقلاب بمساعدة ضباط القوات الجوية الأفغانية اليساريين. وفي السابع عشر من يولية سنة ١٩٧٣م قاد عدداً من الضباط وعدة مئات من الجنود، واستولوا على المطار والمناطق الحساسة والرئيسية في كابل. وكانت المقاومة محدودة جدا، وأبدى عبد الولي مقاومة واهية لم تحقق أية نتيجة. وانتهى الانقلاب العسكري دون أن تراق الدماء إلا فيما ندر، حيث قتل أربعة أفراد من الشرطة . وفي تمام الساعة السابعة والثلث صباحًا أعلن راديو كابل أن نظام الحكم في أفغانستان قد أصبح جمهوريا . وبعد إذاعة عدة مارشات عسكرية بدأ داود خان الحديث بلغة البشتون، فقد نجح الانقلاب خلال أربع وعشرين ساعة.

وفي اليوم التالي أعلن داود خان أنه قد أصبح رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء، واحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع والخارجية. وبهذا الشكل أنهى داود خان الحكم الملكي. وقضى ظاهر شاه فترة نقاهة في إيطاليا، وظل منفيا هناك، وبعد فترة لحق به أفراد أسرته.

ومع أن انقلاب داود خان قد تم بدون إراقة دماء فإنه فتح بوابة الدماء أمام مستقبل أفغانستان ؛ فقد رأى داود خان أن نجاح انقلابه كان نتيجة تعاون الضباط الذين كانت لهم ميول شيوعية أو تربطهم بالشيوعيين علاقات ود، وكان عدد هؤلاء الضباط

كبيراً. وبعد نجاح الانقلاب زاد نفوذهم أيضاً في مختلف أجهزة الدولة، وكان من نتيجة ذلك أن عدد الوزراء كان أربعة عشر فرداً منهم سبعةٌ عسكريون يصطبغون بالصبغة السوفيتية قلباً وقالباً، وقد تلقوا تعليمهم في روسيا أيضاً. وكان تصور خان أنه يستطيع أن يتغلب على هؤلاء العسكريين بمرور الأيام أو يقوم بتنحيتهم ويفرض عليهم سياسته.

لم يكن انقلاب "داود خان" انقلاباً شيوعيا، ولم يكن أيضاً ينوى انتهاج سياسة التقارب مع الاتحاد السوفيتي وتأسيس حكومة ماركسية، ولكن كان هدفه استغلال الإمكانية المتاحة للضباط اليساريين، علاوة على هذا فقد كان يعتقد أنه يستطيع أن يساوم السوفيت. وبعد الانقلاب كانت أول دولة باركت هذا العمل هي الاتحاد السوفيتي، على غرار ما فعلت مع أنظمة أمان الله خان ومحمد نادر شاه ونور محمد تره كي فيما بعد، وبينما أبدى الاتحاد السوفيتي ارتياحه لما قام به داود خان لازمت أمريكا جانب الحذر.

وبالنظر إلى أسباب نجاح هذا الانقلاب علاوة على مساعدة حزبي خلق وپرچم والضباط اليساريين فقد كانت هناك أسباب أخرى:

١- كان داود خان يتمتع بنفوذ كبير في المؤسسة العسكرية مكنه من تنفيذ كل خطواته.

٢- كان حكم ظاهر شاه قبل الانقلاب غير مستقر.

٣- كان ظاهر شاه ضعيفاً غير ملم بإدارة الأمور. وعلى الرغم من أن كل شيء كان في يده فإنه لم يكن يحسن استغلال هذه الصلاحيات.

٤- علاوة على هذا فإن داود خان كان أميراً بشتونيا، ومن ناحية أخرى كان "جنرالاً" له تاريخ سياسي وعسكري.

٥- منذ سنة ١٩٣٦م وحتى سنة ١٩٧٣م كان داود خان يعقد الجلسات واللقاءات وكان يبحث خلالها المشاكل والمعوقات. وبهذه الطريقة خلق لنفسه شعبية واسعة، وكان العامة أيضاً لا يدركون جيداً أسباب هذه المشاكل ؛ ولذا فسرعان ما كانوا يقعون تحت تأثير حديث المعارضين والنقاد.

٦- كان الاتحاد السوفيتي يرى أنه عندما ينجح الانقلاب بمساعدة الأحزاب والضباط اليساريين فإن ذلك سيكون نجاحًا بشكل ما للاتحاد السوفيتي، وسيكون خطوة على طريق المزيد من التقارب الأفغاني الروسي وتغلغله في أفغانستان ؛ ولذا دفع الأحزاب والضباط والأفراد الموالين له إلى تأييد الانقلاب ودعمه. وتجب الإشارة إلى أن انقلاب داود خان لا يمكن إرجاعه إلى تدخل الاتحاد السوفيتي، بل كان مبعثه التنافس العائلي بين داود خان والنظام الملكي، ولم يكن له صلة بالسوفييت، فقد استغل داود خان مساعدة الأحزاب والضباط اليساريين في سبيل الوصول إلى السلطة فقط. فما كان من الروس إلا أن اشعلوا الخلافات الأسرية للنظام الملكي وجلسوا على سفرة معدة، ولو أنهم حققوا نفوذاً كبيراً في الحكومة والإدارة الأفغانية . والدليل على ذلك هو أن التطورات التي طرأت على أفغانستان خلال هذه الفترة لم تكن من تخطيط الروس ، كذلك أيضًا تبني داود خان سياسة عدم الانحياز.

ولكن على الرغم من كل هذا فإن العلاقات الأفغانية السوفيتية قد توطدت بعد انقلاب ١٩٧٣م، وتقاربت كلتا البلدين بعضهما من بعض. وكان أحد أسباب هذا التقارب أهداف داود خان الإصلاحية، فقد كان بصدد العمل على تنمية بلاده قدر المستطاع؛ حتى يستطيع أن يخرجها من الحالة القبلية والنظام الإقطاعي. ولتحقيق هذا الغرض احتاج إلى المساعدات المالية والصناعية الأجنبية ؛ ونظراً لأنه لم يحصل من الدول الغربية على المساعدات الضرورية لإنجاز هذه الإصلاحات فقد كان مضطراً للتفكير في استغلال المساعدات الروسية المختلفة.

لم يكن داود خان يعتزم "مركسة" أفغانستان ، بل كان هدفه المحض استغلال المساعدات السوفيتية. فقد كان يعتقد أن بإمكانه خداع السوفييت، وكان بعض المقربين منه يقول له: لا تلعب بالنار "السوفيتية". لكنه ادعى أن بإمكانه المراوغة مع الروس، وفي هذا الصدد يكتب جوزيف جي كالينز فيقول :

بعد وصول "داود خان" إلى السلطة سعى لتحقيق أهدافه من اقتصاد مخطط وتنمية سريعة وإحراز تقدم في القضية البشتونية، وكان اتجاهه إلى روسيا مجرد وسيلة لتحقيق هذه الأهداف.

ويؤيد هذا الكلام نفسه اقتراحات المساعدة من جانب إيران وباقى الدول. فمنذ سنة ١٩٧٤م وما تلاها عزمت المحافل الغربية على أن تزيد من وجودها ونفوذها فى أفغانستان، وقد ساعدت زيادة أسعار النفط فى سنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤م وما تلاها السعودية والكويت وخاصة إيران على تقديم مساعدات لا ترد وتقديم قروض طويلة الأمد للحكومة الأفغانية.

وكان أهم هذه المساعدات الاعتمادات المالية الضخمة المقدمة من جانب إيران سنة ١٩٧٤م، فقد فرض شاه إيران مساعدة قيمتها مليارى دولار لتنفيذ برنامج مدته سبع سنوات فى أفغانستان. وكان هذا المبلغ أكبر من المساعدات التى قدمتها دول روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا والهند وباقى الدول منذ سنة ١٩٥٢م، وقدمت إيران فى الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٤م عشرة ملايين دولار لإعداد الدراسات اللازمة للمساعدة التى تبلغ قيمتها مليارى دولار، وكانت مصارف هذه المساعدة كالآتى: الصناعات الكبرى، والنقل والشحن، ومشروع سهل هيرمند، والمشروعات العمرانية، وإنشاء شبكة من الخطوط الحديدية تربط كابل وقندهار وهراة بشبكة الخطوط الحديدية الإيرانية، وبهذا تصبح أفغانستان قادرة على الوصول إلى الموانئ الإيرانية وتصدير بضائعها من خلال هذه الموانئ. وفى سنة ١٩٧٤م عقدت اتفاقية بين الدولتين يتم بمقتضاها تصدير البضائع الأفغانية عن طريق إيران، وفى المقابل وعد داود خان بحل مشكلة ماء نهر هيرمند.

كانت برامج السياسة الخارجية الأفغانية متأثرة إلى حد ما بالتوجه الغربى، وكان الهدف من هذه المساعدات ملء الفراغ الغربى فى النظام السياسى والاقتصادى الأفغانى، وفى هذه الأثناء حصلت شركة فرنسية على امتياز التنقيب عن البترول فى منطقة تقدر بعشرين ألف كيلو متر جنوب أفغانستان، وحتى هذه اللحظة لم يكن الاتحاد السوفيتى قد حصل على مثل هذا الامتياز.

ومنذ سنة ١٩٧٥م وما تلاها كان "داود خان" بصدد تقليل النفوذ والوجود السوفيتى فى أفغانستان، وكان قد أوفد ضباط جيشه للتعليم والتدريب فى مصر

والهند والولايات المتحدة. وفى سنة ١٩٧٨م زار يوغسلافيا والهند ومصر وتركيا وليبيا، وفى شهر مارس سنة ١٩٧٨م ذهب إلى باكستان ، وفى شهر أبريل زار السعودية والكويت. وبعد مجيء كارتر إلى ساحة الحكم سنة ١٩٧٧م أعرب داود خان عن رغبته فى زيارة أمريكا ، لكن نظرا للقضايا السياسية مع السوفييت آنذاك لم تكن الزيارة لأمريكا مواتية، حتى قرر فى ربيع سنة ١٩٧٨م أن يقوم بزيارته للولايات المتحدة الأمريكية فى سبتمبر سنة ١٩٧٨م، إلا أن وقوع انقلاب فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٧٨م حال دون القيام بهذه الزيارة.

كذلك عمل "داود خان" على زيادة نفوذه بين دول عدم الانحياز، وانتقد دور كوبا فى هذه المنطقة. أما على الصعيد الداخلى فقد عمل على تقليص النفوذ الروسى غير المباشر، وبناء على ذلك، فقد قام فى سنة ١٩٧٤– ١٩٧٥م بتنحية عدد من الوزراء من بينهم وزير الحدود ووزير المواصلات ووزير التعليم ووزير الزراعة، الذين كانوا من اليساريين أو يدخلون فى عداد المقربين من موسكو ، وفى سبتمبر ١٩٧٥م عزل أربعين ضابطًا ممن تلقوا تدريبهم فى الاتحاد السوفيتى، ثم عمل داود خان فى الفترة من سنة ١٩٧٣م وما تلاها على تصفية أعضاء حزبى الشعب والراية من الحكومة بشكل تدريجى، وإرسال الكثيرين منهم – بحجة تولى منصب رئيس المدينة – إلى المدن والمناطق النائية أو نفيهم من أفغانستان فى صورة سفراء حتى لا يظلوا فى كابل، ومن المؤكد أن داود خان لم يتخذ إجراءات حازمة لتصفية أعضاء حزبى الشعب والراية ؛ لأن مساعدات روسيا المختلفة وما ترتب عليها من نفوذ حال دون التصفية الجادة لرموز الشيوعية.

وقد قام داود خان من أجل مواجهة نفوذ حزبى الشعب والراية بتكوين حزب جديد يدعى "الحزب الثورى الوطنى" ؛ حتى يستكثر من أنصاره، ومن الطبيعى آنذاك أن يتحد حزبا الشعب والراية خشية على مصيرهم المشئوم، وحتى يتمكنا من الإطاحة بعدوهم المشترك، وعندما تحقق هذا الاتحاد فى سنة ١٩٧٨م انتهى الأمر بالانقلاب المشترك لحزبى الشعب والراية والإطاحة بداود خان.

لقد أثار تقارب داود خان مع الغرب – إيران خاصة – وسخطه على الأحزاب اليسارية وسائر الأفراد الشيوعيين و الموالين لروسيا استياء حكومة الاتحاد السوفيتى

وغضبه، ولقد ابتهج الروس بانتصار داود خان فى بداية انقلاب١٩٧٣م، ولكنهم بعد فترة أدركوا أن التعامل معه أمر صعب، حيث لم يول داود خان روسيا الاهتمام الكافي. ومن المؤكد أنه على الرغم من كل هذا فإنه كان يمنح الروس الامتيازات السياسية والاقتصادية، إلا أن روسيا كانت تطمح فيما هو أكبر من هذا، ولم يكن داود خان مستعداً للتسليم والخضوع.

وفى الثانى عشر من أبريل سنة ١٩٧٧م سافر داود خان إلى روسيا للمرة الثانية فى زيارة استغرقت ثلاثة أيام، وكانت الزيارة الأولى قد تمت فى الرابع من شهر يونية سنة ١٩٧٤م، وقد استغرقت ثلاثة أيام أيضاً، وخلال هذه الزيارة عقدت محادثات حادة ومريرة بينه وبين بريجنيف، وأعرب بريجنيف عن استيائه من تركيبة حكومة داود خان، وأنذره صراحة بالكف عن التوجه إلى "الغرب" عدا الدول التابعة للاتحاد السوفيتى، وأن يتوقف عن عزل السياسيين الأفغان الموالين لروسيا، وأن يطهر بلاده من المستشارين الإمبرياليين، إلا أن داود خان كان باردا فى رده حيث قال: إن أفغانستان دولة مستقلة، وعندما تجد أنها ليست فى حاجة إلى المستشارين الأجانب فستطلب منهم جميعًا مغادرة البلاد. وكان هذا الكلام من جانب داود خان شاملاً المستشارين الروس أيضًا مما أثار حفيظة الروس؛ لأنهم نظراً للاستثمارات التى قدموها لأفغانستان لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الرد.

الحكومة الشيوعية

عهد تره كى Tourki وأمين Amine :

تأسس الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى فى يناير سنة ١٩٦٥م بشكل غير رسمى ؛ مستهدفًا إنشاء مجتمع اشتراكى قائم على الأفكار الماركسية اللينينية، وكان الأعضاء المؤسسون لهذا الحزب هم نور محمد تره كى، وببرك كارمل، وحفيظ الله أمين، وسلطان على كشتمند، وآخرون. وبعد تشكيل الحزب اختير تره كى سكرتيراً عاما له،

واختير كارمل نائبًا للسكرتير العام، وكان الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى على اتصال بالحزب الشيوعى الروسى، وكان يقال إن هناك تعاونا واتصالا وتقاربا بينه وبين الحزب الشيوعى الهندى أيضا.

وقد صدرت الصحيفة الناطقة باسم الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى تحت اسم الشعب سنة ١٩٦٦م، والحزب الشيوعى الأفغانى مثله مثل باقى الأحزاب الشيوعية فى العالم يتوجه نحو الشباب والفتية، حتى يؤسس لنفسه قاعدة شعبية، فالأحزاب الشيوعية تختار أعضاءها أساسًا من طلاب السنة النهائية من المرحلة الثانوية، وطلاب السنة الأولى من المرحلة الجامعية، وقلما تحاول هذه الأحزاب اجتذاب أعضاء فى منتصف العمر أو فى خريف العمر، ومن وجهة نظرهم أن هذه المراحل العمرية قد فقدت صلاحيتها ولا فائدة من ورائها، فهم أساسًا قلما يقبلون المبادئ الجديدة على عكس الشباب، فهم قليلو التجربة، وسرعان ما يقعون تحت تأثير الدعايا الماركسية، ونظرًا لأنهم فى مقتبل العمر، فهم يمتلكون ديناميكية وفعالية أعلى وتطلعات أقل.

وفى سنة ١٩٦٥م كانت جامعة كابل تضم ٣٢٠٠ طالب، وكان عدد طلاب المدارس الثانوية حوالى ١٧٠,٠٠٠ طالب، وكان عدد من هؤلاء الطلاب بالمدارس الليلية، وكان معظمهم من الطبقة الكادحة، ونظرا لأن الحكومة لا تملك برنامجًا لشغل فراغ هؤلاء الشباب فقد توجه إليهم الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى وجعلهم هدفا لمساعداته المالية وحملاته الدعائية، ورغبهم وشجعهم على اعتناق المبادئ الشيوعية، وقد خلق الفقر الاقتصادى والفقر التعليمى وعدم وجود مجالات تعليمية وإعلامية ذات جدوى للمشاكل الاجتماعية ومظاهر الضعف السياسى، خلق كل ذلك بيئة مناسبة ومواتية لتوجه الأفراد نحو الشيوعية.

ولم يكن الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى بدعا من الأحزاب الاشتراكية فى العالم؛ فقد خصص جزءًا من حملاته الدعائية للعسكريين حتى يكوِّن لنفسه من بينهم مؤيدين وموالين، وكان الفقر التعليمى والمالى بين العسكريين عاملا مهما لتوجههم نحو الشيوعية؛ ولذا فإن داود خان على الرغم من أنه انتصر بفضل تأييد الضباط

اليساريين فإنه بعد خمس سنوات حاصره عدد من هؤلاء الضباط وأطاحوا به، ثم قتل على أيديهم.

ولم تدم الوحدة بين زعماء الحزب الديمقراطى الشعبى وحزب الراية، فانتقلت زعامة الحزب الشعبى للسيد تره كى، وآلت زعامة حزب الراية للسيد ببرك كارمل، وقد عمل كلا الحزبين بعضهما ضد بعض، وكان كل منهما يشنع بالآخر، ومن المؤكد أن الحزب الشيوعى الروسى قد عمل على احتواء الخلاف الذى دب بين الحزب الديمقراطى الشعبى وحزب الراية.

وبعد أن تفاقم الخلاف بين الحزبين توجه حزب الراية بنشاطه ودعاياته إلى الطلاب والمثقفين فى كابل، وكانت قاعدته الشعبية من بين هذه الطبقات بينما انصب اهتمام الحزب الشعبى على العسكريين وسعى لتعميق نفوذه بينهم.

اتحاد حزب الشعب و حزب الراية :

اضطر حزبا الشعب والراية للاتحاد تحت ضغط وإلحاح الاتحاد السوفيتى على الرغم من وجود الصراعات والمشاحنات فيما بينهما، وقد بذلت الأحزاب الشيوعية فى العالم، وخاصة الحزب الشيوعى الهندى جهوداً مضنية للتقريب بين الحزبين، ومع هذا كان الاتحاد بين الحزبين اتحادا ظاهريا أكثر منه حقيقيا، ومع أنهما وقعا اتفاقًا فيما بينهما سنة ١٩٧٧م فإن الخصومات والعداوات ظلت باقية بشكل سرى. وعلى الرغم من ظاهرية هذا الاتحاد فإنه كان نتيجة حتمية للظروف الداخلية؛ لأن داود خان كان قد سلك مسلكًا غير طيب مع زعماء الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى الذى كان يعمل على تقريب أفغانستان إلى الاتحاد السوفيتى. علاوة على ذلك توجه داود خان إلى الغرب أو الدول ذات الاتجاه الغربى ، وكان هذا الاتحاد هو ردّ فعل عملى من جانب الروس إزاء الإجراءات المختلفة التى اتخذها داود خان ضد كل ما هو روسى، وإلى جانب ذلك كان هناك سبب آخر دعا إلى الاتحاد بين حزبى الراية والشعب ؛

ألا وهو أن كل واحد منهما بمفرده لم يكن له من الأتباع والمؤيدين ما يكفيه لتحقيق أهدافه السياسية، فعندما وقع انقلاب سنة ١٩٨١م كان أتباع جناح الشعب على الأكثر ٥٠٠ شخص بينما كان أتباع جناح الراية يقدرون بحوالى ١٥٠٠ شخص. ومن الطبيعى ألا تصل حركة سياسية إلى نتيجة بهذا العدد من الأتباع والأنصار معا فما بالك بأحدهما؟!

انقلاب هفت ثور Havet sour :

أدى اتحاد حزبى الشعب والراية فى يوليه سنة ١٩٧٧م إلى انقلاب هفت ثور فى السابع من أبريل سنة ١٩٧٨م. وكانت زعامة الانقلاب موكولة لنور محمد تره كى ونائبه ببرك كارمل ومساعده المقرب حفيظ الله أمان، استغرق الانقلاب أربعًا وعشرين ساعة، وفى بداية الأمر لم يواجه الانقلاب مواجهة جادة؛ لأن داود خان كان بمفرده تقريبًا، حيث إنه قد فقد معظم مناصريه ومعاونيه وكذلك نفوذه، فقد قام بطرد أفراد الأسرة الملكية وعمل على تقليل عدد الموالين للاتحاد السوفيتى، ولم يكن لديه ثقة فى الليبراليين أيضا، وانحصر مؤيدوه فى مجموعة لا تعرف إلا كلمات التأييد والإشادة والجدارة، ولا تملك أدنى معرفة أو خبرة، فهى منقادة فقط لأوامر داود. وقد حرم داود نفسه من دعم أصحاب العقول الراجحة ومساندتهم بمقاطعته لأصحاب الفكر والرأى، وبهذا الشكل وقع أسيراً فى خضم المشاكل وجزئيات الحكم، وقد حاول داود خان فى أواخر عهده أن يصلح من علاقته بعلماء الدين، لكن الوقت كان قد تأخر كثيراً.

لقد اتسع نطاق الانقلاب، وأدرك القائمون بالانقلاب أن نجاحه يكمن فى الإسراع به على غرار أساليب البعثيين العراقيين حينما قصفوا محل إقامة عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع سنة ١٩٦٢م، واستخدموا فى ذلك طائرات الميج ٢١وسوخوى ٧، وخلال الانقلاب تم إطلاق النار على ما يقرب من ثلاثين فرداً من أسرة داود أمام عينه، وكذلك تم إعدام كبار رجال الدولة، بل وإعدام داود نفسه أيضا.

وكانت أول دولة اعترفت بحكومة الانقلاب رسميا هى الاتحاد السوفيتي، وتم هذا الأمر بشكل سريع، فبعد ساعات من نجاح الانقلاب أعلن الاتحاد السوفيتي عن اعترافه الرسمي ؛ حتى يشد من أزر الثوار ويلقى اليأس والإحباط فى قلوب داود ومؤيديه، وبالاعتراف بالنظام الجديد أدرك أنصار داود خان أن الاتحاد السوفيتي هو الذى وراء هذا الانقلاب وأنهم مهزومون لا محالة.

وجدير بالذكر أن زعماء أفغانستان بصفة عامة يخافون من جارتهم الشمالية. ويصح هذا الوصف حتى فى حق تره كى، بل وأمين أيضًا مع أنهما لم تكن لهما علاقات سرية مع الاتحاد السوفيتي، بل ورسخ لدى الرأى العام فى أفغانستان أن الاتحاد السوفيتي هو مصدر القلق والخطر، أو أنه هو العقبة فى سبيل استقلال البلاد وتحررها، لكن نظراً لأن الثوار لم تكن لهم قاعدة شعبية فقد لجأوا إلى روسيا لتثبيت مكانتهم، والحصول على المساعدات المالية والفنية.

وقوع الاختلاف مرة ثانية بين حزبى الشعب والراية :

وكما كان متوقعاً فإن الاتحاد الظاهرى بين حزبى الراية والشعب لم يدم طويلاً ؛ لأنهما لم يتفقا على تقسيم السلطة والمناصب السياسية فيما بينهما ، فمن ناحية لم يكن تره كى مستعدا لأن يقدم أى تنازل لحزب الراية، وكان ينوى الاستيلاء على كل المناصب السياسية، ومن ناحية أخرى لم يكن "ببرك كارمل" وأعوانه على استعداد لتقبل ازدياد نمو حزب الشعب، وانحسار نفوذهم وقوتهم، وأن يسلموا بلا جدال لتره كى، ولم يرق لكارمل وحزب الراية الدعاية الواسعة التى قام بها تره كى وحزب الشعب. وكان تره كى يعتبر انقلاب هفت ثور مثيلاً لثورة أكتوبر ١٩١٧م السوفيتية ، وكان يطلق عليه "الثورة الكبرى"، أو "المعبر الذى ينقل المجتمع من المرتبة القبلية إلى المرتبة الإقطاعية"، وادعى أن أحداث انقلاب هفت ثور هى ثورة أكتوبر الثانية التى وقعت فى أفغانستان سنة ١٩٧٨م، ووصفت الصحف ووسائل الإعلام تره كى بـ "الزعيم" و "المعلم الكبير" وعلقت فى كل مكان.

وكانت الوزارة التى تشكلت بعد انقلاب ١٩٧٨م قد وزعت حقائبها بين أعضاء حزبى الشعب والراية بشكل غير متكافئ، حيث كان نصيب حزب الشعب إحدى عشرة حقيبة، بينما كان نصيب حزب الراية عشر حقائب، والأهم من هذا أن الوزارات الحساسة مثل وزارة الخارجية ووزارة الداخلية ووزارة الدفاع ...إلخ كانت من نصيب أعضاء حزب الشعب، وتركت الوزارات الأخرى لحزب الراية ، وكان حزب الراية يطمع فى أكثر من ذلك، لكن طبيعة السلطة فى أفغانستان كانت تتطلب أن يقدم أحد الطرفين - حزب الراية وحزب الشعب - تنازلا للآخر، وعلاوة على هذا كان هناك عاملان آخران تسببا فى وقوع الاختلاف بين حزبى الراية والشعب، وهما:

١- أن البشتون كانوا يمثلون حزب الشعب، بينما الفصائل الأخرى كانت تمثل حزب الراية، وعلى الرغم من أن كارمل نفسه قد أدعى أنه بشتونى الأصل فإنه طبقًا لاعتقاد المحللين لم يكن من البشتون.

٢- كان أنصار حزب الشعب يؤيدون الثورة الاشتراكية الفورية، بينما كان أنصار حزب الراية يؤيدون التوجه نحو الاشتراكية رويداً رويداً، مراعاة للظروف الاجتماعية والتعليمية والثقافية والدينية فى أفغانستان، وكانوا يتبعون الأسلوب نفسه الذى اتبعه داود خان.

اتسعت هوة الخلاف بين الحزبين مرة ثانية، وقام حزب الشعب الذى كان يسيطر على أغلبية الحكومة بتصفية أنصار حزب الراية، وبدأت تصفية حزب الراية منذ يونية ويولية سنة ١٩٧٨م، واستمرت حتى مارس سنة ١٩٧٩م، وفى هذا التاريخ تمت تنحية كل أعضاء حزب الراية، وفى ٢٦ يونية سنة ١٩٧٨م طلب حزب الشعب من الولايات المتحدة أن تقبل "نور أحمد نور" الذى كان أحد أعضاء حزب الراية سفيراً، وفى أوائل يولية تم تصفية كارمل، ففى الخامس من يولية أعلن راديو كابل أنه تم تعيين ببرك كارمل سفيراً لأفغانستان فى تشكوسلوفاكيا ، وعُيِّن أخو كارمل سفيراً فى باكستان وتم تصفية باقى أعضاء حزب الراية الواحد تلو الآخر، وتم إخراجهم من كابل تحت مسمى سفراء أو تحت أى مسمى آخر، وفى التاسع عشر من يولية ١٩٧٨م أعلن تره

كى أنه لم ولن يوجد شيء فى أفغانستان يدعى حزب الراية ، وقد فتحت تصفية حزب الراية الطريق أمام حفيظ الله أمين لتقاسم السلطة مع تره كى. وتحول أمين رويداً رويداً إلى قوة سياسية كبرى فى الحكومة الأفغانية.

التغيرات التى وقعت فى عصر تره كى وأمين:

عمل تره كى لتثبيت مكانة حكومته على تنفيذ عدد من الإجراءات، وطبقًا لقوله "عدد من الإصلاحات"، وكان قد ادعى هو وجناحه تبنى أحداث هفت ثور، ولذا كان من الضرورى إتمام بعض الإصلاحات، وخاصة تلك الإصلاحات ذات المغزى الاشتراكى. وكان تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى فى أفغانستان أمرًا ضروريا للغاية، وقد بدأت الحركة بالدستور، ففى صيف سنة ١٩٧٨م تم إعداد دستور جديد قائم على المبادئ الاشتراكية، ثم أعقب ذلك التغيير تغيير سائر جوانب الحياة، وكانت تغييرات تره كى تقوم على ثلاثة أسس:

١- تغيير النظام الفكرى الاجتماعى وذلك عن طريق تجاوز الإسلام، والتوجه نحو الاشتراكية، والخروج من النظام والفكر القبلى إلى النظام والفكر الاشتراكى، ومن المؤكد أن هذه التغييرات لم تنفذ ، حيث يكتب هاموندر فيقول:

"كيف يكون ممكنًا تحويل مجتمع مسلم مائة فى المائة إلى مجتمع شيوعى؟" لقد قاوم الشعب الأفغانى بشدة التغييرات التى من شأنها أن تضعف روح الدين، فقد كانت الروح الدينية التى كانت سائدة فى الشعب الأفغانى ذى الصبغة القبلية والطائفية تمثل عائقًا كبيرًا أمام نشر الشيوعية، ولم يقبل الشعب ، الذى كان مسلماً حتى النخاع وكان منقاداً تمام الانقياد لزعمائه الدينيين، هذه التغييرات.

٢- تغيير البنية الاقتصادية، أى الخروج من النظام الإقطاعى والرأسمالى التقليدى إلى الاقتصاد الاشتراكى، حيث تأتى السمة الإقطاعية فى الترتيب الثانى للسمات المحددة للمجتمع الأفغانى بعد السمة القبلية والطائفية، حيث يعتبر الإقطاع

جزءًا من النظام القبلى لا يقبل الانفصال، وطالما كانت الأفكار والمشاعر القبلية سائدة مسيطرة كان الإقطاع مزدهرًا، لأن الإمكانيات الاقتصادية هى إحدى دعائم سلطة رئيس القبيلة، وبناء على هذا يعد رؤساء القبائل من أصحاب الأملاك.

وتم تنفيذ الإصلاحات الزراعية للقضاء على الإقطاع فى عهد تره كى على مرحلتين، فى المرحلة الأولى تم تقسيم الأراضى بحيث لا يتجاوز نصيب الأسرة المالكة أكثر من ثلاثين جريبة من الأراضى، وفى المرحلة الثانية تم تخفيض هذه المساحة أيضًا ووصلت إلى خمس جريبات، ثم انتهى الأمر بالمسح الكامل لكل الأملاك الشخصية، وكان أمين يقول: "إننا نحارب من أجل استئصال شأفة الإقطاع، وهدفنا هو خلق مجتمع لا يستعبد فيه الإنسان أخاه الإنسان".

ولكنه علاوة على هذا كان يسعى إلى تحقيق أهداف أخرى، من بينها إضعاف المعارضين الأقوياء للحكومة الشيوعية، وذلك عن طريق تقسيم الأراضى التى يسيطرون عليها، ومن ناحية أخرى كانت الحكومة تتصور أنه عندما يتحول المزارعون الذين كانوا يعملون لدى السادة إلى ملاك للأراضى - وليس فقط مجرد مزارعين يورثون مثل أى شىء - سيصبحون مؤيدين للاقتصاد الاشتراكى، وبهذا تكسب الحكومة المزيد من المؤيدين، وفى الواقع أراد تره كى وأمين أن يتخلصا من المعارضين وأن يصبحا أكثر قربًا من الاقتصاد الاشتراكى ويكسبا المزيد من المؤيدين والأنصار.

ولم ينجم عن تقسيم الأراضى إلا الثورة والاضطراب، وبعد فترة آلت الأراضى إلى ملاكها السابقين، ولأن رؤساء القبائل رأوا أن مصلحتهم فى عدم تنفيذ التغييرات الاشتراكية، فقد أعلنوا الإضراب العام؛ ولأن الإصلاحات الزراعية كانت دليلاً واضحًا على تبعية الحكومة الشعبية فى أفغانستان للاتحاد السوفيتى، فقد فشلت الجوانب الاشتراكية الأخرى للإصلاحات، وكان من أسباب فشل برامج الحكومة ضعف التخطيط، وعدم سيطرة الحكومة على أنحاء الدولة ودرجة التغيير.

٣- وللخروج من هذين النظامين والبنية السابقة كان لا بد من تغيير برامج التعليم وأساليبه، ووضع مناهج جديدة قائمة على أساس الفكر الاشتراكى، لذا فإنهم قد

غيروا أبنية التعليم فى البلاد، وترتب على ذلك أيضًا أن ألغيت بعض البرامج الإسلامية من راديو وتليفزيون كابل، وتم منع تدريس المواد الدينية فى المدارس والجامعات، وتم استبدال مناهج ماركسية بها، وقد وضعت للفلاحين وباقى الطبقات الأخرى برامج تعليمية اشتراكية.

وقد كان لهذه الإجراءات أهداف إصلاحية لكن على الطريقة الاشتراكية، فكانت سببًا فى الاضطراب العام وتعرض الحكومة الشيوعية للخطر.

اختلاف تره كى ـ أمين، وسقوط تره كى:

وكما أشير سابقًا فإن تنحية جناح الراية قد هيأ المجال لرقى حفيظ الله أمين، وخلال شهرى يونية ويولية ١٩٧٨م تم إعفاء كل أفراد حزب الراية من العمل فى الحكومة، وتحول أمين تدريجيا إلى مركز قوة، وبعد انقلاب هفت ثور، أصبح أمين وزيراً للخارجية، وفى شهر يولية أصبح سكرتيراً للحزب، وفى ٢٧ مارس سنة ١٩٧٩م أصبح رئيسًا للوزراء، وبهذا الشكل سلب السلطة من مخلب تره كى. وفى ٣١ مارس ١٩٧٩م شكل أمين الوزارة الجديدة، وأسند لأصدقائه والمقربين إليه المناصب المهمة فيها كمنصب وزارة الدفاع والداخلية، وفى يولية ١٩٧٩م تولى هو بنفسه وزارة الدفاع. وبهذا الشكل أصبح أمين كل شىء، وأصبح تره كى يقوم بالأعمال الشرفية التى لا طائل من ورائها، وكانت زيادة نفوذ أمين سببًا فى القلق الشديد من جانب روسيا، فقد كان أمين ذا شخصية متعددة الجوانب يكتنفها الغموض، فلم تثق فيه الحكومة السوفيتية. وقد زاد من قلق الاتحاد السوفيتى عزل أنصار تره كى، فكان لا مفر أمام الاتحاد السوفيتى من العمل على الحد من نفوذ أمين ودعم تره كى وأنصاره الذين أصبحوا على وشك الزوال من الساحة السياسية.

وفى أوائل سبتمبر سنة ١٩٧٩م عقد مؤتمر قادة عدم الانحياز فى هافانا "بكوبا"، وعُقد لقاء ودى مع بريجنيف وجروميكو، فتشكك أمين فى لقاء تره كى بالقادة

السوفييت، وأيقن أن وراء ذلك اللقاء مؤامرة تحاك له، ومن المؤكد أن "شاه ولى" رفيق تره كي ووزير الخارجية الأفغاني قد حضر أيضاً هذا اللقاء، وكان هو مصدر معلومات أمين، وكان قد وقف جيداً على أعمال مباحثات تره كي. وبعد يومين من المباحثات عاد من موسكو في الحادي عشر من سبتمبر متوجهاً إلى كابل، وأعلن أنه عقد مباحثات مهمة مع الزعماء الروس، ففهم أمين أنه تم الاتفاق بين تره كي والسوفييت على الإطاحة به، ولهذا السبب عمل أمين على تحصين مكانته، وبناء على هذا عزل عدداً من الوزراء الذين من الممكن أن تكون لهم اتصالات سرية بتره كي واستبدل بهم مجموعة من المقربين إليه، واعترض على هذا التصرف تره كي، ولكن دون جدوى. ومنذ هذا الوقت استحكم العداء الشديد بين أمين والاتحاد السوفيتي، وأخذ يتحين الفرصة لتسديد الضربات إلى الروس على الرغم من أنه لم يكن يملك الإمكانيات اللازمة.

وطبقًا للاتفاق نسق تره كي خططه مع ألكساندر بوزانف سفير روسيا في ذلك الوقت في أفغانستان، وطبقًا لما تم تخطيطه دعا تره كي أمين في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٧٩م لحضور حفلة في قصر أرك، وقبل أمين الدعوة، وشعر أن الهدف من وراء هذه الدعوة نصب شراك له، وقد أنذرت السفارة الأمريكية بكابل أمين من حضور هذه الحفلة، إلا أن بوزانف تعهد بسلامة أمين، وعلى الرغم من هذا فقد اصطحب معه فرقة مسلحة يرأسها رئيس الشرطة، وبمجرد دخول أمين القصر أطلق عليه الرصاص وقتل رئيس الشرطة، إلا أن الفرقة المسلحة دخلت في اشتباك شديد انتهى بإنقاذ أمين والقبض على تره كي، وكان تره كي قد جرح، وقد سجن لفترة حتى أعلنت كابل تايمز في ١٠ أكتوبر عن وفاته إثر إصابته بمرض عضال. وبعد القبض على تره كي ووفاته نصب أمين نفسه رئيسا جمهوريا للثورة، واحتفظ لنفسه بالسكرتارية العامة للحزب، واحتفظ بالسلطة بشكل مطلق إلى حد ما. وبعد هذه الحادثة احتال الاتحاد السوفيتي وأعلن بريجنيف وكوسيجين أن العلاقات بين البلدين ستشهد تطوراً ملحوظاً.

وبعد حادث تره كي اجتهد أمين في توطيد علاقته بجيرانه، وكان يتطلع إلى إقامة علاقات طيبة مع أمريكا، وطلب لقاء "ضياء الحق" رئيس جمهورية باكستان والسيد

شاهين وزير خارجيته، وكان أمين يسعى حثيثًا إلى دخول فى تحالف جديد، وكان يسعى أيضا لتبنى سياسة أكثر استقلالية إزاء الاتحاد السوفيتى، ولذا قام بمزيد من القمع تجاه أنصار تره كى، وألقى بمسئولية القضايا الراهنة على عاتق تره كى وأنصاره، وقبض على الماركسيين. وكان الاتحاد السوفيتى قلقًا ؛ لأن أمين توجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية والصين لمواجهة النفوذ الروسى، وقد أوحى الصدام الشديد من جانب أمين ضد الماركسيين الموالين للاتحاد السوفيتى بهذا المشهد، وهو أن أفغانستان ستتحول إلى يوغسلافيا جديدة، خاصة وأن توجه أمين إلى الصين لم يكن بخافٍ عن روسيا.

وقد كثر الحديث عن توجهات أمين الغربية بعد واقعة تره كى، إلا أن هذه التوجهات لم تكن ذات عمق كبير أو أنه لم يتمكن من تعميقها، ومع أن أمين كان شديد النفور من الاتحاد السوفيتى فإن كليهما كان محتاجًا إلى الآخر.

وتتلخص حاجة أمين إلى الاتحاد السوفيتى فيما يلى:

١- الحصول على السلاح اللازم وباقى المعدات الروسية الأخرى لمواجهة الثوار الذين سيطروا منذ فترة على الولايات الأفغانية.

٢- الحصول على المساعدات الاقتصادية المختلفة، المالية والفنية اللازمة لإدارة البلاد.

كما تتلخص حاجة الاتحاد السوفيتى إلى أمين فيما يلى:

١- كان أمين يمثل بداية البرنامج الذى وضعه الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان على مدى العقدين الماضيين.

٢- كان يعيش فى أفغانستان آلاف الروس، وكان تأمين حياتهم ووجودهم فى أفغانستان لتنفيذ أهداف الاتحاد السوفيتى البعيدة المدى أمرا ضروريا للغاية.

هجوم الاتحاد السوفيتى على أفغانستان:

فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩م تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا فى أفغانستان، وفى هذه الأثناء لم تكن هناك مجموعة متحدة من الروس تعارض الهجوم العسكرى على أفغانستان، نعم كانت هناك معارضة لكنها كانت متشرذمة.

وكان توقيت الهجوم مناسبًا إلى حد ما، حيث كان الغرب مشغولاً بالعطلات وقضاء احتفالات الكريسماس، والاستعداد لعيد يناير.

لم يكن الهجوم العسكرى بلا مقدمات، بل كان المجال مهيأً منذ عدة أشهر. ويرى المحللون أن الهجوم العسكرى على أفغانستان كان مسلمًا به بعد وفاة تره كى، وبعد ذلك اقتربت التكنات الروسية من الحدود الأفغانية، ومن بينها فرغانة، وتأهبت القوات وقامت بحشد العتاد العسكرى المطلوب بالقرب من الحدود الأفغانية، وعمل الاتحاد السوفيتى على تعبئة عتاده العسكرى مما أثار قلق أمين، ولهذا السبب استمرت إلى حد ما العلاقات الودية واللقاءات المعتادة والمساعدات الدائمة. وفى الثالث من ديسمبر سنة ١٩٧٩م جاء إلى أفغنستان سفير جديد مكان بوزانف، وسلم إلى شاه ولى وزير خارجية أفغانستان رسالة شديدة اللهجة. وفى ١٢ من ديسمبر وصل فريق تجارى روسى إلى أفغانستان. وفى السادس والعشرين من ديسمبر وصل وزير النقل الروسى تاليزين إلى أفغانستان، وعلى الرغم من أنه كان فى مهمة خاصة فإنه التقى بأمين وسلمه رسالة ودية.

من المؤكد أن أمين لم يكن ساذجًا إلى هذا الحد بحيث لا يعرف أن ما يدور حوله هو تمهيد لعمل عسكرى، إلا أنه لم يخطر على باله أن يقوم الاتحاد السوفيتى بالتدخل العسكرى فى أفغانستان. فكان يرى أن الهجوم العسكرى الروسى على أفغانستان سوف يعود بالضرر عليه، على الاتحاد السوفيتى. وكان يتصور أن لدى الاتحاد السوفيتى هذا الاعتقاد نفسه أيضا، ولهذا لم ير دليلا يقلقه من التحركات العسكرية الروسية، كما كان يتخيل أيضا أن مثل هذه الترتيبات والتحركات العسكرية هى لتخويفه فقط، وقد نشرت الدول الغربية لعدة مرات تقارير قائمة على الإجراءات

العسكرية الروسية، واحتمال هجومها العسكرى على أفغانستان. وكان الاتحاد السوفيتى يدرك العواقب الوخيمة التى ستترتب على هذا الهجوم.

وفى ١٩ من ديسمبر أعلنت حكومة كارتر أنه من الواضح أن الاتحاد السوفيتى يهيئ نفسه للهجوم على أفغانستان، وأخطرت الاتحاد السوفيتى أن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار العواقب الوخيمة لهذا الأمر. لكن الاتحاد السوفيتى نفى وقوع أى نوع من الهجوم. وفى الوقت نفسه وتحديدا فى ٢١ من ديسمبر صرح أندره كروميكف لسفير أمريكا فى موسكو بالقول: "إن هذه التقارير خاطئة ولا نعرف عمَّ تتحدثون".

وقبل الهجوم العسكرى توجهت وفود عسكرية كثيرة إلى أفغانستان حتى تدرس عملية الهجوم، وكان أحد هذه الوفود بقيادة الجنرال ألكسى يابيشف، وكان هذا الجنرال قد شارك فى حرب تشيكوسلوفاكيا، وكان قد عرض خطة الهجوم العسكرى على تشيكوسلوفاكيا قبل هجوم الاتحاد السوفيتى على أفغانستان. وفى أبريل ١٩٧٩م وصل يابيشف إلى أفغانستان، برفقته ستة من القادة العسكريين وعدد من الدبلوماسيين الروس ومكث مدة أسبوع فى تلك الدولة، ووصل إلى هذه النتيجة خلال زيارته، وهى أن القوات المسلحة الأفغانية لا تملك القدرة على إدارة البلاد وإقرار النظام فيها؛ نظرا لعدم تأييدها للآراء السياسية والعسكرية لحكومة كابل وانقسامها إلى جماعتى الراية و الشعب، وأن الحل الوحيد لإقرار النظام فيها هو التدخل العسكرى. وحدد كيفية الهجوم. وبعده وصل الجنرال إيوان جى باولوسكى الذى كان أحد قادة القوات البرية الروسية وكان قائدا لإحدى القوات التى هاجمت تشيكوسلوفاكيا، كما اشترك فى العمليات العسكرية فى إثيوبيا والقرن الإفريقى إلى أفغانستان ومعه ١٢ جنرالا و٥٠ ضابطا آخرون، وظل وفد باولوسكى من منتصف أغسطس حتى منتصف أكتوبر، ووقف على جميع الجوانب. والوفد الآخر الذى جاء إلى أفغانستان فى ٢٨نوفمبر ١٩٧٩م هو وفد الفريق فيكتور بابوتين. وآنذاك كان يشغل منصب النائب الأول لوزارة الداخلية الروسية. وفى ١٣من ديسمبر غادر أفغانستان، وجمع بابوتين الأخبار والمعلومات اللازمة لتهيئة المجال للتحركات العسكرية الروسية.

وبهذا هيأ الاتحاد السوفيتى ما يلزمه للهجوم، وأخيرا نفد صبره، فحلقت طائرات النقل الروسية على جبال الهندكوش فى ٢٤ من ديسمبر، وقامت بإنزال الجنود وسائر المعدات الأخرى فى مطار كابل. وبدأالسوفييت هجومهم الواسع على أفغانستان فى مساء ٢٧ من ديسمبر ١٩٧٩م، وأخضعوا الأماكن المهمة مثل الإذاعة والتليفزيون والاتصالات والطرق المهمة والمطارات والمناطق الحكومية وسائر الأماكن المهمة لسيطرتهم، ثم سيطروا على الطريق المؤدى إلى كابل.

مقتل أمين وتولى كارمل

بعد التدخل العسكرى هاجم عدد من أفراد القوات الروسية قصر دار الأمان فى ٢٧ من ديسمبر، وقاموا بالاستيلاء عليه بعد أن قتلوا الحراس واستولوا على ثمانى دبابات، وقبضوا على أمين الذى كان مستقرا بداخله، ثم أطلقوا عليه الرصاص مع زوجته وابن أخيه وأولاده السبعة وما يقرب من ٢٠ إلى ٣٠ شخصا من أنصاره، وسقطت حكومة حفيظ الله أمين بهذا الشكل.

وبقتل أمين أصبح ببرك كارمل الذى كان قد عمل منذ فترة على إقامة علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى رئيساً للحكومة الجديدة. ويقال إنه حتى الأسبوع الأول من شهر يناير ١٩٨٠ لم يكن ببرك كارمل قد وصل إلى أفغانستان بعد، فقد كان سفيراً – فى المنفى – لأفغانستان فى تشيكوسلوفاكيا . على أية حال ادعت كل من حكومة كارمل والاتحاد السوفيتى أن أمين كان واحداً من عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية "سيا"، وأنه قد باع "انقلاب هفت ثور" للولايات المتحدة وباكستان. ونسبوا إليه أيضًا قتل دابس السفير الأمريكى، وقالوا إن هدف أمين من وراء عملية الإرهاب هذه هو إخفاء حقيقة توجهاته الغربية، ووصفته الأحزاب الشيوعية أيضًا بأنه "ناهب أفغانستان"، ولكن هذا الوضع – طبقًا لما قاله المارشال شومان – يثير سؤالا مفاده: كيف يكون ممكنًا أن يكون أمين عميلاً إمبرياليا، ويفرض على بلاده حكومة ماركسية؟! ومع سقوط أمين انتهت فترة حكم حزب الشعب، وأعقبه حزب الراية الذى كان يرأسه كارمل.

أسباب هجوم الاتحاد السوفيتى(*):

يمكن الوقوف على أهم أسباب الهجوم السوفيتى فيما يلى:

١ - الاضطرابات التى شملت أفغانستان، والضعف الذى كان يئول إليه النظام الشيوعى:

قوبل انقلاب أبريل سنة ١٩٧٨م بمقاومة شعبية عارمة فى بداية الأمر، وكان عدد القتلى اللذين أسفرت عنهم حركة المقاومة قليلاً نسبيا (حوالى ثلاثة آلاف)، وبهذا اقتنع الاتحاد السوفيتى أن الأمن قد استقر، وأن الشعب لن يعارض الظروف الجديدة، وليست هناك حاجة لإجراءات طارئة، وعلى الرغم من أنه وقعت بعض مظاهر المقاومة فى السنة نفسها ، فإن الاتحاد السوفيتى لم يولها كبير اهتمام، لكن تصاعدت حدة

(*) أجملها الدكتور محمد عبد القادر فى عدة أسباب، وأعتقد أنها الأسباب نفسها التى حدت بأمريكا مؤخرا فى غزوها لأفغانستان إلى جعلها منطقة لتأمين نفط بحر قزوين وبوابة لعبور خط أنابيب عملاق، وهى :

١- أن أفغانستان تعتبر بوابة العالم الإسلامى ، والاستيلاء عليها بداية لتطويق الأراضى الإسلامية .

٢- استغلال موارد أفغانستان الطبيعية .

٣- احتواء الصين .

٤- الوصول إلى موارد البترول فى الشرق الأوسط .

٥- قمع حركات التحرير الإسلامية فى الأقاليم الجنوبية فى روسيا، كما كان الوضع الدولى والوضع الداخلى لأفغانستان، إضافة إلى زيادة التغلغل الشيوعى لأسباب أخرى مساعدة. انظر: المسلمون فى أفغانستان، ص ٦٤ - ٨٤ .

١- الحيلولة دون سقوط نظام كابل.

٢- تثبيت نفوذه فى تلك الدولة.

٣- الوصول المباشر إلى المياه الدافئة فى المحيط الهندى والمياه الدولية.

٤- الحيلولة دون وصول المد الإسلامى إلى الاتحاد السوفيتى.

٥- كما أنها معبر مناسب للوصول إلى المؤسسات السوفيتية فى إثيوبيا واليمن الجنوبية.

هذه المعارضة المقاومة للحكومة الشيوعية منذ أوائل ١٩٧٩م، ووضعت الحكومة فى موقف لا تحسد عليه. وفى مارس ازدادت حدة الاضطرابات وشملت النورستانيين وهراة، وتأججت نار الحرب مع الحكومة، وتم الفتك بعدد من المستشارين والجنود الروس وتمزيقهم إربًا إربًا. وفى شهر أبريل عم الاضطراب منطقة بكتيا، وهاجم الثوار مخافر الحكومة. وردًّا على هذه الأعمال قام النظام من جانبه بأعمال القتل فى الشعب، وفى شهر يونية اضطربت أيضًا كابل وقُتِل المستشارون والمسئولون الروس، وقام سلاح الطيران بقصف هراة، حتى يتمكن من قمعها، لكن الهجوم العسكرى عاد بنتائج عكسية، وكان لثورة كابل تأثير كبير فى انتفاضة باقى الأقاليم. وفى الثالث من سبتمبر تم غلق طريق كابل المؤدى إلى مزار شريف، وقام الثوار بالسيطرة على المناطق المجاورة لنفق سالنج، وعم الاضطراب إقليم بامير الإقليم الثامن عشر فى أفغانستان، وبزغت روح التمرد فى صفوف الجيش، ورفض القيام بقمع الثورة وإدارة البلاد . وأصبح المستشارون والمواطنون الروس الذين كانوا فى أفغانستان معرضين للخطر، فكان الشعب يفتك بهم أينما وجدهم. "وفى ليلة هجوم الاتحاد السوفيتى كان ثلاثة أرباع البلاد تحت سيطرة الثوار"، وكان هذا الوضع قد أدى إلى إضعاف حكومة أمين. وفى أواخر سنة ١٩٧٩م أدرك الاتحاد السوفيتى أن أفغانستان قد خرجت تمامًا من تحت سيطرة كابل ، ولا طاقة للجيش على إقرار الأوضاع مرة ثانية. وفى ديسمبر ١٩٧٩ كانت رؤية الاتحاد السوفيتى للأوضاع فى أفغانستان - بناء على تصريحات الجنرال باولوفسكى قائد القوات البرية - كالآتى: نظام أمين على وشك السقوط، ولم تعد هناك أية قاعدة سياسية للجيش، ولم يعد قادرًا على مواجهة الثوار، والاقتصاد منهار. وبناء على هذا فإن التدخل العسكرى من وجهة نظر الروس كان أمرًا ضروريا، لأن النظام إن آجلاً أو عاجلاً سيئول إلى السقوط، وليس معلومًا ما سيئول إليه الأمر.

ومن الممكن اعتبار الخلافات الشرقية والغربية، والخلافات الداخلية فى الحكومة، والتنافس لكسب مزيد من السلطة، والأهم من كل هذا مظاهر التغيير الماركسى التى طرأت على المجتمع الأفغانى، كانت وراء هذه الاضطرابات، فكانت الحكومة قد بدأت فى القيام بأعمال شيوعية لا تتوافق مع الإسلام؛ فهب المجتمع الأفغانى المسلم حتى النخاع لمواجهة هذه التغييرات الشيوعية بكل ما أوتى من قوة.

٢- انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية:

كان وقوع الثورة الإسلامية فى إيران شيئًا جديراً بالاهتمام من جانب الاتحاد السوفيتى من زاويتين:

أ- تأثير الثورة الإسلامية على أفغانستان، وتأثيرها المحتمل على الجمهوريات الإسلامية الواقعة فى الاتحاد السوفيتى. وكان الاتحاد السوفيتى يرى أن الثورة الإسلامية سيكون لها تأثير مباشر على أفغانستان، ومن ثم سينسحب هذا التأثير على الجمهوريات الإسلامية السوفيتية، ولذا يجب أن توضع أفغانستان تحت السيطرة حتى تكون صمام الأمان الذى يمتص تأثير الثورة الإيرانية.

ب- أدت الثورة الإيرانية إلى حدوث خلل فى ترتيبات الشرق الأوسط، وتدخلت أمريكا والغرب فى قضاياها، ورأى الاتحاد السوفيتى أن هذه هى الفرصة الذهبية ؛ فالعالم مشغول بإيران وقضاياها ، وليس لديه فرصة للالتفات إلى أفغانستان.

٣- الميل النسبى الذى أبداه أمين تجاه الغرب:

بعد أحداث المؤامرة التى دبرها تره كى للإطاحة بأمين، والتى أودت فى النهاية بحياة تره كى نفسه، انتبه أمين إلى سوء الاتحاد السوفيتى بالنسبة له، فاتجه إلى عقد صداقات مع الغرب.

٤- الوصول إلى المياه الدافئة فى الجنوب:

طبقًا للوصية المنسوبة إلى "بطركبير" كان أحد الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية الروسية هو الوصول إلى المياه الدافئة فى الجنوب، وكان الهجوم على أفغانستان يعد خطوة فى سبيل تحقيق هذا الهدف.

٥- الدفاع عن الأيديولوجية الماركسية:

طبقًا للمبادئ الفكرية الماركسية فإنه، لا يحق لأى دولة دخلت فى نطاق الاشتراكية أن تتراجع ؛ أى أن المجتمع الذى حقق نهضة فكرية وقام بثورة عمالية، ودخل مرحلة الثورة الاشتراكية لا يمكن له أن يرجع مرة ثانية من حيث أتى. وكان سقوط حكومة أمين يعد فى الواقع رجوعًا إلى الأيام الخالية، وفى حالة ارتداد أفغانستان عن الأفكار الاشتراكية فإن هذا الأمر سيهيئ المجال لدول أخرى أن تحذو حذو أفغانستان، لذا كان الاتحاد السوفيتى مضطرا إلى كسر حكومة كابل التى كانت معروفة بأنها حكومة شيوعية.

٦- الحفاظ على الحدود السوفيتية:

كان الاتحاد السوفيتى يظن أنه مع سقوط حكومة أمين ستأتى حكومة تكون تابعة لباكستان وأمريكا، وستتحول أفغانستان إلى قاعدة لضرب الاتحاد السوفيتى، وبهذا يتهدد أمن الحدود السوفيتية، فظهر للاتحاد السوفيتى أنه يجب أن يبقى النظام الأفغانى على ولائه له من أجل تأمين حدوده.

مقاومة الشعب إزاء الاعتداء:

كان الجيش السوفيتى معروفا بالجيش الأحمر، وقد ارتكب فظائع يشيب لها الولدان، وكان هذا الجيش مشهوراً بقسوته المفرطة؛ فلا يرحم أى شخص أو أى شيء. وأينما حل كان يلقى الرعب فى قلوب عدوه، وأحيانًا كان العدو يلقى السلاح ويعلن الاستسلام، فعندما ثارت ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر ضد السيادة الروسية تدخل الجيش الروسى، وبعد ثلاثة أيام هدأت الأوضاع لصالح الاتحاد السوفيتى. وكان الاتحاد السوفيتى يعتقد أنه سيتمكن فى أفغانستان خلال عدة أيام من تحقيق ما يصبو إليه؛ نظراً لما لجيشه من صيت ذائع وشهرة مدوية، لكن رغم دخول

ما يربو على ١١٠ آلاف جندى روسى مدججين بأحدث الأسلحة فإنهم لم يتمكنوا مطلقًا من السيطرة عليها. إن مساحة الاتحاد السوفيتى تزيد عن مساحة أفغانستان قرابة ثلاثين مرة، كما يربو عدد السكان الروس على عدد السكان الأفغان حوالى خمس عشرة مرة أيضا، هذا بالإضافة إلى الإمكانيات العسكرية والصناعية الهائلة. لكن على الرغم من كل هذه الإمكانيات، فقد هب الشعب الأفغانى بعد دخول السوفييت أرضه للنضال ضد جيش نظام كابل والجيش السوفيتى مستخدمًا فى ذلك أبسط الأسلحة، فكانت هذه الأسلحة عبارة عن مجموعة من البنادق التى كانت تستخدم فى الحربين العالميتين الأولى والثانية. ودخلت الأحزاب السياسية – التى لم يكن لها مكان فى أفغانستان – الواحد تلو الآخر ساحة المعركة، ونظمت حركة النضال الشعبى، ولم يتمكن الاتحاد السوفيتى – على الرغم من إمكانياته الهائلة التى كان يمتلكها – من قمع الشعب وتحقيق استقرار الأوضاع.

كان بعض المسئولين الروس يرى أن التدخل العسكرى فى أفغانستان مخاطرة كبيرة، وقد تبلورت هذه النتيجة بسرعة، فمنذ يونية سنة ١٩٨٠م عندما سعى الاتحاد السوفيتى إلى التوصل إلى حل سلمى بات واضحًا أن القادة الروس قد خلصوا إلى هذه النتيجة، وهى أن جيش الاتحاد السوفيتى قد وقع فى حرب دموية غير واضحة النهاية، وليس معلومًا ما سيترتب عليها. وقد اعترف "بريجنيف" نفسه بضعف نظريته العسكرية والسياسية تجاه أفغانستان، لكن لم يكن هناك مجال لإنقاذ الجيش من أفغانستان، وكان قد توفى فى نوفمبر ١٩٨٠م، وشغل مكانه أندروبوف الذى كان رئيسًا لـ "ك – ج – ب". وطبقًا للمعلومات التى وصلت عن طريق "ك – ج – ب" توصل إلى هذه النتيجة، وهى أن الهجوم السوفيتى على أفغانستان كان خطأ. وكان ينوى سحب قواته من أفغانستان بالتعاون مع الغرب، لكن عمره كان قصيرًا فمات فى فبراير ١٩٨٤م. ولم يكن تشرنينكو موافقًا هو الآخر على الوجود العسكرى السوفيتى فى أفغانستان، إلا أنه مات فى مارس ١٩٨٥م ولم يتخذ أى إجراء لإخراج القوات السوفيتية، إلا أن أندروبوف وتشرنينكو كانا قد فتحا الطريق أمام جورباتشوف ليطالب بخروج القوات العسكرية الروسية، وفى يوليه ١٩٨٦م اعترف علانية بأن أفغانستان قد أصبحت جرحًا داميًا بسبب السياسة السوفيتية.

حكومة نجيب الله Nagib Allah :

ظل ببرك كارمل حتى سنة ١٩٨٦م رئيسا شرفيا لا نفوذ له لجمهورية أفغانستان؛ فلم تكن له أية سلطة عملية. وكان يقال عن كارمل إنه ليس فقط عميلا روسيا بل إنه يعتبر أيضا سجينا روسيا. فطبقًا لما ورد فى وثائق وزارة الخارجية الأمريكية كان حرس القصر القديم الذى كان يعيش فيه كارمل من الجنود الروس، كما أن حرسه الخاص وكبير الطهاة والسائق والطبيب، إضافة إلى ستة من مستشاريه الأساسيين كانوا جميعًا من الروس، واستمر الأمر هكذا لسنوات طويلة . وطبقًا لهذا التقرير ذكر دبلوماسى أفغانى فى خريف ١٩٨٠م أنه لا يسمح لكارمل أن يكتب الخطاب الذى يلقيه، فكل شىء واقع تحت السيطرة الروسية، ويشرف المستشارون والعسكريون الروس على ما يتعلق بكارمل . ولم يحدث فى عهده أى تغيير ذى أهمية.

ومنذ أن تولى جورباتشوف رئاسة الاتحاد السوفيتى قام بطرح سياساته الجديدة للانسحاب العسكرى من أفغانستان، فقام بعزل ببرك كارمل فى مايو ١٩٨٦م وولى الدكتور نجيب الله الذى كان هو الآخر من أعضاء حزب الراية ورئيس الشرطة السرية الأفغانية.

ومع تولى نجيب الله كان الجو قد تهيأ للانسحاب العسكرى الروسى، وحتى يتمكن نجيب الله من مقاومة المجاهدين بعد خروج القوات الروسية قام بإجراءين:

١- قام بتدريب وتجهيز الجيش الأفغانى حتى يجبر ما لحقه من ضعف.

طبقًا لما جاء فى الأطروحة السياسية الاجتماعية لجورباتشوف "كلاسنوست"، وطبقًا للمبادئ الاقتصادية التى تبناها جورباتشوف "البروسترويكا" تمكن نجيب الله من القيام بمناورة جديدة . فتمكن من تنحية الدعاية المذهبية، بما فى ذلك تلك الدعاية التى هى ضد الدين الإسلامى، ومن ناحية أخرى تمكن من إنهاء الإجراءات الشيوعية، وغير الخطة الاقتصادية وباقى الأساليب الشيوعية الأخرى حتى يكسب بهذا الشكل الرأى العام فى صفه.

وبناء على هذا تمكن من القضاء على كل الأفكار الشيوعية تدريجيا، وقام بعملية تصفية وتنقيح لكل ما يروج له من أفكار شيوعية في الإذاعة والتليفزيون والكتب الدراسية والمراكز التعليمية المختلفة، وأعقبها بنشر التعاليم الإسلامية. وكان نجيب الله قد قام هو ونظامه بتعقب الإسلاميين، وكان يعتقل علماء الدين ويذيقهم صنوف العذاب، وقد أصبح رويداً رويداً عابداً مراعياً للجوانب الظاهرية من الدين، فكان يصلى ويصوم ويحج ويسبح الله ويقرأ القرآن ... وقد امتصت هذه الإجراءات التدريجية من جانب نجيب الله الكثير من عملية المقاومة التي كانت موجهة ضده. وعلى الرغم من أنه لا ينسى أحد ماضيه، وعلى الرغم من وقوع نجيب الله تحت سطوة الاتحاد السوفيتي فإنه – على أية حال – كان قد هيأ الجو الذى تمكن به من الحفاظ على مكانة الحكومة، وحال دون وقوع البلاد فى قبضة المجاهدين حال انسحاب القوات العسكرية الروسية.

اتفاقيات جنيف

عقدت اتفاقيات جنيف فى أبريل سنة ١٩٨٨م. وكانت أطراف هذه الاتفاقيات دول أفغانستان، وباكستان، والاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية، والأمم المتحدة. وبناء على ظاهر الأمر كانت أفغانستان وباكستان تمثلان الأطراف الأساسية، وكانت أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الضامنتان لتنفيذ هذه الاتفاقيات، وكانت هذه الاتفاقيات فى الأساس اتفاقيات تعاون بين أمريكا والاتحاد السوفيتى بشأن أفغانستان بهدف التوصل إلى حلول سلمية غير عسكرية، ومثلما أنهى اتفاق باريس الحرب الأمريكية فى فيتنام ، كان يُنتظر طبقًا لاتفاقيات جنيف أن تحل قضية أفغانستان بطريقة سياسية وسلمية، فيسحب الاتحاد السوفيتى قواته من أفغانستان، وتوقف أمريكا دعمها للجماعات المعارضة للحكومة الأفغانية، ويخرج الاتحاد السوفيتى من أفغانستان بشكل يحفظ له ماء وجهه.

وبالفعل بدأ خروج القوات الروسية من أفغانستان فى ١٩٨٨/٥/١٥م، وتقرر أن يكتمل هذا الانسحاب فى خلال عشرة أشهر، ووفقا لمعطيات هذه الاتفاقية كان خروج آخر جندى للاتحاد السوفيتى فى ١٩٨٩/٢/١٥م.

وكان متوقعا أن يسقط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية من أفغانستان؛ ولهذا فقد حدد المجاهدون وقتًا لكل مدينة فى أفغانستان ليستولوا خلاله عليها بعد خروج الروس مباشرة، وكان متوقعًا سقوط نظام كابل فى يد المجاهدين فى غضون شهر على الأكثر.

لكن على الرغم من هذه التوقعات وتوقعات كثير من المحللين لم يسقط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية. ويمكن استنتاج أسباب عدم سقوط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية مباشرة من المواضع التالية:

١- قام الاتحاد السوفيتى بدعم نظام كابل، وحاول تلبية احتياجاته من السلاح علاوة على تفويض حماية المناطق الأفغانية للقوات الأفغانية المدربة، وقبل الخروج من المناطق تم تسليمها على سبيل التجربة لقوات الجيش الأفغانى حتى يتمكن من معرفة نقاط الضعف.

٢- بعد خروج الاتحاد السوفيتى، انخفض الدعم الدولى للقضية الأفغانية بشكل تدريجى، ولم يعد أحد يهتم بها، ولذا انقطعت المساعدات التى كانت تصل إلى المجاهدين، وتقلصت قدرتهم العسكرية والاقتصادية والسياسية، بينما كان نظام كابل فى حالة دعم كامل من قلب الاتحاد السوفيتى.

٣- فى العادة يؤدى الهجوم الأجنبى إلى اتحاد داخلى ، فعندما تدخل الاتحاد السوفيتى وقفت عناصر الشعب والأحزاب والجماعات المختلفة للمجاهدين من شيعة وسنة صفًا واحدًا حتى يواجهوا العدو المشترك، لكن بعد القضاء على العدو الأجنبى، تفككت وحدة الصف الداخلى بين الجماعات والأحزاب، ومن هنا انفرط عقد المجاهدين ولم يتمكنوا من مهاجمة النظام واستئصال شأفته.

٤- زيادة الأنشطة الدعائية للنظام فى كابل مكنته من القيام بدعاية إسلامية جعلت الرأى العام يلتفت إليه إلى حد ما، وذلك بغض النظر عن الأنشطة والدعاية الإسلامية الواسعة التى حاول النظام أن يظهر من خلالها فى صورة راعى الإسلام، وعمل على جذب اهتمام الجماعات الإسلامية، وقام أيضًا بعرض مصالحة وطنية وكان ذلك سنة ١٩٨٧م . بناء على هذا بدأت مرحلة انعطاف فى سياسة الحكومة مستفيدة فى ذلك من الدعاية الإسلامية وطرح المصالحة الوطنية، وترتفع شعبية الحكومة وتتجه إلى دعوة المجاهدين للمصالحة الوطنية، ولكن المجاهدين لم يكونوا على استعداد للتفاوض مع نظام كابل، فلعلهم كانوا يعتبرونه داعى حرب .

٥- لم تبد أمريكا رغبة فى تشكيل حكومة إسلامية ، لأن حكومة كابل كانت فى ذلك الوقت فى حالة سقوط، وكان سقوطها سيسجل انتصاراً آخر فى سجل المجاهدين وستكون زعامة الحكومة الإسلامية أكثر قوة، وهذا ما لا ترضى عنه أمريكا، ولم يكن الاتحاد السوفيتى كذلك أيضًا ليرضى عن مثل هذه الحكومة، وبهذا اتفقت المصلحة الأمريكية والسوفيتية، ولم يتورعا عن أى محاولة تعرقل انتصاراً آخر سيكون فى صالح المجاهدين.

أسباب الانسحاب العسكرى الروسى:

كان انسحاب الاتحاد السوفيتى من أفغانستان له أسباب بسيطة حينًا وأسباب أخرى قوية حينًا آخر، وإليكم هذه الأسباب :

١- المقاومة المستميتة من جانب الشعب والمجاهدين الأفغان، وعجز الاتحاد السوفيتى عن قمع المقاومة الإسلامية، وعدم نجاحه فى خلق وجود هادئ بعيد عن أى ضجة.

٢- كان الوجود الروسى يجعل المشروعية السياسية الاجتماعية لنظام كابل موضع استفسار .

٣- قوبل الوجود الروسى بمعارضة شديدة، وتمت إدانته بشدة من جانب الدول الإسلامية، وخاصة إيران.

٤- أدانت دول العالم الثالث هذا الوجود وطالبت بخروج القوات السوفيتية.

٥- أدانت المنظمات الدولية ومن بينها حركة عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وهيئة الأمم المتحدة، الوجود الروسى وطالبت بانسحاب الاتحاد السوفيتى.

٦- طالبت دول أوروبا الغربية بالانسحاب الروسى الكامل.

٧- أدانت الدول المتحضرة التدخل الروسى وطالبت بانسحاب الاتحاد السوفيتى

٨- على الرغم من أن الدول والأحزاب الشيوعية قد نافقت الاتحاد السوفيتى وصمتت فى الظاهر، فإنها أعربت عن استهجانها وقلقها ومعارضتها للعملية الروسية فى الباطن.

علاوة على هذا:

- كان الوجود العسكرى الروسى منافيًا للمزاعم السياسية الاجتماعية المضادة للإمبريالية التى يتبناها الاتحاد السوفيتى.

- كان هذا الوجود عقبة كبيرة فى سبيل تنمية العلاقات السوفيتية مع دول العالم الثالث، وخاصة الدول الإسلامية.

- كان الغرب يتذرع لوجوده سياسيا فى المنطقة بإجراءات كان الهدف منها الحفاظ على وجوده.

- لم يكن لدى الجنود الروس الدافع لخوض حرب فى أفغانستان.

- كانت قد قويت تعبئة المشاعر المضادة للشيوعية على إثر التدخل الروسى فى أفغانستان.

وكانت هذه هى الأسباب العامة والبسيطة، وإليكم الأسباب الأساسية الأخرى:

١- كان الاتحاد السوفيتى فى حالة انهيار، فعلى الرغم من أن كثيرًا من دول العالم لم تكن لتصدق أمر انهيار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٨٨- ١٩٨٩م؛ فإن الزعماء

الروس أدركوا أن بلدهم سينهار بسرعة. وكان الانهيار الذى ضرب الاتحاد السوفيتى شاملاً، يتمثل فى الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيديولوجية، وكان الاقتصاد أكثر الجوانب سحقًا وتدهوراً. وكان الاتحاد السوفيتى يحاول إنقاذ نفسه من السقوط والتدهور فقام بإجراءات إصلاحية كان من بينها الخروج من أفغانستان، التى كلفته ميزانيات طائلة، كانت تصل سنوياً إلى ثلاثة أو أربعة مليارات دولار، وعرضت شعبيته السياسية للتساؤل، كما أدت به إلى حالة واسعة من التذمر الداخلى؛ فكان مضطرا للانسحاب من أفغانستان، حتى يخفف من حدة الضغط الاقتصادى والسياسى، وملاحقة الرأى العام، والضغوط الخارجية على بلاده، ولو لم يقع الاتحاد السوفيتى فى مشكلة داخلية من جراء هذا الأمر لكان واصل المسير فى احتلال أفغانستان.

٢- لم ينل الاتحاد السوفيتى شيئًا من أفغانستان، والواقع أن أفغانستان ليس فيها شىء يناله أحد، فهى أولاً دولة فقيرة، وشعبها شديد النفور من الوجود الأجنبى، وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى قد استثمر الكثير فى أفغانستان فإنه لم يجن شيئًا، بل إنه حصد الكثير من الأضرار الجسام، وفى النهاية حاول أن ينقذ نفسه من هذا المستنقع. وحتى الإنجليز أيضًا لم يستفيدوا شيئًا من أفغانستان سوى أنها كانت قلعة تصد المغيرين على الهند.

٣- المقاومة الضروس من جانب الشعب إزاء القوات السوفيتية، والتى لم ير الاتحاد السوفيتى لها مثيلاً فى أية دولة أو منطقة قام بمهاجمتها، كان الاتحاد السوفيتى يعتقد أن أفغانستان ستكون على الأكثر -من الناحية السياسية والاجتماعية- مثل جمهوريات آسيا الوسطى التى وقعت منذ أوائل القرن التاسع عشر تحت السيادة الروسية . وقد ثارت هذه الجمهوريات فى العقد الثانى من القرن العشرين ضد السلطة السوفيتية والشيوعية ، لكن تم قمع هذه الثورة التى عرفت بثورة عمال المطابع عن طريق قوات الاتحاد السوفيتى. لكن أفغانستان هبت بكل فصائلها القومية المختلفة لمواجهة السوفييت الذين لم يتمكنوا من تحقيق أطماعهم فى أفغانستان. وكلما مرت الأيام لم تصبح الأوضاع فى أفغانستان أكثر تفاقماً فقط، بل كان يزداد تبلور الأحزاب

وجماعات المقاومة ويتسع نطاق النضال الشعبى، هذا فى الوقت الذى لم يكن للجنود الروس أى دافع لخوض غمار هذه المعارك.

٤- كان يقال للجنود الروس إنهم سيحاربون فى أفغانستان الباكستانيين والسعوديين والأمريكيين والإمبرياليين، لكنهم بعد دخولهم أفغانستان رأوا أنهم يقاتلون أناسًا يرزحون تحت وطأة الفقر المدقع و يدافعون عن وطنهم، ولهذا تضاءل الدافع المحرض لدى الجنود الروس لأنهم لم يصلوا إلى شيء، ومن ناحية أخرى توهج حماس الشعب والمجاهدين وقوات المقاومة، وكان لديهم الاستعداد، حيث إن قتالهم ضد إحدى القوى العظمى - آنذاك - سيحقق لهم النصر وسيدافعون عن سيادة أراضيهم ، ولذا لم يتمكن السوفييت من قمع هذه المقاومة.

سقوط نظام نجيب الله :

استمر الجنرال نجيب الله فى الحكم منذ انسحاب القوات الروسية من أفغانستان فى ١٩٨٩/٢/١٥م وحتى أوائل سنة ١٩٩٢م. وفى سنة ١٩٩٠م كان الاتحاد السوفيتى قد بلغ غاية الضعف. وفى نهاية سنة ١٩٩١م اختفى تمامًا من خريطة الوجود. ولم يدم نظام نجيب الله عدة أشهر بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، فقد انخفضت مساعدات الاتحاد السوفيتى لأفغانستان منذ سنة ١٩٩٠م وما تلاها بشكل تدريجى. ومع سقوط حكومة الاتحاد السوفيتى انقطعت تمامًا هذه المساعدات، ولم تستطع أية جمهورية أن تخلف الاتحاد السوفيتى وتنهض لدعم نظام نجيب الله. ومنذ أواخر سنة ١٩٩١م وحال النظام يئول من ضعف إلى أضعف. وانضم عدد من العسكريين والقوات الموالية إلى المجاهدين، وكانت أهم القوات التى انضمت إلى صفوف المجاهدين هى قوات شمال أفغانستان التى كان يتزعمها الجنرال دوستم. وبانضمام الجنرال دوستم إلى المجاهدين أصبحت الولايات الشمالية فى أفغانستان تحت سيطرة المجاهدين . وفى بداية سنة ١٩٩٢م سقط نظام نجيب الله، وكان نجيب الله قد نوى الفرار من كابل، لكن قوات المجاهدين أو القوات الموالية لها- وخاصة العسكريين الذين لحقوا بالمجاهدين - حالت دون خروج نجيب الله. وكان مبعوث السكرتير العام لهيئة

الأمم يعمل على إخراج نجيب الله من كابل، وأحيانًا كان يحاول الخروج إلى الهند؛ نظرا لأنه قد أرسل إليها من قبل امرأته وابنه، وبسبب فشل خطة إخراج نجيب الله فقد حملوه إلى مكتب هيئة الأمم وظل هناك لفترة ، وبهذا الشكل تم وضع نهاية للحكومات الشيوعية في أفغانستان.

تشكيل حكومة المجاهدين الأفغانية:

سقط نظام محمد نجيب الله سقوطًا كاملاً في بداية سنة ١٩٩٢م، وآنذاك لم تكن هناك مقاومة تذكر، واستولى المجاهدون بجهد غير كبير على كابل. وبعد الاستيلاء على كابل تجمع زعماء المجاهدين، وتم تشكيل الحكومة الأفغانية بزعامة "صبغت الله مجددى" زعيم "حزب الإنقاذ الوطنى الأفغانى".

وكان قد سبق هذا توقيع زعماء المجاهدين على اتفاقية في بيشاور، تحدد بمقتضاها أن يتولى "صبغت الله مجددى" رئاسة الحكومة المؤقتة لمدة شهرين، ثم تأتى بعدها حكومة أخرى لمدة أربعة أشهر تحت زعامة "برهان الدين ربانى" زعيم حزب "الجمعية الإسلامية الأفغانية"، وخلال هذه الفترة يتم التحضير لانتخاب حكومة تالية. وقد تم مراعاة هذه الاتفاقية لمدة شهرين آخرين، وبعد ذلك أصبح برهان الدين ربانى رئيسًا للحكومة الأفغانية المؤقتة. وكانت زعامة هذه الحكومة "لعبد الصبور فريد" من الحزب الإسلامى التابع لحكمتيار، وتم تقسيم باقى المناصب والمسئوليات بين أحزاب وجماعات المجاهدين، وبعد مدة قصيرة تم تنحية فريد وبدأ النزاع.

الحرب في كابل:

في صيف ١٩٩٢م اشتعلت نار حرب ضروس بين فصائل المجاهدين في كابل، ودارت رحى الحرب الأساسية بين قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى وبرهان

الدين ربانى زعيم الجمعية الإسلامية، وقام حكمتيار بإمطار مدينة كابل بوابل من النيران وقصفها بالصواريخ، وقامت الحكومة بزعامة برهان الدين ربانى بمناجزته ومقاومته.

وكانت ذريعة حكمتيار فى الهجوم على كابل توحيد الميلشيا الأوزبكية بزعامة الجنرال رشيد دوستم فى كابل، وكان يرى أن هذه الميلشيا كانت فيما مضى جزءاً من الجيش الشيوعى فى كابل، وأنها كانت تناصب المجاهدين العداء، والآن يجب طردها من كابل، لكن الهدف الأساسى كان الاستيلاء على كابل، وإسقاط حكومة ربانى وتشكيل حكومة جديدة. وكان سبب الإبقاء على الميلشيا الأوزبكية هو أنه كان لها تاريخ من التعاون مع حكومات سابقة أخرى، وكان لهذه القوات دور فعال ومؤثر فى كابل، وقد حالت دون تقدم قوات حكمتيار إلى داخل المدينة، وفى حالة خروج هذه القوات من كابل كان حكمتيار سيستطيع بسهولة أن يسيطر على المدينة، ويصل إلى الحكم، وقد كان العسكريون من البشتون الذين كانوا يخدمون فى المنظمة الشيوعية فى كابل كانوا قد انضموا بصفة عامة إلى حكمتيار، ومن هؤلاء الجنرال "شهنوازتنانى أسلم" وطنجا وآخرون، ولحق البعض الآخر من هؤلاء العسكريين بربانى.

وإلى جانب الحرب التى كانت بين حكمتيار وربانى دارت رحى حرب أخرى بين حزب الوحدة الإسلامية الأفغانى وحزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى بزعامة عبد الرسول سياف. وقد بذل حزب الاتحاد الإسلامى محاولات جمة للسيطرة على مواقع حزب الوحدة الإسلامى، وإخراج زعماء هذا الحزب من المدينة والقضاء عليه. وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد أسفر عن خسائر فادحة فإنه لم يحقق أية نتيجة بل إنه فقد بعض مواقعه. وقد قام حزب الاتحاد الإسلامى بإمطار مناطق الشيعة بنيران كثيفة، تهدم على إثرها الكثير من المنازل وأسفرت عن جرح وقتل عدد كبير من الشيعة.

وأسفرت حرب المجاهدين عن مظاهر دمار شامل أهمها ما يلى:

١- خربت الحرب أكثر من نصف مدينة كابل، وخلفت دماراً شاملاً.

٢- أصيب الاقتصاد الأفغانى الواهن بمشاكل مزمنة؛ لأن القصف الصاروخى والنيران الكثيفة كانت تغطى كل مناطق المدينة، الأسواق والأماكن الآهلة بالسكان وورش الإنتاج ومراكز الصناعة والمحلات ...إلخ.

٣- أصبحت الحكومة فى أفغانستان أكثر ضعفًا حيث شقت سائر المناطق عصا الطاعة على الحكومة المركزية.

٤- الأهم من كل هذا أن شعبية المجاهدين قد تدهورت بشدة، لقد كان الشعب الأفغانى ولفترة طويلة ينتظر بفارغ الصبر تشكيل الحكومة الإسلامية بزعامة المجاهدين، لكن الحرب فى كابل وفى بعض المناطق الأخرى جعلته يغير رأيه، فلا يتفاءل خيراً تجاه المجاهدين، واعتبر المجاهدين طلاب سلطة.

وفى سنة ١٩٩٢م تم تأسيس مجلس يدعى مجلس الحل والعقد من جانب برهان الدين ربانى، وكان أحد أعمال هذا المجلس انتخاب ربانى لرئاسة جمهورية أفغانستان لمدة عامين، ولهذا السبب دخلت الأحزاب الأخرى ومن بينها حزب حكمتيار الإسلامى الذى لم يكن راضياً عن هذا الانتخاب، فى حرب شعواء مع ربانى. كما شن حرباً أخرى لا تقل ضراوة عن الأولى فى أواخر شهر دى وأوائل شهر بهمن من العام نفسه على مدينة كابل. وقد أسفرت هذه الحرب عن خسائر فادحة، وضعت مصير الحكومة والبلاد فى هوة سحيقة. ومنذ سنة ١٩٩٣م، وخاصة سنة ١٩٩٤م تغيرت مواقف الجماعة وتبلورت طبقات جديدة، واشتعلت نيران الحرب على نطاق أوسع.

تشريع القانون فى أفغانستان:

ترجع مسيرة سن القانون وتدوينه فى أفغانستان إلى أوائل القرن الحالى، فتم تدوين أولى مبادئ الدستور فى البلاد منذ أوائل القرن العشرين.

وقد تم إعداد أول دستور فى أفغانستان خلال مدة وجيزة بعد استقلال أفغانستان سنة ١٩١٩م تحت اسم لائحة الدستور الأفغانى، إلا أنه لم ينفذ. وقد تم إعداد هذا القانون فى عهد أمان الله خان سنة ١٩٢٣م، وهو يشتمل على ٧٣ مادة. وقد

خضعت بنوده للمناقشة والدراسة من جانب ٨٧٢ ممثلاً عن الفصائل والقبائل المختلفة. وفى البداية تمت معارضته، ثم أضيفت إليه مواد أخرى وتم إجراء تعديلات فيه.

وفى عهد محمد نادر شاه سنة ١٩٣٠م تم وضع دستور بشكل أكثر نضجاً تحت لائحة الدستور، وتم التصديق عليه فى سنة ١٩٣١م، وكانت هذه اللائحة تضم ١١٠ مواد اقتبست من دساتير إيران وتركيا وفرنسا.

كانت بعض مواد هذا الدستور قد اقتبست كما هى من دستور ١٣٠٢هـ، ثم أضيفت إليها مواد أخرى. وفى سنة ١٣٤٣هـ. ش تم تنظيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات السياسية والاجتماعية ...، وكان هذا الدستور صورة مكملة لدستور ١٣١٠هـ. ش، وبمقتضى هذا الدستور تم الفصل بين القوى الثلاث (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية)، وتم تقليص الصلاحيات المخولة للأسرة الملكية، وتم منعها أيضاً من شغل المناصب المهمة. وفى سنة ١٣٤٧هـ. ش تمت إضافة أجزاء أخرى إلى هذا الدستور.

وفى سنة ١٣٥٢ هـ. ش، بعد الانقلاب الذى قام به الجنرال محمد داود خان ضد ظاهر شاه، والذى انتهى بسقوط النظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى أصبح الدستور الذى تم إعداده فى العهد الملكى ملغى، ولهذا تم تدوين الدستور من جديد فى سنة ١٣٥٥ هـ. ش، وتغيرت القوانين المتعلقة بالأسرة الملكية والنظام الملكى، وتم إدخال مواد جديدة. وكان هذا الدستور عبارة عن ١٣ فصلاً و١٣٦ مادة. وقد صدق عليه المجلس سنة ١٣٥٦ هـ. ش، وفيما بعد أصبح هذا الدستور أكثر شمولاً، وأضيفت إليه مواد أخرى كثيرة. وقد أخذ كثير من مواد دستور داود خان عن دستور ١٣٤٣ هـ. ش إلا أنه تبلورت فيه الأسس الاشتراكية، فأصبحت الاستثمارات الكبرى، والتأمين، والشحن البرى والجوى، والآثار القديمة والتاريخية، والصناعات الغذائية وغيرها تابعة للدولة.

وفى سنة ١٣٥٧ هـ.ش سقط نظام داود خان، وأمسك النظام الشيوعى بزعامة تره كى بزمام الأمر. ومع تولى النظام الجديد مقاليد الأمور ألغى الدستور السابق، وتم وضع قوانين وأساليب إدارية عامة للبلاد تتوافق والأفكار الشيوعية، وحتى سنة ١٣٥٨ هـ. ش لم يكن الدستور قد أعد بعد، وبعد غزو الاتحاد السوفيتى لأفغانستان وتولى ببرك

كارمل تم إعداد دستور جديد فى سنة ١٣٥٩هـ.ش/ ١٩٨٠م من جانب مجلس الثورة، وكان هذا الدستور يضم عشرة فصول وثمانيًا وستين مادة. وتم تنظيم هذا الدستور وفقا لأفكار الشيوعية ومبادئها وممارساتها.

وبعد تنحية ببرك كارمل وتولى محمد نجيب الله سنة ١٣٦٥هـ. ش/ ١٩٨٦م تم إعداد دستور جديد. وهذا الدستور لا يختلف كثيراً عن الدستور الذى تم إعداده فى عهد ببرك كارمل. وقد راعى هذا الدستور الجديد ما طرأ على العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وأفغانستان من تطور، وأخذ فى الاعتبار إلى حد ما الظروف الداخلية فى أفغانستان.

يضم هذا الدستور ١٣ فصلاً و١٤٩ مادة، وتم التصديق عليه من جانب مجلس الأعيان القبلى فى سنة ١٣٦٦هـ.ش/ ١٩٨٧م. وفى سنة ١٣٦٩هـ.ش/ ١٩٩٠م تم تشكيل مجلس آخر، وطرأت عليه تعديلات جديرة بالاهتمام. وطبقًا لهذا الدستور وما طرأ عليه من تعديل تغير اسم دولة أفغانستان أولاً من جمهورية أفغانستان الديمقراطية الشعبية إلى جمهورية أفغانستان الديمقراطية، ثم تغير ثانية إلى جمهورية أفغانستان. وقيل إن هذا الدستور كان قائما على أحكام الإسلام، وقد اعترف فى أحد مواده أن الإسلام هو الدين الرسمى للبلاد. وقد اشتهر هذا الدستور بدستور المصالحة الوطنية.

وطبقًا لهذا الدستور الجديد وما طرأ عليه من تعديل، بقيت الملكيات الأساسية مؤممة كما هى، لكنه تم الاعتراف فى المجالات الأخرى بالاقتصاد المختلط "الحكومى والخاص"، وكانت شركات القطاع الخاص جنبًا إلى جنب مع الشركات الحكومية فى الشئون المصرفية، والتأمين، والشحن الجوى والبرى. وتم السماح أيضًا للبنوك والشركات الأجنبية بالعمل فى أفغانستان.

وفى بداية سنة ١٣٧١ هـ. ش/ ١٩٩٢م سقط نظام نجيب الله، وجاءت الحكومة الإسلامية، وألغى الدستور، وتم إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية فى أفغانستان . ثم بدأت جلسات ومحادثات لإعداد دستور جديد، إلا أنه حتى الآن (مهرماه ١٣٧١ هـ.ش) لم يتم إعلان أو نشر أى دستور.

وعلى مدى القرن الأخير تم وضع القوانين من جانب الحكومات بشكل دائم، وتم التصديق عليها أيضاً من جانب مجالس الأعيان القبلية التى كانت تنظمها الحكومات.

التقسيمات الإدارية:

طبقًا لآخر التقسيمات (فى نهاية ١٣٧٠هـ.ش) تم تقسيم أفغانستان إلى ٢٩ محافظة "ولاية"، وفيما يلى قائمة بأسماء المحافظات "الولايات" وعواصم المحافظات، ومساحة كل محافظة.

اسم المحافظة	عاصمة المحافظة	مساحة المحافظة
أرزكان	ترين كوت	٤٧٢٠,١
بادغيس	قلعة نو	٢١٦٧٧,٨
باميان	باميان	٣٧٧٥٧,٩
بدخشان	فيض أباد	٤٠٨٨٥,٥
بغلان	بغلان	١٧١٦٤,٧
بلخ	مزار شريف	١٢٢٨٤,٢
بروان	جاريكار	٥٩٥٩,٩
بكتيا	كرديز	٩٧٧٨,٥
بكتيا	شرن	٩٤٠٩,٣
تخار	طالقان	١٢٣٢٥,٣

اسم المحافظة	عاصمة المحافظة	مساحة المحافظة
جوزجان	شيبرغان	٢٦٢٢٦,٣
زابل	كلات	١٧٠٦٨,٣
سمنكان	سمنكان	١٦٦٣٩,٧
غزني	غزني	٢١٣٨١,٣
غور	جغجران	٣٨٧٥٧,٩
فارياب	ميمنه	٢١٣٠٦,٣
فراه	فراه	٥٩١٤٦,٦
قندهار	قندهار	٤٩٣٧١,٦
كابل	كابل	٤٧٢٠,١
كابيسا	محمود راقي	٥٤٠٣,٩
كندوز	كندوز	٧٩٢٨
كنر	أسد أباد	١٠٥٥١,٦
لغمان	مهترلام	٧٢٧٧,١
لوكر	بركي	٤٤٠٩,٩
ميدان "وردك»	ميدان شهر	٩٦٩٩,٢
ننكرهار	جلال أباد	٧٦٠٧,٤
نيمروز	زرنج	٤٧١٢٤,١
هراة	هراة	٣٨٧٩٨,٨
هلمند	لشكركاه "بست"	٦٢٣٣٦,٨

أسماء مدن المحافظات في أفغانستان :

١- أرزگان: أجرستان، شهرستان، دايكندي، كزاب، كجران، دهراود، ترين كوت، جوره، خاص ارزكان.

٢- بادغيس: غورماچ، مرغاب، قلعة نو، كشك كهنه، فارس، جوند.

٣- باميان: شبر، باميان، سيغان، كهمرود، يكاولنك، بنجاب، ورس.

٤- بدخشان: درواز، خواهان، راغ، شهر بزرك، كشم، فيض أباد، جرم، كران ومنجان، زيباك، واخان، أشكاشم، بهارك، شغنان.

٥- بغلان: بوكه، بغلان، پلخمري، دهنه غوري، ناله وبرفك، دوشي وخنجان، أندراب، خوست وفرنگ، نهرين.

٦- بلخ: شورتيپه، دولت آباد، چاربولگ، چمتال، شولگره، كشتنده، چاركنت، دهدادي، بلخ، نهر شاهي، مزار شريف.

٧- پروان: سالنگ، جبل السراج، كوه صافي، بگرام، چاريكار، شيفواري، غوربند، سرخ پارسا، شيخ علي.

٨- پكتيا: دندوپتان، دره درنگ، جاجي، چمكني، حسن خيل، لجمنكل، جاني خيل، موسى خيل، قلندر، سيد كرم، گرديز، زرمت، اورمه، شواك، جدران، شمل، نادرشاه كوت، سپيره، تني، مندوزايي، گربز، خوست، تريزه، بك، سروتي، جاجي ميدان.

٩- پكتيكا، گيان، زيلوك، نيكه،مته خان، شرن،سر روضه، أركون، برمل، سروبي، أومنه ،كتواز، گرمل، ولمي، وازه خوا.

١٠- تخار: چاه آب، ينگي قلعه، درقد، خواجه غار، طالقان،بنگي، أشكمش، چال، ورسج، فرخار، كلفگان، رستاق.

۱۱- جوزجان، قرقین، خمیاب، منگجك، مردیان، آقچه، خانقا، شیبرغان، سرپل، کوهستانات، بلخ آب، سنگچارك، فیض آباد.

۱۲- زابل، شاه جوی، أرغنداب، دای چوپان، میزان، جلدك، کلات، شینگی، اتغر، شمولزایی.

۱۳- سمنگان: کلدار، خلم، حضرت، سلطان، سمنگان، دره صوف، روی دوآب.

١٤ - غزنی: زنخان، خواجه عمری، ناور. جغنو، غزنی ده یك، رامك، اندر مالستان، جاغوری، قره باغ، گبرو، آب بند، مقر، گیلان، ناوه.

١٥ - غور: لعل وسر جگل، چغچران، شهرك، تولكگساغر، غور تیوره، پسه بند.

١٦ - فاریاب: آقینه بندر، خان چهار باغ، اند خوی، جیلاجین، قره قل، دولت آباد، شیرین تگاب، میمنه، پشتون کوت، المار، قیصار، کوهستانات، بلچراغ، درز آب.

١٧ - فراه: فرسی، شیندند، آنار دره، قلعه کاه، فراه، خاك سفید، بالا بلوك، بکواه، گلستان، پرچمن.

١٨ - قندهار: معروف ، ارغستان، دامان، دهله، خاکریز، غورك، ارغنداب، قندهار، دند، میوند، پنجوایی، شگه، سبین بولدك، شورابك، ریگ.

١٩ - کابل: استالف، شکر دره، پغمان، قره باغ، کلکان، میربچه کوت،چهار دهی، کابل، ده سبز، بگرامی، چهار آسیاب، خاك جبار، سروبی .

٢٠ - کاپیسا: پنجشیر ١(چار قریه) پنجشیر ٢(دره هزاره) پنجشیر (رخه) کوهستان محمود راقی، دره نامه، کوه بند، نجراب، تکاب، اله سایی.

۲۱ – کندوز: ارچی، حضـرت امـام، قلعـه ذال، کنـدوز، چاردره، علی آباد، خان آباد.

۲۲ – کنر: برگ منال، کـامـدیش، ناری، اسـمـار، چپـه دره، اسـد آباد، نرنگ، چوکی، نورگل، خاص کنر، سرکانی، مروره، دانگام.

۲۳ – لغمـان: نورسـتـان، دولت شـاه، علیشنگ، مـهتـر لام، عزیز خـان، قرغه یی، علینگار.

۲٤ – لوگر: محمد اغه، پل علم، برکی برك، چرخ، خوشی، ازره، کلنگار.

۲٥ – میدان(ورك): میدان شـهـر، جلریز، حصـه اول بـهـود، دای مـیرداد، مـرکز بهود، سید آباد، چك وردك، نرخ.

۲٦ – ننگرهار: دره نور، کـوز کنر، بهـسـود، جـلال آباد حـصـارك، شـیـر زاد، خوگیانی، پچیر، چیرهار، رودات، ده بالا، اچین، نازیان، در باب، شینوار، بتی کوت، مهمند دره، لعل پور، گوشته، کامه، سرخ رود.

۲۷ – نیمروز: لاش، جوین، خاش رود، اصل چخانسور کنگ، زرنج، برجك.

۲۸ – هراة، هـراه: کـشك، گلران، کـهـسـان، غـوریان، زنده جـان، هـراة، هراه، انجیل، گذره، ادر سکن، پشتون زرغون، کرخ، اوبه، چشت شریف .

۲۹ – هلمند: بغران، کجکی، ساربان قلعة (سنگین)، موسی قلعه، نوزاد، واشیر، گرشك، نهر سراج، بست (لشکرگاه)، نادر علی، ناوه بارکزایی، گرمسیر، (درویشان)، خان نشین، دیشو.

العاصمة(*):

مدينة كابل هى عاصمة أفغانستان. وهى المنطقة الوحيدة فى أفغانستان التى تتمتع بعوامل جذب، ويمكن أن يطلق عليها مدينة. وتغلب الصفة القروية على كل مناطق أفغانستان فيما عدا المدن المهمة مثل هراة وقندهار وجلال أباد ومزار شريف وعدة مدن أخرى، ولا تتمتع بكثير من الإمكانيات، بل إن بعضها لم تدخله الكهرباء، ومعظمها يفتقر إلى المياة الجارية. والمدينة الوحيدة التى تتمتع بالمرافق الكاملة هى كابل. وتعد كابل بمقارنتها بباقى مدن العالم، بل مقارنتها بدول المنطقة من أكثر المدن تخلفاً. ولا زالت كابل حتى الآن تحتفظ بملامحها التى مر عليها ما يقرب من مائة عام. وما طرأ عليها من تغيير هو فقط دخول بعض مستلزمات الحياة العصرية، وعلى أية حال تعد كابل هى عروس المدن الأفغانية، ويكتب السيد اليورروا:

"توجد فى أفغانستان مدينة واحدة بكل ما تعنيه كلمة مدينة هى كابل"، ويقول أنتونى هى فى مذكرات:

(*) هى اسم بلد فارسى معرب ، قال عنها المؤرخ اليونانى هيرودوت (+ ٤٢٥ ق.م) : إن كابل كانت تشتهر منذ فجر التاريخ بالتجارة ، حيث كانت سوقًا تجارية تتجمع فيها السلع من الصين والهند وخراسان ، وتنقل منها إلى أسواق اليونان والرومان. تبلغ مساحتها ٣١٥ ألف ميل مربع ، وهى غير منتظمة السطح . وتقع شمال شرق هضبة إيران إلى الجنوب من جبال الهندكوش على ارتفاع ١٧٦٢ متراً فوق مستوى سطح البحر ، وعلى خط عرض ٣٤ْ شمالا وخط طول ٦٩ْ شرقًا محاطة بالجبال. انظر: الجواليقى ، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق الدكتور فانيا عبد الرحيم، دار القلم، ط١ ١٩٩٠م، ص ٥٥٦ . وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة ١٩٣٩م، ص ٢٤٥ . وانظر: أربرى ، تراث فارس، ترجمة محمد كفافى وآخرين، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة الحلبى ١٩٥٩م، ص ٤٥، ولونكويرت ديمز، أفغانستان، طبعة بيروت ١٩٨٠، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين، ص ١٥ . (المترجم)

من الممكن أن تسمى كابل عالمًا، لأنها لا تتشابه مع باقى مناطق أفغانستان".

تقع كابل وسط سلسلة من الجبال تشق عنان السماء، ذات طبيعة خلابة، وتقع المدينة فى وادى عميق عريض نسبيا. ويكون الوصول إلى مدينة كابل بمنحنياتها ومتعرجاتها الطبيعية من وسط هذه الجبال. وتفصل بين مناطق المدينة عدة تباب متشعبة من الجبال. وجو مدينة كابل معتدل ولطيف نسبيا فى فصل الصيف إلا أنه بارد شتاء.

وتعد كابل من المدن القديمة. وقد ورد اسمها فى الأساطير القديمة، وذكرت فى الشاهنامه تحت مسمى كابل وكابلستان. وبها آثار تاريخية من بينها، سور كابل التاريخى الذى يعود تاريخه إلى عصور ما قبل الإسلام، والحديقة البابرية أو حديقة بابر شاه، ومقبرة تيمور شاه، وقصر دار الأمان، وقصر چهلستون، ومنار دهمزنگ، ومقبرة نادر شاه، وقصر دلگشا، ومسجد شاه دوشمشيره، ومسجد پل خشتى... إلخ.

والمدينة الوحيدة التى يشاهد فيها امتزاج الأقوام المختلفة هى كابل، وأهم هذه الأقوام: الطاجيك، والبشتون، والهزارة، والتركمان، والنورستانيين، والبلوش وغيرهم. ويمثل الشيعة عدداً كبيراً من السكان فى أفغانستان، فعددهم يبلغ تقريباً ثلث السكان. وفى فترة حكم البشتون كان ٧٥٪ من الشعب يتحدث اللغة الفارسية "الدرية"، ويتحدث باللغة البشتونية حوالى ٢٠٪. وبعد سقوط حكومة نجيب الله وتشكيل الحكومة الإسلامية بزعامة المجاهدين زاد عدد المتحدثين باللغة الفارسية، وأصبحت اللغة الرسمية لمباحثات الحكومة.

وعلى مدى التاريخ كانت أفغانستان بصفة عامة، وكابل بصفة خاصة ملتقى الطرق التجارية، واليوم تتفرغ معظم الطرق الرئيسية فى أفغانستان من كابل، فيتجه الطريق الشمالى عن طريق مرتفعات الهندكوش نحو نهر جيحون، والطريق الشرقى يمر بجلال أباد متجهاً إلى باكتسان عن طريق مضيق خيبر، ويتقدم الطريق الغربى نحو هراة منتهيًا بإيران، ويمتد الطريق الجنوبى عن طريق غزنين وقندهار إلى باكستان.

ويغلب على سوق كابل أسلوب الأسواق التقليدية الشرقية نفسه، فيختص كل قسم فيه ببيع الأصناف المختلفة للبضاعة الواحدة كالأسواق القديمة فى طهران وشيراز. ويوجد كل شىء فى سوق كابل، لكنه غالى الثمن، وقد أنشئت الأسواق الجديدة على الطراز الغربى.

وتعد كابل عاصمة المجتمع المدنى فى أفغانستان، فقبل الهجوم السوفيتى كان تعداد سكان مدينة كابل حوالى مليون شخص، لكن بعد الهجوم السوفيتى، ونظراً لاستتباب الأمن وتوفر الإمكانيات وعوامل الجذب الأخرى، زاد عدد سكانها ووصل إلى أكثر من مليونى نسمة.

تنقسم كابل إلى اثنتى عشرة منطقة، وبها ثلاث حدائق لكنها ذات إمكانيات متواضعة، وبعبارة أدق لا توجد بها أية إمكانيات، وتوجد بها أربعة عشر دار سينما بعضها لم يكن يعمل أحياناً.

وتوجد فى كابل وسائل مواصلات عديدة منها: الشاحنات، والأتوبيسات، والسوارى، وعربات الكارو، والحمير، لكن نظراً لارتفاع سعر الوقود يقل استخدام السيارات، وبصفة عامة يركب السكان الدراجات الهوائية والدراجات البخارية والمينى باص، وتستخدم الشاحنات بكثرة ، بينما استخدام الأتوبيس والمينى باص محدود .

وتعد كابل – مثلها فى ذلك مثل باقى عواصم العالم – مركزا أساسيا للتطورات والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولهذا فإن سيطرة أى جماعة أو طائفة على كابل تعد سيطرة على أفغانستان بأسرها. وعلى مدى تاريخ الاستقلال وقعت معارك ضروس للاستيلاء على هذه المدينة، ومثال ذلك الأحداث التى وقعت فى سنوات: ١٣٧١ – ١٣٧٣هـ. ش.

تستحوذ كابل على كل الإمكانيات الكائنة فى أفغانستان ؛ ففيها المبانى الشاهقة والمطاعم، ومحلات السوبر ماركت، وباقى الإمكانيات الاجتماعية والحديثة الأخرى، حيث يقيم ما يقرب من ٨٠٪ من الأطباء الأفغان المتخصصين فى كابل، كما توجد

أرقى مستشفيات أفغانستان فى كابل أيضًا. وفى كابل يوجد لكل ألف نسمة طبيب، بينما النسبة فى باقى مناطق أفغانستان تصل إلى طبيب لكل ثلاثة عشر ألف نسمة.

وفى هذا الصدد يقول جون كريفيت:

"لقد رأيت بعينى فى المناطق الشمالية من أفغانستان أن لكل طبيب ألفى مريض بينما لا توجد مستشفيات ولا مساعدون ولا ممرضون ولا حتى صيدلية". ثم يضيف أن ٦٠٪ من ٢٧٠٠ سرير فى مستشفيات أفغانستان يقع فى كابل. وقريب من هذه النسبة استهلاك الكهرباء التى يتم إنتاجها محليا. وكذلك أيضًا تنطبق هذه النسبة على المصادر المائية. وإلى جانب هذا تم تأسيس أرقى الجامعات والكليات الفنية الأفغانية فى كابل، ومن المؤكد أنه خلال العقد الماضى انتقلت بعض الإمكانيات إلى مدن جلال أباد وهراة وكندوز ومزار الشريف وقندهار.

والطلاب الذين يأتون إلى كابل للدراسة ومختلف الأشخاص الذين يأتون إليها لغرض ما يصبحون غير مستعدين بأى حال من الأحوال للرجوع إلى قريتهم أو مدينتهم الأصلية عندما يقفون على إمكانياتها. ويصدق هذا الأمر على النساء والفتيات المتعلمات، فأهالى القرى والمدن الأخرى محرومون من مختلف الإمكانيات التعليمية والصحية والترفيهية. وكابل - التى ترتدى أزياء ترجع إلى عشرة قرون مضت ولم يطرأ عليها أى تغيير- يقع فى هواها وأسرها الشباب الأفغانى حتى الذين تقل عندهم النزعة القومية.

مزار شريف:

تلقى "مزار شريف" مزيدا من الرعاية والاهتمام بعد كابل، وتعد هذه المدينة مركزا لتجمع الأوزبك الأفغان. وفى الماضى كان الروس يرغبون أن تصبح هذه المدينة العاصمة أو على الأقل أحد المراكز الأفغانية المهمة ؛ لأن هذه المدينة كانت قريبة من حدود الاتحاد السوفيتى، ومن السهل السيطرة عليها. وتعد مزار شريف عاصمة إحدى

المناطق الشمالية الأفغانية، علاوة على هذا كان أحد أسباب التنمية النسبية فى مزار الشريف عملية التنقيب واستخراج الغاز فى هذه النواحى، وخاصة فى شيبرغان.

البنية السياسية:

فى الوقت الحاضر ليست هناك بنية سياسية معينة للحكومة الأفغانية، إلا أنه منذ القدم يقوم نظام الحكومة على أساس الفيدرالية والقبلية، وكانت الحكومات فى الغالب تقيم علاقات طيبة مع رؤساء القبائل وزعمائها، وكان رؤساء القبائل وزعماؤها يؤيدون الحكام الذين يراعون مصالحهم.

وعندما ضعفت الحكومة المركزية ثارت القبائل على الحكومة المركزية، وكانت سيطرة الحكومة على الأقوام والقبائل تأخذ شكلين أو ثلاثة:

١- حكومة قائمة على القوة والقمع أو التهديد.

٢- حكومة قائمة على الترغيب.

٣- حكومة قائمة على أساس المزج بين الأسلوبين السابقين.

وتولى الحكومة زمام الأمر يكون بطريقة من ثلاث:

١- عن طريق الجدارة والقدرات الشخصية مثل أحمد خان.

٢- عن طريق الانقلاب.

٣- عن طريق مجلس الأعيان القبلى "لوية جركة".

وأحيانًا كانت تؤخذ بعض الحكومات إلى السلطة مثل حكومة داود خان، وتره كى، وكارمل عن طريق الانقلاب والقمع.

وأحيانًا كان يؤخذ برأى مجلس الأعيان القبلى إلى جانب استخدام الأساليب العسكرية ، مثلما حدث مع أحمد خان إبدالى.

وحتى الآن لم تنتخب حكومة واحدة فى أفغانستان. وحتى حكومة المجاهدين التى كانت ذات صبغة شعبية لم تكن تستند إلى أغلبية الأصوات، وكان تشكيل حكومة المجاهدين المؤقتة فى بيشاور بزعامة صبغت الله مجددى بعد خروج السوفييت من أفغانستان سنة ١٩٨٩م لا يحظى بمرجعية شعبية، بل إن هذه الحكومة لم تحظ بدعم المهاجرين الذين كانوا فى باكستان. كذلك أيضًا بعد سقوط حكومة نجيب الله فى أوائل سنة ١٣٧١ هـ. ش/ ١٩٩٢م تم تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية الأفغانية بزعامة صبغت الله مجددى لمدة شهرين، ثم تشكيل حكومة بزعامة برهان الدين ربانى لمدة أربعة أشهر دون الرجوع إلى الرأى العام، وفى الواقع تم اختيار ربانى لمدة عامين آخرين عن طريق مجلس الحل والعقد دون الرجوع إلى الرأى العام.

وكانت الحكومات تأخذ فى الغالب طابعا قوميا، فعلى سبيل المثال كانت الحكومات التى تعاقبت على أفغانستان منذ عهد سقوط نجيب الله كلها من البشتون، ما عدا حكومة نجيب الله بجه سقا. وهى المرة الوحيدة التى اشتركت فيها مختلف العرقيات الأفغانية فى الحكومة، وحتى تشكيل الحكومة بزعامة المجاهدين لم يكن هذا الاشتراك كاملاً، وكانت هناك مظاهر عنصرية كثيرة، ومع ذلك لم تتمكن مثل هذه الحكومات من إحراز أى نجاح ؛ لأن أى قبيلة أو طائفة كانت تنظر قبل أى شىء إلى مصالحها.

أحزاب المجاهدين:

يرجع ظهور الأحزاب فى أفغانستان إلى عقد الستينيات، ففى سنة ١٩٦٣م بعد أن نجح ظاهر شاه فى عزل داود خان من رئاسة الوزارة، وتولى هو زمام الأمر ، وهيأ الجو لنشاط حزبى محدود، وقد عمل مع إعداد وتدوين دستور ١٩٦٤م على تحويل البلاد إلى النظام الملكى النيابى. وفى ١٢مارس ١٩٤٦م كلف الدكتور يوسف بتشكيل الحكومة وكلف بإعداد دستور، وبعد تدوين الدستور عقدت أول انتخابات برلمانية سنة ١٩٦٥م.

ويعد الدكتور يوسف تعاقبت الحكومات الليبرالية في عهد ظاهر شاه الواحدة تلو الأخرى. وفي هذه الفترة حدث اضطراب إلى حد ما، وتهيأت الفرصة لتشكيل الأحزاب، وكان أحد الأحزاب التي تم تشكيلها في هذه الفترة الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني، وكان ذلك في أول يناير سنة ١٩٦٥م .

بدأ نشاط الجماعات الإسلامية بصورة منسجمة منذ سنة ١٣٤٢-١٣٤٣هـ. ش ؛ فتبلورت "حركة الشبان المسلمين الأفغانية" في الفترة ما بين سنة ١٣٤٣هـ.ش وسنة ١٣٤٨ هـ. ش تولى زعامة هذه الحركة عبد الرحيم نيازي، وكان من الذين تلقوا علومهم في الأزهر، وفي عهد ظاهر شاه تولى رئاسة جامعة كابل. وكان نيازي واحداً من أتباع جماعة الإخوان المسلمين في أفغانستان، وبعد أن كون حركة الشبان الأفغان تم اختيار برهان الدين رباني لخلافته، وكان معظم أعضاء الحركة في البداية من طلبة بلي تكنيك بكابل، وكان قلب الدين حكمتيار من بينهم.

وقامت الحركة بالنضال ضد ظاهر شاه ونظامه، واستعد ظاهر شاه أيضًا من جانبه لمواجهتهم، وساق زعماء الحركة إما إلى الإعدام وإما إلى السجن. وقتل عبد الرحيم نيازي سنة ١٩٧٠م على يد النظام. وبمقتله انتقلت زعامة الحركة إلى عناصر أكثر شباباً، ودب فيما بينهم الخلاف. وكان برهان الدين رباني وقلب الدين حكمتيار من كبار زعماء الحركة الذين دب بينهم الخلاف. وفي النهاية أعلن حكمتيار سنة ١٣٥٤ هـ. ش انفصاله عن الحركة، وأنشأ "الحزب الإسلامي الأفغاني". وأسس برهان الدين رباني حزباً جديداً تحت اسم "حزب الجمعية الإسلامية".

ومنذ سنة ١٣٥٤هـ. ش ازداد الضغط على جماعات المقاومة من جانب داود خان، وكان داود خان يعلم جيداً الأهداف السياسية لزعماء حركة الشبان الأفغانية وأقسامها ، فعمل على اعتقالهم، فهاجر الزعماء الواحد تلو الآخر إلى باكستان، وواصلوا نشاطهم من هناك.

واستمر الانفصال بين رباني وحكمتيار حتى سنة ١٣٥٧هـ. ش، أي إلى أن جثم النظام الشيوعي على أنفاس أفغانستان. وفي تلك السنة لم يكن هناك مفر أمام الاثنين

من الاتحاد، وتكوين حزب جديد يدعى "الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية". وللحيلولة دون وقوع الفرقة مرة ثانية تم اختيار أحد علماء الدين المحايدين إلى حد ما هو مولوى محمد نبى محمدى لزعامة الحركة. ومع تكوين حركة الثورة الإسلامية الأفغانية انضم إليها أفراد آخرون مشهورون منهم سيد أحمد كيلانى وصبغت الله مجددى وغيرهم. إلا أنه فى ذلك الوقت كون يونس خالص - بحجة أنه يوجد فى "الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية" عناصر عميلة - حزبه الإسلامى "الجماعة الخالصة"، وانفصل عن الحركة الثورية الإسلامية. بعد ذلك انفصل حكمتيار أيضًا بحجة وجود عناصر مشبوهة مؤيدة لظاهر شاه - كان يقصد كيلانى ومجددى - فى الحركة، وأعاد مرة ثانية نشاط الحزب الإسلامى "جماعة حكمتيار". وعقب انفصال خالص وحكمتيار انفصل ربانى أيضًا، وأعاد مرة ثانية تنشيط حزب الجمعية الإسلامية وتفعيله. وكون سيد أحمد كيلانى أيضًا جبهة محاذ الوطنية، وكون مجددى الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، وحافظ مولوى محمد نبى محمدى أيضًا على الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية تحت زعامته، ولا زالت باقية حتى اليوم.

ولأن الضرورة اقتضت ذلك ، فإن الأحزاب المذكورة اتحدت مرة ثانية فى سنة ١٣٥٨ هـ. ش، وكونت جبهة واحدة تحت اسم "الاتحاد الإسلامى لتحرير أفغانستان"، وخولت زعامة الاتحاد الجديد إلى "عبد الرسول سياف"، لكن انفرط عقد الاتحاد الجديد بعد فترة قصيرة، وأعاد زعماء الأحزاب الائتلافية نشاط أحزابهم مرة ثانية إلا أن حزب "الاتحاد الإسلامى" - الذى كان نتيجة لائتلاف الأحزاب - الأخرى بقى كما هو تحت زعامة أبى سياف.

وبعد الغزو السوفيتى ازدادت أحزاب المقاومة، ومنذ انقلاب ثور وما تلاه كانت بيشاور - نظرًا لقربها من أفغانستان وسهولة الحصول على الأخبار من داخل أفغانستان - بيئة مناسبة لنشاط أحزاب وجماعات المقاومة، وقد عملت الحكومة الباكستانية من أجل أن يكون نشاط هذه الجماعات أكثر اتحادًا وأكثر انسجامًا، وحتى تتمكن من تقديم دعمها ومساعدتها عملت على تقليص عدد هذه الجماعات،

ونتيجة لضغوط باكستان أصبح عدد الأحزاب الموجودة فى باكستان محدودا جدا، وانتهى الأمر بالاعتراف رسميا بسبعة أحزاب هى الأحزاب التالية :

١- حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى، بزعامة برهان الدين ربانى.

٢- الحزب الإسلامى الأفغانى، بزعامة قلب الدين حكمتيار.

٣- الحزب الإسلامى الأفغانى، بزعامة يونس خالص.

٤- الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، بزعامة صبغت الله مجددى.

٥- محاذ الوطنية الأفغانية، بزعامة سيد أحمد كيلانى.

٦- الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية، بزعامة مولوى محمد نبى محمدى.

٧- الاتحاد الإسلامى الأفغانى، بزعامة عبد الرسول سياف.

وفيما يلى تفصيل مختصر حول أهم الأحزاب المذكورة:

حزب الجمعية الإسلامية الأفغانى:

برهان الدين ربانى هو زعيم هذا الحزب الذى يتكون من الطاجيك وأهل الشمال من بدخشان. وكان ربانى خصماً عنيداً لحكمتيار. ولد سنة ١٩٤٠م فى فيض أباد، ونشأ مثل حكمتيار فى أسرة فقيرة، وكان معادياً للخانات وكبار الإقطاعيين. واهتم ربانى منذ الطفولة بالعلوم القديمة، ثم اجتاز فترة الدراسات العليا فى جامعة الأزهر. وهو صاحب مؤلفات عديدة. وترجم مقالات الإخوان المسلمين، وقد كان قبل عمليات النضال المسلح أستاذاً فى كلية الإلهيات بكابل.

يعتبر ربانى وحزب الجمعية الإسلامية فى فترة النضال المسلح جزءاً من الأحزاب الأصولية الراديكالية، ونظراً لأسباب سياسية تبنى أساليب ونظريات معتدلة فى مهر١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م. ويؤيد هذا الحزب تطبيق الشريعة الإسلامية.

وتتشابه أفكار رباني وحزب الجمعية الإسلامية إلى حد كبير مع أفكار الإخوان المسلمين لدرجة أنهم يعتبرونه فرعاً من الإخوان المسلمين فى مصر. وكانت علاقة هذا الحزب بمصر فى الماضى جيدة، وهذا الحزب حزب تجديدى.

وتنتشر أفكار حزب الجمعية الإسلامية في شمال شرق وشمال غرب ووسط أفغانستان، وخاصة بين الطاجيك، والمتحدثين باللغة الفارسية والأوزبك. وكانت إحدى مناطق النضال المهمة للحزب فى وادى بنجشير، ويقع هذا الوادى فى شمال شرق كابل، وهو لا يبعد كثيراً عن معبر سالتكس. ومعظم سكان هذا الوادى من العرق الطاجيكى. وكان أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان من القادة العسكريين المشهورين فى حزب الجمعية الإسلامية، وكانت منطقة نفوذ إسماعيل خان هى هراة، وكانت منطقة نفوذ أحمد شاه مسعود وادى بنجشير. وكان أحمد شاه مسعود أقدر وأشهر قائد عسكرى مجاهد فى فترة النضال ضد السوفييت.

الحزب الإسلامى الأفغانى [حزب حكمتيار]:

وكان قلب الدين حكمتيار زعيم هذا الحزب، وهو بشتونى من قبيلة خروقى، وينسب أيضًا إلى هذه القبيلة حفيظ الله أمين. كان حكمتيار طالبًا فى قسم الهندسة بجامعة كابل، ترك دروسه من أجل النشاط الحزبى. وبعد انفصاله عن حركة الشبان الأفغان أسس خلايا الحزب الإسلامى، وأصدر نشرة سنة ١٣٥٢هـ. ش تحت اسم الشهادة.

كان حكمتيار فارع القد نحيف القوام ، ذا عينين نافذتين ، يتأنى فى حديثه ، ويرتدى الزى البشتونى، ولم يكن الحزب الإسلامى منذ سنة ١٩٧٨م وحتى سنة ١٩٨٠م ذا تأثير كبير فى النضال ضد نظام كابل ، وربما كان من أسباب ذلك أن قوم حكمتيار كانوا مع أمين.

لقد كانت دعوة حكمتيار فى بدايتها قائمة على الدعوة إلى الهجرة – الهجرة من الأراضى التى لا يمكن اعتبارها أراضىَ إسلامية – وكانت ساحة نفوذ هذا الحزب

جماعة المهاجرين؛ لكن نظراً لتبنيه ممارسات متشددة متعنتة فقد مكانته السابقة. وقد كان حكمتيار منذ سنوات مضت يفكر في الاستيلاء على كابل، ومن ثم السيطرة على أفغانستان. وكان حزب حكمتيار الإسلامي واحداً من أقوى أحزاب المجاهدين، وأحد أسباب ذلك أنه قد تكونت "لجنة مساعدات خاصة بالأفغان" لتقسيم المساعدات بين الأحزاب، وكانت هذه اللجنة لا تسوِّي بين الأحزاب، وكانت تضع القسم الأكبر من المساعدات تحت تصرف حكمتيار، وكانت الأحزاب الأخرى تحصل على نصيب أقل، وسبب آخر وهو أن حكمتيار كان يملك القدرة على حشد قواته وتنظيمها.

حزب حركة الثورة الإسلامية:

تبلور هذا الحزب على أثر ائتلاف باقي الأحزاب الأخرى، وبعد انفصال هذه الأحزاب واصل هو مسيرته. ولد مولوي محمد نبي محمدي زعيم هذا الحزب في قبيلة من البشتون لأسرة متدينة سنة ١٩٢١م، وكان يعتبر من علماء الطراز الأول، كان قبل النضال المسلح يدير مدرسة دينية في ولاية لوكر. وفي فترة تولي داود خان حبس هذا الرجل في بيته، وقبل ١٥ يوماً من انقلاب "هفت ثور" توجه إلى باكستان، ودعا الناس إلى "الحرب المقدسة" ضد النظام.

وكان مولوي محمد نبي محمدي وحزب حركة الثورة الإسلامية من المعتدلين ولم تكن علاقته بالشيعة وإيران سيئة، وكان محمد فيما سبق عضواً بالبرلمان الأفغاني.

وتحت لواء هذا الحزب كانت تنضوي مجموعة من الشخصيات المشهورة التي كانت تعلن أحيانًا انفصالها عن الحزب، وأحيانًا أخرى كانت تعلن انضمامها إليه، ومن بين هؤلاء الأفراد:

١- مولوي نصر الله منصور، الذي كان زعيم حركة الثورة الإسلامية جماعة منصور"، وكانت جماعة منصور ضعيفة التأثير، وكانت علاقتها بإيران والشيعة طيبة إلى حد ما، وكان محمد أمين فروتن نائب مولوي منصور ضمن هذه الخلايا.

٢- مولوي رفيع الله مؤذن: زعيم حركة الثورة الإسلامية "جماعة مؤذن"، وكانت علاقة مؤذن بإيران والشيعة طيبة.

وبعد فترة اتحد محمد على نبى محمدى ومولوى نصر الله، ومولوى مؤذن مرة أخرى، وواصل الثلاثة نشاطهم تحت عنوان الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية، وخُوِّلت زعامة الاتحاد الجديد لمولوى محمد نبى محمدى، وكان كل من نصر الله ومؤذن يمثلان نائبى الزعيم، ومع هذا لم تستمر هذه الوحدة طويلاً.

حزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى:

درس عبد الرسول سياف زعيم حزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى فى جامعة الأزهر، وكان فيما سبق أستاذاً بجامعة كابل، ولأنه كان يتعاون مع الحركات الإسلامية الأفغانية فقد سجن مع عدد من زعماء النضال الإسلامى، وبعد تولى كارمل زمام الأمر تم الإفراج عنه، وهاجر إلى باكستان.

كان سياف يجيد التحدث باللغة العربية، وعلاوة على باكستان كانت له علاقات وطيدة مع السعودية. ولم يكن لسياف وحزب الاتحاد الإسلامى نفوذ كبير فى أفغانستان، إلا أنه نظراً للمساعدات التى كان يتلقاها من السعودية استطاع أن يخلق له مكانة.

كان سياف متأثراً بالأفكار الوهابية، ولهذا غير اسمه من عبد الرسول إلى عبد رب الرسول، وكان يعد أصولياً راديكالياً.

كان سياف بشتونى الأصل، وكانت ساحة نفوذه هى البشتون، وكانت علاقة سياف وحزبه بإيران من أسوأ ما يمكن. وفى صيف ١٣٧١هـ. ش حيث انتشرت حرب المجاهدين فى كابل هاجم سياف وحزبه المناطق التى تقطنها الشيعة وحزب الوحدة الإسلامية الأفغانى ، وأسفر هذا الهجوم عن خسائر فادحة.

الحزب الإسلامى الأفغانى [حزب يونس]:

ولد يونس خالص زعيم الحزب الإسلامى الأصولى الراديكالى سنة ١٩١٩م. وهو بشتونى الأصل، من أقوام خوجيانى وننكرهار، أمضى دراسته فى أفغانستان والهند،

وكان يونس خالص فيما قبل معلمًا للعلوم الشرعية فى المدارس الثانوية بأفغانستان. ولم يكن عدد أفراد حزبه بالكثير، إلا أنهم كانوا يتمتعون بمعنويات عالية. وترجع شهرة يونس إلى نظم الشعر، وكانت أول نشرية له مجلة شهرية تحت اسم "رسالة الحق"، ثم نشر جريدة تحت اسم "ورنك". وبعد انقلاب داود خان قتل ابنه على يد عملاء داود خان. وفى سنة ١٩٧٥م انتقل إلى باكستان، وانشغل بنظم الشعر. وفى سنة ١٩٧٨م بدأ تدريجيًا النضال المسلح ضد الشيوعيين.

وكان يونس خالص فى السابق متحداً مع حكمتيار، لكن نظراً لممارسات حكمتيار الفردية والسلطوية انفصل يونس وأعلن أن الحزب الإسلامى الأساسى هو جبهته. وفى فتره جهاده المسلح كان يقضى معظم أوقاته فى أفغانستان. وكان يحارب من أجل تحرير البشتون فى نواحى ننكرهار وجلال أباد. وكان الجزء الأكبر من منطقة نفوذه تقع فى مناطق ننكرهار وبكتيا، وقد انضم جلال الدين حقانى نظراً لأسباب عرقية إلى يونس خالص، وكان معه قائد مشهور آخر هو عبد الحق. وإضافة إلى أن يونس كانت له علاقات بباكستان كانت تربطه أيضاً علاقات بالسعودية، وكان يتمتع بدعمها، ولم تكن له علاقات بإيران والشيعة.

حزب جبهة التحرير الوطنية:

ولد صبغت الله مجددى زعيم هذا الحزب سنة ١٩٢٥م فى أسرة متدينة ذات نفوذ. قضى فترة دراسته فى جامعة الأزهر بمصر، وحصل على درجة الدكتوراه من قسم الشريعة الإسلامية، وكان أستاذاً بجامعة كابل لفترة من الوقت. كان مجددى حفيد "شيخ المشايخ" الزعيم الدينى السابق فى أفغانستان، وقد تربى على يد شيخ المشايخ رجال دين عظام.

وكان مجددى قد كون جمعية العلماء المحمدية قبل أن يكون جبهة الإنقاذ الوطنية، وناضل ضد النظام وسجن لفترات طويلة. وفى سنة ١٩٥٩م تم اقتياده إلى السجن بتهمة قتل خروجشجف، وظل فى السجن لمدة أربع سنوات وسبعة أشهر دون محاكمة، وفى سنة ١٩٧٣م أطلق سراحه بعد تولى داود خان، فترك أفغانستان هو

وأسرته، وفى البداية توجه إلى السعودية ثم كوبنهاجن، وبعد انقلاب "هفت" ثور توجه إلى بيشاور، وهناك أسس جبهة التحرير الوطنية، وفى بيشاور اغتيل ابنه عظيم الله وهو فى سن الثالثة والعشرين سنة ١٩٨١م.

ومجددى من خلفاء الصوفية العظام، وتربطه علاقات أسرية بالطريقة النقشبندية وسادتها. وكان وجود مجددى فى جبهة المناضلين باعثًا على الثقة بالنفس بين صفوف المجاهدين.

وكان مجددى أيضًا متصلاً بالأسرة الملكية، فكان شخصًا معتدلاً، وقد طالب بالعودة إلى الوضع السابق، وكان معظم أتباعه من البشتون والمقيمين فى جنوب البلاد، وخاصة أتباع النقشبندية، فكان مجددى بشتونيًا معتدلاً، تربطه علاقات طيبة بإيران والشيعة.

حزب محاذ الوطنى الأفغانى:

كان سيد أحمد كيلانى هو زعيم هذا الحزب، وهو من البشتون الأفغان المعتدلين، ويرجع نسبه فى الماضى إلى البشتون الرُّحَّل، ويعتبر فى الأصل من العراقيين الذين هاجروا إلى الهند، والجزء الأكبر من ساحة نفوذهم الدرانيون.

وأسرة كيلانى أسرة عريقة ، ويشهد بهذا سمته الشخصىّ ؛ فهو ملتح يرتدى بدلة مخملية أو صوفية. وأعوانه المقربون منه على درجة من حسن المظهر والنظافة. ويتصل كيلانى بالأسرة الملكية لظاهر شاه، وكان يعد واحداً من مستشارى ظاهر شاه غير الرسميين، و يبلغ من العمر ستةً وأربعين عامًا ، وكان ثريًا حصل على توكيل سيارات بيجو فى أفغانستان. وفى الداخل أيضًا كانت له مصادر أخرى، فهو من مصدرى جلد الغزال. وقد كان كيلانى من أنصار عودة ظاهر شاه، وبعد سقوط حكومة نجيب الله كان يرى أن الحكومة المناسبة لأفغانستان هى عودة ظاهر شاه إلى الحكم، إلا أنه كان مؤيداً لحكومة من جنس الديمقراطية الغربية.

وكيلانى من الليبراليين القوميين، سافر إلى مناطق كثيرة من العالم، وله وجهات نظر معتدلة ، وكان على علاقة طيبة بإيران والشيعة .

كان كيلانى آخر زعماء الفرقة القادرية فى أفغانستان، وكثيرًا ما يعيش القادريون فى قندهار، وردك، وبكتيا. وكان وجود كيلانى فى الجهاد باعثًا أيضًا على الثقة بالنفس فى صفوف المجاهدين.

كان كيلانى يتحدث بعدة لغات حية، وكانت ابنته فاطمة قد تخرجت فى جامعة طهران، كما كانت واقفة على السياسة الأفغانية، وتعد واحدة من المثقفات الأفغانيات. وكانت علاقة كيلانى بالجماعات الشعبية تتم عن طريق خانات ورؤساء القبائل، وقبل الحرب والنضال كانت علاقته تتم بهذا الشكل أيضًا . وقليلاً ما كان يهتم بتربية الأتباع.

فر كيلانى إلى باكستان بعد ستة أشهر من الانقلاب الشيوعى. وفى بداية سنة ١٩٧٩م كون خلاياه العسكرية وأعلن عن وجوده.

الأحزاب الشيعية:

بدأ نشاط الأحزاب والجماعات المناضلة الشيعية جنبًا إلى جنب مع الأحزاب والجماعات الأخرى. وكان من السباقين فى النضال الشيعى الأفغانى الشهيد بلخى الذى قضى ما يقرب من ثلاثين سنة من عمره فى السجن، وفى النهاية تم إعدامه. بدأ الشهيد بلخى نشاطه منذ القرن العشرين الميلادى. ومنذ ذلك الوقت بدأ النضال السياسى - العسكرى يأخذ شكلاً أكثر انسجامًا، وبعد إعدام الشهيد بلخى استمرت حركات النضال الشيعى، وظهرت أحزاب وجماعات مختلفة.

منظمة نصر أفغانستان:

كانت "منظمة نصر أفغانستان" أقدم جماعة أعلنت عن وجودها، وكانت زعامة نصر عبارة عن مجلس، وكانت ذات نفوذ واسع فى مناطق الهزاره وهراة والجنوب

الغربى من أفغانستان. وقد بدأ نشاط هذه المنظمة منذ سنة ١٩٦٩م، أما نشاطها السياسى - العسكرى المسلح فقد بدأ منذ ١٣٥٨ هـ. ش، وقد بدأت إصدار نشرياتها من قبيل "رسالة المظلومين" و "رسالة الدم" و "رسالة أصحاب الأخدود" بعد انقلاب هفت ثور.

وقد بدأت الأحزاب والجماعات الأخرى الشيعية نشاطها بشكل تدريجى منذ ١٣٤٠هـ. ش، وبعد انقلاب هفت ثور أعادت الأحزاب والجماعات الشيعية تنظيم نفسها، وأخذت مكانها فى مختلف أنحاء باكستان، ومن أشهر الجماعات الأولى التى يمكن ذكرها "الحركة الإسلامية الأفغانية" بزعامة آية الله آصف محسنى، و"مجلس الاتحاد" بزعامة سيد على بهشتى، و"النهضة الإسلامية" بزعامة افتخارى، و"الدين والشباب" بزعامة نقوى وغيرها .

جبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية:

اتحدت الأحزاب الشيعية وكونت "جبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية" فى شتاء سنة ١٣٥٨هـ. ش، وكانت الأحزاب المتحدة والمكونة "لجبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية" عبارة عن :

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- الحركة الإسلامية الأفغانية.

٣- منظمة مجاهدى خلق الأفغانية.

٤- الدعوة الإسلامية الأفغانية.

٥- حركة المستضعفين الأفغان.

٦- منظمة رعد الإسلامية الأفغانية.

٧- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٨- الدين والشباب الأفغان.

٩- مجلس الاتحاد الإسلامى الأفغانى.

١٠- القوة الإسلامية الأفغانية.

وكانت هذه الجبهة تنشر أفكارها فى نشرية تحت اسم عاشوراء، إلا أنها لم تستمر طويلاً وانحلت بعد فترة.

الائتلاف الرباعى:

فى سنة ١٣٦٤هـ. ش كونت الأحزاب التالية ائتلافاً رباعياً:

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- حراس الجهاد الإسلامى الأفغانى.

٣- الجبهة المتحدة للثورة الإسلامية الأفغانية.

٤- النهضة الإسلامية الأفغانية.

وقد كونت هذه الأحزاب بعد الاتحاد ما أطلق عليه "المنظمات المؤتلفة"، وكان عبد العلى مزارى متحدثاً باسمها، لكن هذه المنظمة المؤتلفة انحلت بعد فترة.

المجلس الائتلافى الإسلامى الأفغانى:

كان المجلس الائتلافى الإسلامى الأفغانى بالمقارنة بباقى التنظيمات الأخرى أطول عمراً. وقد تأسس فى شتاء ١٣٦٥هـ. ش، وأعلن عن وجوده سنة ١٣٦٦هـ. ش، وكانت الأحزاب المكونة للمجلس الائتلافى عبارة عن :

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- الحزب الاتحادى الثورى الإسلامى الأفغانى.

٣- حزب الله الأفغانى.

٤- الحركة الإسلامية الأفغانية.

٥- حراس الجهاد الإسلامى الأفغانى.

٦- منظمة القوى الإسلامية الأفغانية.

٧- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٨- الدعوة الإسلامية الأفغانية.

وقد اشتهر هذا المجلس بـ "الائتلاف الثمانى". وبعد فترة انضم "مجلس الاتحاد الإسلامى الأفغانى" أيضًا إلى هذا الائتلاف، وأصبح الائتلاف "تساعيا". وكانت أهداف المجلس عبارة عن إيجاد الوحدة الكاملة، والحيلولة دون اندلاع الاشتباكات والنزاعات الداخلية، ودعم النضال، وتم الاتفاق على أن يمتنع أعضاء المجلس عن التشنيع على بعضهم البعض، وأن يسمح لكل واحد أن يعمل فى ساحة نشاطه بحرية، وجاء فى اللائحة التأسيسية ما يلى: "الحيلولة دون وقوع النزاعات الداخلية، والعمل على عدم اصطدام القوات ببعضها وتوجيهها نحو العدو المحتل والنظام العميل، وتوحيد كل الأنشطة للوصول إلى الوحدة الكاملة بين التنظيمات الشيعية الأفغانية"، وكان خليلى وزاهدى متحدثين باسم المجلس.

حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى:

قطعت الحركة السياسية - العسكرية الشيعية مرحلة تطور كامل، وعلى الرغم من أنه كانت تكتنف المجلس الائتلافى بعض مظاهر النقص؛ فإنه أحرز نجاحات طيبة، كان أحد هذه النجاحات أن أدى المجلس الائتلافى إلى تشكيل "حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى" فى سنة ١٣٦٨هـ. ش/ ١٩٨٩م الذى أدى إلى إضعاف المجلس

الائتلافى، ومن هذه النجاحات أيضًا تجميع الزعماء السياسيين والمجاهدين وكل الغيورين على الشيعة فى أفغانستان. ولتعميق الصلات وقعوا "ميثاق الوحدة" فى تيرماه ١٣٦٨ هـ. ش/ ١٩٨٩م، وقد هيأ ميثاق الوحدة المجال أمام "حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى". ونظراً لأهمية ميثاق الوحدة سنورد متن هذا الميثاق، حتى يتضح الأساس الذى قام عليه حزب الوحدة الإسلامى.

متن ميثاق الوحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

من البديهى أن الأمة الأفغانية الرشيدة قد سطرت على مدى التاريخ العديد من الملاحم، وحملت لواء جهادها المضمخ بالدم للدفاع عن الإسلام واستقلال البلاد، وقدمت لذلك دماءها الذكية.

١- دعم واستمرار النضال من أجل إقامة حكم إسلامى قائم على الكتاب والسنة ومبدأ ولاية الفقيه.

٢- العمل على اجتذاب القوات الشيعية التى هى خارج إطار الاتحاد.

٣- السعى للوصول إلى الوحدة مع الفصائل الإسلامية السنية.

٤- العمل فوراً على القضاء على التوتر الكائن، والحيلولة دون وقوع توتر محتمل، وتأمين حرية الشعب وأمنه فى إطار القوانين الإسلامية والمصالح العامة.

٥- السعى بجد للحيلولة دون وقوع أى عمل مناف للوحدة، والاعتماد على روابط الأخوة القديمة.

٦- النضال الجاد ضد الأفكار الإلحادية.

٧- إلغاء أى نوع من المحادثات السرية والعلنية مع نظام كابل العميل، وتشديد العمليات الجهادية ضده حتى الإطاحة به.

٨- تعبئة كل القوى العسكرية على خطوط الجبهات الأمامية بغرض الإسراع بإسقاط نظام كابل العميل.

٩- العمل على تأمين العدالة الاجتماعية القائمة على الأحكام الإسلامية، مع الاعتراف رسميا بالمذاهب الجعفرية والحنفية التى تتبعها كافة طبقات المجتمع دون أدنى تفرقة.

١٠- العمل على الحفاظ على استقلال البلاد وسيادتها والتضامن الوطنى فى أفغانستان، ومكافحة الحركات الانفصالية بكافة أشكالها.

١١- تحديد مصير الشعب الأفغانى عن طريق الأمة الأفغانية والمجاهدين، ورفض أى تدخل أجنبى.

١٢- إقامة علاقات ودية مع كل الدول الإسلامية ومناضلة الاستعمار.

١٣- التضامن مع الحركات الإسلامية التحررية على مستوى العالم.

١٤- تبنى مواقف سياسية إزاء التكتلات والأقطاب الاستكبارية على أساس لا شرقية ولا غربية، وشجب السيطرة والتسلط.

١٥- تشكيل مجلس مركزى اتحادى، وتحديد مقره الفعلى فى المدينة العريقة المحررة باميان.

١٦- طرح مسميات التنظيمات جانباً بعد تشكيل تيار سياسى واحد تحت عنوان وشعار واحد، وتدوين لائحة تأسيسية.

١٧- اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة إعمار البلاد، والاستفادة من الذخائر والركائز والثروات الطبيعية لتحسين الوضع الاقتصادى، والعمل على رفاهية الشعب.

١٨- العمل على تهيئة الجو والإمكانيات اللازمة للتنمية العلمية والفكرية لدى آحاد الأمة الأفغانية.

١٩- تخويل الأمر لأهل الخبرة والثقة.

٢٠- تعهد كل المسئولين والموقعين على ميثاق الوحدة بحماية حرمة دم الشهداء الأفغان، وأن يعملوا على تحقيق وتنفيذ كل المواد السابقة، وألاَّ يعودوا مرة ثانية إلى أحزابهم القديمة.

الموقعون على هذا الميثاق:

من جانب منظمة نصر: أستاذ صادقي، ومزاري، وحكيمي، ونويد، وسجادي، وهادي، وواحدي.

من جانب الحركة الإسلامية : هادي، وفياض، وأنوري، وعصمت إلهي، ورضواني، ومدرسي.

من جانب حراس الجهاد الإسلامي: أكبري، ورضواني، وفكرت، وغفوري، وواعظي.

من جانب الجبهة الاتحادية الثورية الإسلامية: رضايي، وأحمدي.

من جانب منظمة القوى الإسلامية: قائمة، وحسيني، وجوادي.

ولم يكن هناك منذوب عن حزب الله، وقد ناب عن الدعوة الإسلامية سعيدي نهضت.

وفي البداية تم دمج سبعة أحزاب في بعضها، وتم تشكيل "حزب الوحدة الإسلامي الأفغاني" في سنة ١٣٦٨هـ. ش، وكانت هذه الأحزاب السبعة هي:

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٣- حراس الجهاد الإسلامي الأفغاني.

٤- حزب الدعوة الإسلامى الأفغانى.

٥- القوى الإسلامية الأفغانية.

٦- المجلس الاتحادى الإسلامى الأفغانى.

٧- الجبهة الاتحادية الثورية الإسلامية الأفغانية.

وفى مردار سنة ١٣٦٩هـ. ش أعلن المتحدث باسم المجلس الائتلافى حل المجلس، وفى شهر يور ١٣٦٩هـ. ش تم الاتفاق على إيقاف كافة أنشطة عناصر المجلس الائتلافى ومكاتبها، وأن يحل محله حزب الوحدة الإسلامى.

بعد تشكيل حزب الوحدة أعلنت بعض الجماعات التى انضمت إلى حزب الوحدة ائتلافها مع عدد من الأشخاص الذين كانوا خارج المجلس الائتلافى، ونقلوا مكتب المجلس الائتلافى من طهران إلى بيشاور ، وبالفعل تم الترويج لهذا الأمر فى بيشاور لفترة. ولكن لم يقع هذا الأمر، وانضم هؤلاء الأفراد تدريجيا إلى حزب الوحدة.

يقع مركز حزب الوحدة الإسلامى فى باميان، وسكرتيره فى الوقت الحاضر - صيف ١٣٧٣ هـ. ش - عبد العلى مزارى.

ومن أشهر الأحزاب التى لم تنضم إلى حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى حزبان أحدهما حزب الله والآخر الحركة الإسلامية الأفغانية.

حزب الله:

الساحة الأساسية لنشاط حزب الله هى هراة، ومعظم سكان هذه المنطقة من السنة، ولذا لم يكن نطاق ساحة نشاط حزب الله واسعًا. كان زعيم حزب الله هو "قارى أحمد" الذى كانت له جماعة مشهورة. ويهتم حزب الله بالناحية العسكرية أكثر من الناحية السياسية. ويرجع ظهور حزب الله إلى سنة ١٣٦٠هـ. ش، حيث سعى فى تكوينه قارى أحمد بالتعاون مع فقير أحمد، وعلاوة على نشاط حزب الله فى هراة فإن له أنشطة فى ولايات أخرى . انضم حزب الله فى مهر ١٣٧١هـ. ش إلى حزب الوحدة الإسلامى.

الحركة الإسلامية الأفغانية:

قام آية الله آصف محسنى زعيم حزب الحركة الإسلامية الأفغانية، بعد أن عاد من سوريا فى بداية سنة ١٣٥٨هـ. ش بتشكيل هذا الحزب، ودمج الجماعات الصغيرة مثل الدفاع عن المحراب، والأمة والتشيع، والقرآن والعزة، والدين والنضال، ومنظمة الحرية، ونداء العدالة، والمهاجرين، لتكون الحركة الإسلامية الأفغانية.

وآصف محسنى هذا من أهالى قندهار، وليس من الهزاره فى الأساس، أكثر أتباعه من القزلباش والهزاره والبشتون الشيعة، إلا أن حزبه فى البداية قد ترسخت دعائمه بين جماعات الهزاره.

كان محسنى منذ ١٩٧٣م يعيش منفيا فى إيران، وقد ذاع صيته خلال أحداث الثورة الإسلامية الإيرانية، وقد تقارب فى فكره القومى وأفكاره الكلاسيكية مع وجهات نظر الدكتور على شريعتى.

كان محسنى من تلامذة آية الله العظمى خويى، وبعد وفاة آية الله حكيم كان ميالاً إلى مرجعية آية الله العظمى خويى، وهو من المعتدلين. وفى فترة سيطرة المجاهدين على كابل في عهد مجددى وربانى كان متحدثًا باسم مجلس زعامة أفغانستان. وكان فصيحًا لبقًا يملك التأثير فى مستمعيه.

إن ما تم عرضه بخصوص أحزاب الشيعة والسنة والمجاهدين فى أفغانستان يشمل أهم الأحزاب والفصائل الأفغانية وأشهرها. لأن هناك عدداً من الأحزاب الصغيرة قليلة الأهمية والمحلية تخرج عن حد الحصر والدراسة، وهى لا تستطيع أن تلعب دورا مهما فى تغيير الأوضاع فى حالة تفككها وعدم اتحادها، لكن فى حالة اتحادها من الممكن أن يكون لها دور كبير فى ظهور أفغانستان الجديدة.

الأحزاب غير الإسلامية:

ليس هناك تاريخ واضح محدد للأحزاب الاشتراكية غير الدينية فى أفغانستان، ونتيجة عملهم ليست واضحة إلى حد كبير، ومن بين هذه الأحزاب، الحزب الديمقراطى

الشعبى الأفغانى، وهو صاحب تاريخ أكثر وضوحاً، وقد تم تغيير اسم هذا الحزب بعد المؤتمر الثانى سنة ١٣٦٩هـ. ش إلى حزب الوطن. وفى سنة ١٣٧١هـ. ش تم حل هذا الحزب عن طريق حكومة المجاهدين بكابل.

وتوجد أحزاب أخرى غير الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى لها اسمها وشعارها منها "شعلة الخلود"، و"الاضطهاد الوطنى"، و"ساما" وغيرها .

كانت ساما "منظمة التحرير الشعبية الأفغانية" من المنظمات المعارضة للاتحاد السوفيتى، وقد تزامن تأسيسها مع تبلور عدة منظمات اشتراكية أخرى، وكانت هذه المنظمة تتبع خط مائو، وكان السوفييت يطلقون عليها اسم الاشتراكية الإمبريالية. وقد تأسس هذا الحزب فى عهد ظاهر شاه، وتولى زعامته فى البداية عبد المجيد كلكانى الذى قتل سنة ١٣٥٩هـ. ش على يد عملاء الروس والحكومة الأفغانية. وبعد عبد المجيد تولى زعامة "ساما" أخوه عبد القيوم كلكانى، وقد درس البروفسور عبد القيوم فى الأزهر وألمانيا، وقد اغتيل عبد القيوم أيضاً سنة ١٣٦٨هـ. ش/يناير ١٩٩٠م بالقرب من بيشاور، وبعده تم تخويل زعامة ساما إلى مجلس قيادى ، وبعد اغتيال عبد القيوم تم إعدام عدد من زعماء ساما.

وكانت ساما على عداء مع نظام كابل الشيوعى الموالى لروسيا، وكانت على عداء مع الأصوليين أيضاً.

شعلة الخلود(*) :

انفصل هذا الحزب عن ساما، وهو يقوم على الفكر والأيديولوجية الماوية الموالية للصين. وتختلف شعلة الخلود مع البشتونية والسيطرة البشتونية، كما تختلف أيضاً مع

(*) وهذه الحركة كانت تهدف فى المسائل الدولية إلى إخراج جيش سلام الولايات المتحدة من أفغانستان، وكان هذا الجيش عبارة عن عدد من الرجال والنساء الأمريكيين الذين كانوا يعملون فى المستشفيات والقرى والمؤسسات الصحية والاجتماعية ، وكانت تكاليفهم تدفع من بلادهم. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية، ترجمة عفاف زيدان، صـ ٤٧٢ . (المترجم)

الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى سواء فى جناح الشعب أو فى جناح الراية. ولم تكن الحركة الماوية وليدة الانفصال عن الحزب الشيوعى، وترجع بدايتها إلى سنة ١٩٦٥م، حيث قام بتأسيسها الدكتور رحيم محمودى، وكانت ساحة نشاط هذا الحزب المحافل الجامعية، وخاصة كلية الطب. وقد انضم إليه عدد كبير من الطلاب خلال سنوات ١٩٦٥ - ١٩٧٠م.

ومعظم أتباع شعلة الخلود من غير البشتون، وقد اشتبك أفراد هذا الحزب مع جناح الراية و الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى، مما أدى إلى هزيمتهم، وكانت جريدة هذا الحزب تسمى أيضًا "شعلة الخلود".

الاضطهاد الوطنى:

انفصل حزب الاضطهاد الوطنى عن منظمة ساما أيضًا، وكان ذا توجهات ماوية أيضًا. تم تأسيس هذا الحزب على يد طاهر بدخشانى، وكان معظم أتباعه من الطاجيك. وكان هذا الحزب يعارض النزعة البشتونية، ومن المؤكد أن طاهر بدخشتانى كان من مؤسسى الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى وعضو لجنته المركزية. وكان قد انفصل عن هذا الحزب فى أواخر عقد الستينيات وهو معروف بتبنيه للأيديولوجية الماوية. كانت ساحة نشاط حزب الاضطهاد الوطنى فى بدخشان وبنجشير. وفى أوائل الثمانينيات عمل نظام كابل على استئصال شأفة حزب الاضطهاد الوطنى بحجة أنه حزب خارج من عباءة الماوية، وعلى أثر ذلك وهن الحزب وقلت أهميته.

وعلاوة على هذه الأحزاب يمكن ذكر أحزاب أخرى لم يكن لها أى دور عملى مهم. وبعد المؤتمر الثانى للحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى، وطبقًا لما قاله نجيب فإنه قد تم الاعتراف رسميا بعشرة أحزاب سياسية فى أفغانستان، إلا أن نشاط الفصائل والأحزاب المذكورة كانت تغلب عليها الصبغة الدعائية، وها هى أسماء بعض هذه الأحزاب:

- حزب العمال.

- سزا: منظمة كادحى "أفغانستان".

- سازا: المنظمة الثورية لكادحى "أفغانستان".

- الجمعية الوطنية.

وكان هذان الحزبان الأخيران يتعاملان مع نظام كابل. وكانت الأحزاب التالية أيضاً تتعامل مع نجيب الله ، ومشهورة بالانحياز للصين:

- سپكى.

- ساجا.

- رسپهنزا.

النظام الانتخابى:

حتى الآن لم تشهد أفغانستان انتخابا عاما فى اختيار رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة إلا فى عدد من الدورات الانتخابية لاختيار أعضاء البرلمان.

كانت عملية اختيار رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية أو الملك تقع فى الأساس على عاتق مجلس الأعيان القبلى، وكان هذا المجلس يقوم باختيارهم أو تأييدهم.

النظام الدفاعى:

كانت حالة القوات المسلحة الأفغانية حتى نهاية سنة ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م كما يلى:

يبلغ العدد الفعلى للقوات المسلحة ٤٥٠٠٠ جندى تنقسم إلى ٤٠٠٠٠ قوات برية وخمسة آلاف قوات جوية، هذا وتعد أفغانستان من الدول الحبيسة التى لا تطل على شواطئ، ولذا فهى لا تملك قوات بحرية.

يمثل الجنود عصب الجيش والقوات الدفاعية الأفغانية، ويتم تجنيد القوات من سن ١٥ إلى ٤٠ سنة، مدة الخدمة العسكرية سنتان، وإذا ما اقتضت الضرورة فإنها تصبح ثلاث سنوات، وأحياناً يضاف إليها سنتان أخريان، وسن قوات الاحتياط يبدأ من عشرين حتى أربعين عاماً.

القوات البرية:

وحالة القوات البرية على النحو التالى :

خمسة ألوية CroPS HQ.

ستة عشر لواء مشاة عسكرى .

خمس كتائب مشاة جبلى "حرس خاص" .

عدد واحد كتيبة مدفعية.

عدد خمس كتائب "كُماندوز"

عدد كتيبة مظلات.

تجهيزات القوات البرية:

تحتوى القوات البرية على ثمانمائة دبابة مدرعة ثقيلة، عدد خمسمائة من نوع تى ٥٢ -٥٥، وعدد ثلاثمائة من نوع تى ٦٢٠، وعدد ستين دبابة خفيفة من نوع بى تى ٧٦

الرادارات: عدد خمسة وسبعين من نوع بى أر دى إم ١-٢

ناقلات جنود مدرعة: عدد ٨٥٠ من نوع بى تى آر ت ٣٠ و٦٠ و٧ و٨٠ و١٥٢وعجج٤٠٠ من نوع بى إم آر ١ - ٢ .

المدفعية ذاتية الحركة: وتشمل أكثر من ٢٠٠٠ آلة من نوع ٧٦ و ٨٥ و١٠٠ و ١٢٢ و١٣٠ و١٥٢ ملليمتر.

صواريخ قاذفة: من نوع١٢٢ملليمتر بى إم و٢١ ١٤٠و١٤و٢٢٠ملليمتر بى إم ٢٢

مدافع الهاون: أكثر من ألف آلة من نوع ٨٣و٣٧و١٠٧و١٢٠و١٠٠ إم٤٢ملليمتر.

صواريخ أرض أرض: وتشمل عشرة صواريخ من نوع سكاد واثنى عشر من نوع سكوى فراك ٧ .

الأسلحة (البنادق الآلية) المضادة للدبابات، وهى من نوع اسنابير اى تى وساكرلى تى ٣ .

المدفعية الثابتة: وهى من نوع٧٣ ملليمتر إس بى حى. ٩ و٨٢ ملليمتر بى١٠

الدفاع الجوى: وبه أكثر من٦٠٠ من نوع١٢,٥ ملليمتر و ٢٣ ملليمتر و ٣٧ ملليمتر و ٥٧ ملليمتر و ٨٥ ملليمتر و١٠٠ ملليمتر.

صواريخ أرض جو : من نوع سام ٧ وسام ٩

القوات الجوية:

ويبلغ عدد أفراد القوات الجوية ٥٠٠ فرد، كما يبلغ احتياطيها ١٢٠٠٠ فرد، وقدراتها على النحو التالي:

طائرات مقاتلة قاذفة وتحتوى على تسعة أسراب، تشمل سربين من نوع ميج ٢٣

وعدد سبعة أسراب مكونة من سوخوى ٧ وسوخوى ١٧و٢٢

طائرات قتالية وبهل سبعة أسراب مكونة من١٠٠ميج٢١ ف.

هليكوبتر حربية وتحوى ثمانية أسراب مكونة من ٢٥ ميج٨ و٣٥ ميج١٧ و٣٠ ميج٢٥

الطائرات الرادارية وهى واحدة من نوع أنتونوف -٣٠ .

النقل الجوى: ويحوى ثلاثة أسراب تشمل:

سـرب فـى أى بى (vip)، مـع عدد عشر طائرات من نوع إيليوشن، و ١٨ من نوع إيليوشن دى.

ويحتوى السرب الثاني على عدد عشر من نوع إنتونوف ٢ وعشر من إنتونوف ٢٦، وبضعة من إنتونوف ٣٢ واثنتى عشرة طائرة هليكوبتر نقل من نوع مى ٤ .

الطائرات التـعليـمـيـة وهى خـمس وثلاثون من نوع البـاتروس -٣٩ صنـع دولة تشيكوسلوفاكيا، وثمانى عشرة من نوع ميج ٢١ .

صواريخ جو جو من نوع أى أى٢

الدفـا ع الجوى: ويشـمل لواء دفـا ع جوى يشـمل ثلاث كـتـائب سـام ـ٢(كل واحدة منها تتكون من ثلاث سـرايا)، وعدد١١٥ سـام٢، وعدد١١٠ سـام٣، وكـتيبـة دفـا ع جوى وتتكون من ثلاث سـرايا وتحـوى بنادق ٣٧و ٨٥ و١٠٠ ملليمـتـر. كـمـا يـوجد كـتـيـبـة رادارية تتكون من ثلاث فصائل.

القوات شبه النظامية (الميليشيات العسكرية) :

حرس الحدود (تحت رقابة الجيش)، ويتكون من ٣٠,٠٠٠، ويشمل عشر كتائب.

وزارة الداخلية (البوليس السرى)، ويبلغ قوامها ١٢,٠٠٠ تقريبا.

قوات الميليشيات ويبلغ قوامها ٦٠,٠٠٠ فرد.

قوات الداخلية ويبلغ قوامها ١٢,٠٠٠ فرد.

عدد قوات فصائل المجاهدين :

ليس مـعلومـا على وجه الدقة عدد قوات المجاهدين، وكانت أعداد قوات الفصـائل والأحـزاب المقاتلة كبيرة جدا، وبعضـهـا معلوم رسـميـا وكثيرها مـجـهول. كـمـا أن عدد

أفراد الأحزاب والفصائل ليس محدداً على الوجه السليم؛ لأن الإحصائيات فى أفغانستان ناقصة جدا؛ لأنها مرتبطة بأشهر فصائل المجاهدين ومتعلقة بسنوات سابقة أيضا، وتستمد مصادرها من منابع خارجية، فحزب مثل حزب الوحدة الإسلامى رغم شهرته لم يأت فيها.

الفصائل السنية

جبهة الإنقاذ الوطنى الأفغانى، وعددها تقريبا ١٥٠٠٠ فرد برئاسة صبغت الله مجددى.

حزب محاذ الوطنى الأفغانى، ويصل عدده الى ١٥٠٠٠فرد برئاسة سيد أحمد كيلانى.

حركة الثورة الإسلامية الأفغانية، وعددها تقريبا ٢٥٠٠٠ برئاسة مولوى محمد نبى محمدى.

الحزب الإسلامى الأفغانى، ويصل عدده إلى٤٠,٠٠٠ فرد برئاسة يونس خالص.

الحزب الإسلامى الأفغانى، ويبلغ عدده ٥٠,٠٠٠ برئاسة قلب الدين حكمتيار.

حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية، وعدده ٦٠,٠٠٠ برئاسة برهان الدين ربانى.

الفصائل الشيعية

منظمة نصر أفغانستان، وعددها فى حدود ٥٠,٠٠٠

الحركة الإسلامية الأفغانية، وعددها تقريبا ٢٠,٠٠٠

حراس الجهاد الإسلامى الأفغانى، وعددهم ٨,٠٠٠

حزب الله الأفغانى وعدده تقريبا ٤,٠٠٠

النهضة الإسلامية الأفغانية ويصل عددها إلى ٤,٠٠٠

حزب مجلس الاتفاق الإسلامى الأفغانى ويصل عدده إلى أكثر من ٣٠,٠٠٠

أهم القواعد الجوية الأفغانية

وهى عبـــارة عن: كندوز، وشـيندند، وكـابل، ومـزار شـريف، وهراة، وغـزنين، وقندهار، وجلال آباد.

وأكثر أسلحـــة الجيــش الأفغانى روسية، حتى قبل سقوط حكومة نجيب اللّه. وكان الروس أيضا يدرسون اللغة الفنية الروسية لمختلف قطاعات الجيش الأفغانى. ولكن بعد اضـمحـلال الاتحاد السوفيتى سيكون هناك وضع آخر بالنسبة للسـلاح والتعاليم العسكرية.

العضوية فى الأحلاف العسكرية

أفغانستان ليست عضوا فى أى من الأحلاف العسكرية.

الفصل الثامن

الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان

تقع أفغانستان(*) فى المنطقة الحساسة من آسيا الوسطى، وترتبط من أحد الجوانب بشبه القارة الهندية، ومن جانب آخر بآسيا الوسطى والصين، ومن جانب ثالث بآسيا الغربية.

تعتبر سلسلة جبال الهندكوش(**) التى تغطى مساحة شاسعة من أرضها سدا منيعا أمام المغيرين من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، وكذلك المغيرين من الغرب إلى الشرق أو العكس.

وقفت أفغانستان فى القرنين الماضيين حائلا بين الإمبراطوريات فى الشرق والغرب، وكان انفصال هذه المنطقة عن إيران بداية لظهور دولة تحت اسم أفغانستان بهذا الشكل، وكان هدفها إقامة جدار منيع بين حدود الاستعمار فى الشرق والغرب.

وفى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وقفت حائلا بين الاحتلال الإنجليزى والروسى، وكانت أفغانستان آنذاك فاصلة بين مستعمرات قوتين،

(*) ويعلق الدكتور "نوار" على الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان فيقول:

توصف أفغانستان (ومع تجاوز كبير) بأنها سويسرا آسيا من الناحية الجغرافية . وهذه الطبيعة الجبلية فرضت نفسها بقوة على تاريخ أفغانستان بصفة خاصة، وتاريخ المنطقة بصفة عامة، فقد كانت موطن قبائل تعتصم بالجبال كلما شعرت بخطر غزو كبير، وتهبط السهول غازية كلما شعرت ضعفا فى جيرانها، كذلك شهدت أفغانستان فى الماضى الجيوش الكبيرة التى كانت تريد الوصول إلى الهند من أبوابها الشمالية. أما بعد استخدام طريق رأس الرجاء الصالح بين الشرق والغرب فقد أصبحت الغزوات الموجهة إلى الهند تضرب أبوابها البحرية دون الشمالية. انظر: الشعوب الإسلامية ، ص ٢٧٣ . وانظر: المسلمون فى أفغانستان ، ص ٦٥ . (المترجم)

(**) تعتبر من وجهة النظر العسكرية ذات أهمية خاصة، إذ يبلغ عرضها ١٠٠ ك . م، وطولها ٦٠٠ ك. م، ويتجاوز ارتفاعها ٦٠٠٠ م . انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان ، ص ٩٨ . (المترجم)

كما كانت أيضًا مانعا بين الاشتباكات وجها لوجه حتى فى منطقة الشمال الغربى لأفغانستان، التى يقع بها "مضيق واخان" الكائن ضمن الأراضى الأفغانية، والذى وقف حائلا بين هندوستان التى ترزح تحت الاستعمار الإنجليزى، وآسيا الوسطى الخاضعة تحت النفوذ الروسى.

وفى منتصف القرن الثانى عشر وقفت أفغانستان أيضا حائلا بين أمريكا والاتحاد السوفيتى، ووقفت الحكومات الأفغانية لفترة على الحياد بين الشرق والغرب. وهذا الحياد أيضا كان مقبولا لدى الشرق والغرب، وكانت الحكومات الأفغانية تراعى ذلك أيضا. وحينما نقض هذا الحياد من جانب الاتحاد السوفيتى كان ذلك بداية لصراعات واشتباكات شديدة، وكان لهذه الصراعات دلائل داخلية وخارجية أيضا.

تقع أفغانستان فى منطقة الحزام الشمالى أيضا مثل إيران وتركيا، والحزام الشمالى هذا هو سلسلة الجبال الشاهقة الارتفاع والممتدة، التى تعبر من مناطق أفغانستان وإيران وتركيا. وتعرف هذه الجبال فى أفغانستان بالهندكوش، والتى تتصل بسلسة جبال الهمالايا، وتتصل فى إيران بسلسلة الجبال المعروفة بالبرز التى تبدأ من خرسان وتمتد حتى غرب إيران، وهناك تصير فرعين يذهب فرع إلى تركيا والفرع الآخر ينحدر صوب غرب وجنوب إيران المعروف بـ "زاكروس"، والحزام الشمالى اصطلاح غربى لكن الروس كانوا يطلقون عليه السهم الجنوبى أو الحزام الجنوبى.

والآن تفرق الاتحاد السوفيتى، وفقد مصداقيته، ولم يعد له النفوذ الاستعمارى المهم فى آسيا الوسطى والشمالية مثلما كان له فى الماضى ؛ ولهذا فقد زالت المنازعات والتنافس الذى كان قائما بين الغرب والشرق المتمثل فى الاتحاد السوفيتى سابقا، وفقدت أفغانستان الأهمية الاستراتيجية التى كانت لها فى الماضى بين المعسكر الشرقى والغربى، والوضع الجديد مفيد لأفغانستان ؛ نظراً لعدم تنافس القوى العظمى فيها، ويمكن لدولة أفغانستان أن تضع برامج تخطيط لمستقبلها بشكل أفضل واغتنام وضعها الجديد، وهذا الوضع ناتج عن استقلال دول آسيا الوسطى وجمهورياتها ؛ حيث إن هذه الدول ترغب فى أن يكون لها اتصال مع دول العالم عن طريق المياه الدافئة فى جنوب بحر عمان والمحيط الهندى وطريق عبورها عن طريق أفغانستان.

وحينما يريدون أن يصدروا سلعهم من طريق الدخول نفسه فهذا يعنى عبورها مرة أخرى عن طريق أفغانستان؛ لهذا فإن أفغانستان اليوم هى القالب الذى يحفظ الأوضاع الراهنة فى آسيا الوسطى والغربية، ويمكن أن تصبح بمثابة "ترانزيت" للسلع، ويلزم لأداء هذا الدور إقامة الطرق الجديدة بشكل أوسع، والتى سوف تساعد الاقتصاد الأفغانى بشكل أكثر فاعلية؛ ولهذا فإن التوجه مع الوضع الراهن لأفغانستان المستقبل سوف يظهر فى الأهمية التجارية بشكل أكبر؛ فأفغانستان الماضى والحاضر كانت واحدة من المناطق التى كانت تمر منها قوافل الحرير وكان لها رونق. ومشاريع إقامة الطرق على أساس درب الحرير سوف تساعد بشكل أفضل على تحسين الوضع الاقتصادى لأفغانستان.

الفصل التاسع

السياسة الخارجية لأفغانستان

قامت السياسات والأهداف العامة للحكومات الأفغانية - فى القرن العشرين على وجه الخصوص - على عدة أسس، هي:

١- الحياد(*)، وعدم الانحياز للقوى العظمى فى الشرق والغرب.

٢- استقلال الدولة.

٣- الاكتفاء الذاتي، و تنمية أفغانستان.

وأهم أساس قامت عليه السياسة الخارجية الأفغانية حتى سنة ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م هو المحافظة على حيادها بين قوى الشرق والغرب، وكلما انتهكت هذه الحيادية تعرضت البلاد للمشاكل، فعلى سبيل المثال تخلت أفغانستان عن حيادها تجاه الاتحاد السوفيتي السابق فسبب لها هذا التخلي مشاكل كبيرة.

وقد بذلت الحكومات الأفغانية الجهود من أجل استغلال التنافسات الكائنة بين الشرق والغرب، كما عملت أيضا على استغلال حيادها بين الشرق والغرب لصالح أفغانستان، بمعنى أن تبعية إحدى القوتين العظميين فى الشرق أو الغرب يؤدى نسبيا إلى الاستفادة من رد فعل الطرف الثاني، وكسب امتيازات مختلفة. ولكنها حتى الآن لم توفق فى هذا المجال، ولم تتمكن من الاستفادة من أعمال التنافس الإقليمى.

(*) بدأ هذا الاتجاه فى أفغانستان مع "نادر شاه". فأمضى عدة اتفاقيات من بينها اتفاقية الحياد وعدم الاعتداء، والتى وقعها فى كابل مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٣١م، كما أمضى معاهدة أخرى فى سبتمبر ١٩٣٢م مع الاتحاد السوفيتى أيضا من أجل تعيين مراقبين .

انظر: مير غلام محمد غبار، أفغانستان در مسير تاريخ ، جلد دوم ، ويرجينا إيالات متحدأمريكا ١٩٩٩، ص ٩٧ . (المترجم)

ورغم أنه قد تلاشت الحدود السياسية للقوى الاحتلالية السابقة فى أفغانستان، ولم تعد هناك ضرورة للاحتفاظ بالحيادية السابقة فإن أفغانستان ينبغى أن تظل محافظة على حيادها بين الدول الكبرى فى المنطقة، وخاصة جيرانها؛ فإيران وباكستان هما أكبر جارتين لها، وينبغى المحافظة بقدر المستطاع على حيادها بين هاتين الدولتين.

ولم يكن لأفغانستان فى العقود السابقة هدف؛ أى أن الحكومة الأفغانية لم يكن أمامها هدف تسعى لتحقيقه، لكن أفغانستان نفسها كانت وسيلة لتحقيق الأهداف، وفى الوقت الحاضر هناك تنافسات إقليمية حول أفغانستان ليس من أجل أفغانستان ذاتها، ولكن بجعلها وسيلة للوصول لأهداف أخرى. فالأهداف الباكستانية فى أفغانستان على سبيل المثال هى أساساً من أجل الوصول لآسيا، والاستفادة منها.

والشخص المعتدى لا يستطيع أن يبقى فى أفغانستان طويلا ؛ حيث إن العادات القبلية والثقافية لأفغانستان لن تمكنه من هذه الفرصة.

وكانت الحكومات الأفغانية – ولا زالت – تُدين أعمال العنصرية والاستعمار والحرب والفتنة والاعتداء وخلافه .

وكانت العلاقات الأفغانية الخارجية محدودة للغاية بسبب تخلف البلاد، والاختناق الشديد الذى تعانى منه فى النواحى الاقتصادية، وكذلك الصرعات القبلية. وكانت لها علاقات بدول قليلة للغاية. ولم تكن لديها علاقات تتسم بشىء من الأهمية مع دول العالم الثالث، ومنظمة التحرير، وغيرها .

العلاقات الأفغانية الباكستانية

لم تكن العلاقات الأفغانية الباكستانية منذ بداية تأسيس باكستان ١٩٤٧م، حتى اليوم أمراً مرغوباً فيه. وكانت دائما يشوبها التوتر، وأهم أسباب الخلاف هو منطقة

البشتون(*). فقد انفصل خط دوراند البشتونى الحدودى، وخضع قسم منه لسيادة الحكومة الإنجليزية فى الهند، وتبقى جزء منه تحت الإدارة الأفغانية، وفى أعوام ١٩٠٥ و١٩١٩ و ١٩٢١ و١٩٣٠م كانت الحكومة الأفغانية قد أيدت خط دوراند الحدودى، إلا أنه بعد خروج إنجلترا من الهند، واستقلال الهند تصور الفكر الأفغانى أن الفرصة قد حانت، ولا بد من أن يغتنمها لضم منطقة البشتون إلى أرضه، ولكن المطلب الأفغانى لم يتحقق. واستدلت الحكومة الإنجليزية بأن اتفاقية دوراند المبرمة بين دوراند والهند فى عام ١٩٤٧م تنص على تقسيم الهند، و ذلك بأن تلحق المناطق التى يسكنها المسلمون بباكستان، أو بنجلادش، ولما كانت منطقة البشتون يسكنها المسلمون، وملاصقة لباكستان فإنها تتبع باكستان. وأجرى استفتاء فى قبائل البشتون حول ما إذا كانوا يرغبون فى الانضمام إلى باكستان أم الهند فاختاروا الانضمام إلى باكستان. و لهذا السبب اندلع الخلاف بين كل من أفغانستان وباكستان الجديدة، ومهما شككت الحكومات الأفغانية فى اتفاقية دوراند الحدودية فإن ذلك لا يحقق فائدة، و كان بعض الزعماء الأفغانيين مثل محمد نادر شاه يبدأون خطاباتهم بعبارة تحت اسم منطقة البشتون.

وفى عام ١٩٤٩م ساءت العلاقات بين البلدين، وأغلقت باكستان طريق كراتشى أمام تحويل البضائع الأفغانية، و ذلك للضغط على أفغانستان. ولكنها فتحته بعد فترة، وفى عام ١٩٥٠م منعت دخول، أو خروج البضائع الأفغانية عبر باكستان للمرة الثانية.

(*) تستند الحجة الأفغانية فى ذلك إلى أن الأغلبية المطلقة من هذه القبائل تعيش فى أراضيها ، بل هى تشكل القومية السائدة ذات الأغلبية ، ومن ثم يجب النظر فى توحيد الأصول العرقية لتتكامل القومية البشتونية داخل أفغانستان ، ووجدت روسيا فى هذا الأمر الفرصة مواتية لها فى توتير العلاقات بين أفغانستان وباكستان، حتى تضعف كل منهما الأخرى وتتمكن هى من الدخول إلى أفغانستان عن طريق "محمد داود" الذى أغرقوه بالدعم المالى والعسكرى، وسعوا إلى إضفاء الشرعية عليه عن طريق مجلس الأعيان القبلى " لويه جركه " ليكون نواتهم فى أفغانستان.

انظر : صلاح الدين حافظ، أفغانستان الإسلام والثورة القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٥٤ . وانظر: العلاقات الروسية الأفغانية ، ص ٣٨، بتصرف. (المترجم)

وأجرت الحكومة الأفغانية مفاوضات حول البضائع المصدرة أو المستوردة مع روسيا، ولكن بعد فترة تم إلغاء هذه المقاطعة.

وفى عام ٦٠-١٩٦١م تم تصعيد الخلافات بين البلدين، وفى شمال خيبر بين أفغانستان وباكستان نشب الصراع والاشتباك بين كل من أفغانستان وباكستان. وفى عام ١٩٦١م تم قطع العلاقات السياسية بين البلدين، واختارت الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحيادية الظاهرية، وسعت أفغانستان من أجل المقاومة والانتصار فى هذه الاشتباكات معتمدة على الاتحاد السوفيتى. وتم حل الخلافات بواسطة إيران، وعزل داود خان عام ١٩٦٣م، واستؤنفت العلاقات السياسية بين كل من باكستان وأفغانستان.

وفى انقلاب داود خان فى عام ١٩٧٣م تم طرح مسألة البشتون مرة أخرى، واتسمت المسألة بالحدة، وطالبت أفغانستان بتشكيل حكومات مستقلة فى منطقة البشتون، وبلوشستان - فى باكستان - مما أثار رد فعل باكستان وإيران. وأعاد داود خان النظر فى سياسته بعد فترة، وحسن علاقاته بكل من إيران وباكستان، وصرفت أفغانستان النظر عن ادعاءاتها من أجل الحصول على معونات مالية من إيران. ثم تجددت مسألة البشتون مرة أخرى بعد انقلاب الشيوعيين عام ١٩٧٨م، وادعت الحكومة الأفغانية أن حدودها الطبيعية تصل حتى نهر السند؛ ولذلك ساءت العلاقات بين البلدين. وبعد التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان أصبحت العلاقات بين البلدين (أفغانستان، وباكستان) أكثر تعقيدا، وفيما بعد قال ببرك كارمل إنه لا يوجد خط للحدود الدولية بين كل من باكستان وأفغانستان، كما أعلن نجيب الله فى زيارته للهند عام ١٩٨٨م عن ضرورة حل مشكلة خط دوراند بين كل من أفغانستان والهند؛ لأنه فى عام ١٨٩٣م لم يكن يوجد ما يسمى بباكستان. كما أن الاتفاقية المذكورة قد تم إبرامها مع الهند(*). ويبدو أن مشكلة أفغانستان لن تطرح فى المستقبل القريب، وذلك لما يلى:

(*) أغنى عربى، مجلة مسلم، طبعة إسلام آباد، ١٩٨٨/٥/٢٦م - ١٣٦٧/٣/٥هـ. (المترجم)

أولاً: ضعف الحكومة المركزية بأفغانستان وكثرة المشاكل المكبلة بها.

ثانيًا: لم يعد هناك ما يسمى بالاتحاد السوفيتي، والذى كان من المحرضين الرئيسيين لأفغانستان فى مشكلة "بشتونستان"، وإلى جانب الاتحاد السوفيتى كانت الهند هى الأخرى من المحرضين المؤثرين فى هذه المشكلة، علاوة على هذا كانت الحكومة الأفغانية تواجه دعاية داخلية بخصوص مشكلة بشتونستان.

وتركت هذه المشكلة لمستقبل أفغانستان عندما تكون قوية، وبها حكومة مقتدرة بصورة كافية ؛ فمن الممكن حينئذ أن يطرح هذا الموضوع مرة أخرى، وفى غير هذه الحالة سوف تترك هذه المشكلة زمنًا طويلاً.

وفى العقد السابق اكتسبت باكستان دورا حيويا، ومكانة مهمة بالنسبة للمشكلة الأفغانية خلال فترة الاحتلال السوفيتى لأفغانستان، وذلك لأن السياسات الأمريكية والغربية المتعلقة بأفغانستان كان يتم تنفيذها عن طريق باكستان. خاصة وأن المساعدات الدولية للقضية الأفغانية كان يتم إرسالها عبر القناة الباكستانية، وبذلك تكون باكستان قد خلقت لنفسها دوراً جديداً فى الشئون الأفغانية. وقد بذلت باكستان جهوداً مضنية فى السنوات الأخيرة ؛ حتى تتولى زمام الأمور فى أفغانستان حكومة موالية لها، وكانت باكستان قد دعمت بعض جماعات المجاهدين خلال فترة الاحتلال السوفيتى لأفغانستان، وفيما يلى أهم الجماعات التى أيدتها باكستان بالترتيب من حيث الأهمية :

١ - الجماعات المتشددة من البشتون، مثل حكمتيار، وأبى سياف، ويونس خالص.

٢ - الجماعات المعتدلة من البشتون، مثل صبغت الله مجددى، ومولوى محمد نبى محمدى، وكيلانى، والمؤذن.

٣ - الفصائل غير البشتونية والتقليدية، مثل برهان الدين ربانى.

٤ - بعض الجماعات المعتدلة من الشيعة مثل آصف محسنى.

وكان حكمتيار، وبعض القادة الأفغان الآخرين من أفضل المقربين لباكستان، وخاصة إلى جيشها. وفى صيف عام ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م بُذلت مساع كثيرة من أجل استيلاء حكميتار وأتباعه على كابل، لكن حكمتيار واتباعه لم يُقْدموا على هذا الأمر.

وباكستان لها رغبة فى خلق اتصال بآسيا الوسطى. ويمكنها الاتصال بآسيا الوسطى عبر الطريق البرى و الجوى لأفغانستان. وبناءً على ذلك فإنه يجب - من وجهة نظر باكستان - أن تتولى زمام الأمور حكومة موالية لها لكى يتم إنشاء الطرق اللازمة. كما أن مشكلة البشتونستان لم تطرح بسبب الحالة الراهنة.

وباكستان تميل من ناحية إلى حكومة البشتون المتشددة، وذلك لأنها تتصور أن التعصب البشتونى لن يسمح لهم بالتقارب مع إيران، ومن ناحية أخرى فإن لديها قلقا من أن تأييد البشتون المتشدد سوف يؤدى إلى تقوية شوكتهم، وبالتالى سوف تطرح مشكلة البشتونستان مرة أخرى؛ وبناءً على هذا، فإنها تستخدم منهجين فى الظروف الراهنة إما سيادة ضعيفة للبشتون، أو سيادة لغير البشتون، مثل ربانى. وفى نهاية الأمر إذا قام البشتون بإثارة المشاكل أمام هذه الحكومة فإن أفغانستان ستحتفظ بعلاقاتها الجيدة مع باكستان(*).

(*) إن باكستان التى تعد واحدة من القوى الإقليمية المهمة سواء من الناحية الإسلامية أو النووية تعتبر آسيا الوسطى وأفغانستان عمقا استراتيجيا لها فى مواجهه الهند عدوها التقليدى. وعدم الأمن الموجود فى أفغانستان يعد أحد العوائق الرئيسية التى تعوق اتصالها بآسيا الوسطى. (المترجم)

الفصل العاشر

العلاقات الأفغانية الإيرانية

تمتعت إيران بأكثر المجالات، وأفضلها لإقامة علاقات وتعاون مع أفغانستان، وذلك لأسباب ثقافية، وعرقية، ولغوية، وتاريخية، ومذهبية. ومع هذا فإن العلاقات الإيرانية لم تشهد التطور الكافى مع أفغانستان، وفيما يلى أهم أسباب عدم تطور العلاقات الثنائية بين البلدين:

١- التنافس بين الشرق والغرب، لتهميش الدور الإيرانى(*) فى المنطقة وكذلك أفغانستان، خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية.

٢- صعوبة التكامل الاقتصادى بين كل من إيران وأفغانستان، إذ إن كلتيهما تنتج بضائع متشابهة، وبصرف النظر عن المنتجات الزراعية المتشابهة نسبيًا فكلاهما من النواحى الاقتصادية منتج لمواد أساسية، ومستورِد لبضائع مختلفة. وقد حققت إيران تقدمات كثيرة فى قطاعات مهمة من الصناعة، ولا يمكن مقارنتها بأفغانستان. إلا أن الصناعة الإيرانية عبارة عن منتجات داخلية، أو فى حدود الحاجة، و فى حالة الزيادة عن الحاجة يمكن التصدير، أما أفغانستان فلا تصدر إلى إيران أية بضاعة خاصة بها. وأفغانستان فقيرة من حيث العملة الأجنبية، وتقوم بتوفير تكلفة البضائع المستوردة عن طريق منتجاتها الزراعية. والحيوانية و بعض المواد المعدنية من قبيل الغاز الطبيعى، و إيران هى الأخرى مصدرة فى كل هذه المجالات. بناءً على هذا فإن العلاقات الاقتصادية لا يمكن تطويرها و توسيعها بالشكل الكافى.

(*) تخطط الولايات المتحدة لكل شىء فى المنطقة دون أن يكون لإيران فيه وجود، ولهذا فقد عارضت نقل طاقة آسيا الوسطى عن طريق إيران، وفرضت على الشركات الأمريكية قيودا فى تعاملها مع إيران بمقتضى قانون داماتو. (المترجم)

٣- تقع أهم القطاعات الاقتصادية والزراعية بأفغانستان فى المناطق الشرقية والشمالية، والجنوبية، أما المناطق الغربية، والمتاخمة للحدود الإيرانية فلا تتمتع بازدهار اقتصادى. ومحافظتا خراسان وسيستان المجاورتان لأفغانستان لا تتمتعان بازدهار تجارى من الناحية الاقتصادية، وكانت هذه هى أسباب الاحتلال السوفيتى السابق لآسيا الوسطى، وبسط نفوذه فى أفغانستان، وإقامته سورا حديديا على الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لإيران. وقد أدت إقامة هذا السور الحديدى إلى عزل المحافظات الشرقية خلافًا لباقى المحافظات الأخرى المجاورة لإيران. وعلى الرغم من الإمكانيات الطبيعية الكثيرة للاقتصاد فى محافظة خراسان فإن التجارب فى هذه المنطقة ما زالت تجارب محدودة و ضعيفة.

وقطعًا فإن المحافظات الشرقية قد تكتسب رونقًا جديداً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى. ومن الممكن أن تقيم مع أفغانستان علاقات اقتصادية وتجارية جديدة، ونظراً لأن دول آسيا الوسطى قد تمتعت بالاستقلال فإن العلاقات الاقتصادية معها متعددة الجوانب، ومن الممكن أن تزدهر ازدهارًا كبيرًا، وكانت العلاقات الثقافية بين كل من إيران وأفغانستان محدودة. وكانت هذه القيود فى العلاقات سابقًا بسبب النفوذ الإنجليزى فى أفغانستان والقلق من إعادة النفوذ الإيرانى فيها، وفى العهد السوفيتى لم تتسع العلاقات الثقافية بين البلدين بسبب التجارب السابقة فى العلاقات الثقافية الثنائية، خاصة وأن القلاقل ، والقيود ضد إيران قد زادت بعد الثورة الإسلامية.

أما العلاقات الاقتصادية بين كل من إيران وأفغانستان فقد كانت محدودة فى الماضى، ولكنها قابلة للتطوير بدرجة كبيرة ؛ نظراً لما اعترى المنطقة من ظروف جديدة، وفى عام ١٣٥٠ هـ. ش كان حجم العلاقات الاقتصادية بين كل من إيران وأفغانستان حوالى مائة ألف دولار. وفى عام ١٣٥٥هـ. ش وصلت العلاقات الاقتصادية الجديدة فى عهد داود خان إلى ٦ ملايين دولار. وفى عام ١٣٥٧هـ. ش انقطعت هذه العلاقات بسقوط الأنظمة الحاكمة فى كل من إيران وأفغانستان (داود خان)، ومن بعدها حتى زمان سقوط نظام نجيب الله (بداية ١٣٧١هـ. ش) لم تحدث أية مبادلات رسمية.

وفى عام ١٣٧١هـ. ش تم حل الخلاف الإيرانى مع أفغانستان على استخدام مياه هيرمند، وتم تحديد حق إيران باستخدام ٢٦ متراً مكعباً فى الثانية على طول السنة.

وفى عام ١٣٥٣هـ. ش تم تشكيل أول لجنة للتعاون الاقتصادى بين كل من إيران وأفغانستان فى كابل، وذلك فى عهد حكومة داود خان. وتم التوقيع على برتوكول فى المجالات الزراعية، والحيوانية، والصناعية، والطرق، وغيرها .

كما تم تشكيل لجنة أخرى فى عام ١٣٥٤ هـ. ش فى طهران، وتم توقيع اتفاقيات فى مجالات صهر الحديد، والأسمنت، وقصب السكر، والسكك الحديدية، والطرق...إلخ، وكان على إيران توفير التكاليف التكميلية لهذه المشروعات.

وشكلت الجلسة الثالثة للجنة الإيرانية الأفغانية الاقتصادية المشتركة فى عام ١٣٣٥هـ. ش فى كابل، وتم التوقيع خلالها على اتفاقيات جديدة فى مجالات النسيج، وتقديم قرض لمصنع الأسمنت، وقصب السكر، والورق، وغير ذلك، وكان هذا فى إطار الإعراب عن الرضا عن الاتفاقيات السابقة، و كان على إيران أيضًا توفير الميزانية اللازمة لإنشاء هذه المشروعات فى أفغانستان.

كما كانت هناك نية لتشكيل لجنة أخرى فى عام ١٣٥٢هـ. ش إلا أنها لم تشكل بسبب سقوط حكومة داود خان، وضعف أسس النظام البهلوى. وخلال الفترة من عام ١٣٥٢هـ. ش إلى عام ١٣٥٧هـ. ش قدمت إيران لأفغانستان أكثر من ٨٥ مليون دولار تحت بند معونة على مراحل مختلفة. فهذه العلاقات لم تحقق لإيران نفعًا من نواحٍ اقتصادية(*)، أو سياسية، أو ثقافية. ولم تعترف إيران بشكل رسمى على الإطلاق بالأنظمة الشيوعية الحاكمة فى أفغانستان، ولم تجر معها أية مفاوضات.

وكانت إيران هى الدولة الأولى التى أدانت الاعتداء السوفيتى على أفغانستان، واتخذت ضده موقفًا متشدداً. وقد وقفت إيران لتأييد مقاومة الشعب الأفغانى،

(*) Henrt. Bradsher Afghaistan and the sovietunion P.15. (المترجم)

والمجاهدين. وعلى الرغم من أنها كانت مشغولة بالحرب المفروضة فإنها كانت تعرض كل ما أمكنها من مساعدات لدعم جهاد الشعب الأفغاني ضد الاعتداء والكفر.

وبعد انتصار المجاهدين وتشكيل الحكومة الإسلامية في كابل عام ١٣٧١هـ. ش كانت إيران واحدة من أولى الدول التي اعترفت رسميا بالحكومة الإسلامية، وأقدمت على تقديم المساعدات والدعم لها.

العلاقات الأفغانية الروسية(*)

كانت أكثر العلاقات الأفغانية في العقود الأخيرة بالاتحاد السوفيتي. وبعد استقلال أفغانستان عام ١٩١٩م كان الاتحاد السوفيتي هو أول دولة تعترف رسمياً باستقلال أفغانستان، وأقدم أمان الله خان بعد الاستقلال على القيام بعدة إصلاحات وتطويرات لأفغانستان، ولكنه كان يفتقد الآليات التي يحتاج إليها في تنفيذ هذه الإجراءات. وكان ينتظر أن تساعده إنجلترا في هذا السبيل، إلا أنها رفضت تقديم الأموال والمعونات التي تحتاج إليها أفغانستان، مما اضطر الحكومة الأفغانية إلى الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتي. وفي ١٣ سبتمبر ١٩٢٠م تم إبرام اتفاقية صداقة مع الاتحاد السوفيتي، أهدت روسيا من خلالها إلى أفغانستان مليون روبل من الذهب، كما قدمت إليها خمسة آلاف قطعة سلاح بمستلزماتها وعدة طائرات، وأسست لها مدرسة للتدريب الفني والجوي، ومصنعا للبارود، ومعونات فنية مختلفة(**).

ولم ترض الحكومة الإنجليزية عن هذه الاتفاقية، و للرد على الحكومة الأفغانية، ومعاقبتها قامت بقطع طريق تصدير البضائع الأفغانية عن طريق الهند (باكستان

(*) بدأت بنور هذه العلاقات في عهد أمان الله خان، واستقام عودها إبان الفترة الاولى من رئاسة "محمد داود"، ونضجت واستوت بعد تجديد القانون الأساسي عام ١٣٤٣ هـ. ش، وأينعت إبان فترة "حكم محمد داود" الذي فتح الباب أمام القروض والمساعدات الروسية التي لا طائل منها. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية ، ص ٤٦٥ . (المترجم)

(**) henrt s.bradsher afghaistan and the sovietunion p.15. (المترجم)

اليوم)، وفى المقابل وقعت الحكومة الأفغانية اتفاقية أخرى مع الاتحاد السوفيتى، تقضى بإعفاء البضائع الأفغانية من دفع مقابل المرور والضرائب، وتصديرها عن طريق الاتحاد السوفيتى. وفى عام ١٩٢١م أُبرمت اتفاقية أخرى بين كل من أفغانستان والاتحاد السوفيتى ألغت روسيا بمقتضاها الامتيازات غير المتساوية، وتعهدت كلتا الدولتين بألا تستخدم إحداهما الأرض فى الاعتداء على الأخرى.

ولكن على الرغم من اتفاقيات الصداقة والتقارب التى أُبرمت بين الطرفين، فقد ثارت المخاوف الأفغانية من احتمال الاعتداءات السوفيتية بسبب الاعتداء السوفيتى على أراضى آسيا الوسط، وبذلت أفغانستان الجهود من أجل إقامة علاقات مناسبة مع دول الغرب.

وبخروج إنجلترا من الهند ١٩٤٧م، وعدم اهتمامها بأفغانستان أصبحت أفغانستان وحيدة أمام الاتحاد السوفيتى. فمن قبل ذلك كانت إنجلترا تعتنى بأفغانستان من أجل الحيلولة دون النفوذ والتدخل السوفيتى فى الهند، ولكن منذ عام ١٩٤٧م عندما خرجت من الهند فقدت أفغانستان أهميتها بالنسبة لإنجلترا. وكان خروجها قد أدى إلى سعادة بعض الشعب الأفغانى، وقلق بعضهم الآخر. فكانت سعادة بعضهم من أجل التحرر من ربقة الاحتلال بخروجها من الهند وأفغانستان، وكان القلق بسبب الانفراد أمام الاتحاد السوفيتى، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتى لم تكن لديه الفرصة للاهتمام الكافى بأفغانستان بسبب الصراعات الداخلية المتزايدة، وكذلك الصراعات فى أوروبا الشرقية ومنغوليا.

وبعد موت استالن ١٩٥٣م زاد الاهتمام الروسى بأفغانستان، خاصة وأن الاهتمام الأمريكى بباكستان كان يقوم على تسليحها منذ عام ١٩٥٣م. وكانت رئاسة داود خان للوزراء١٩٥٣م، وأهدافه التى تقوم على تطوير أفغانستان قد ساعدت على خلق المجال للتقارب بين كل من أفغانستان، والاتحاد السوفيتى. وبدأت المعونات السوفيتية لأفغانستان منذ عهد خروشوف، وزادت فى عهد بريجنيف(*).

(*) كانت هذه القروض وتلك الاتفاقيات مقدمة الغزو السوفيتى لأفغانستان، فقد أدرك السوفييت أن هذه البلاد مستودع لموارد هائلة ، وهى حقيقة يعرفها الروس حق المعرفة بحكم تاريخهم الطويل فى الكشف عن المعادن. انظر: المسلمون فى أفغانستان ، ص ٦٩ بتصرف . (المترجم)

ومنذ عام ١٩٥٣م، وما بعده كانت أهم وأولى فصول العلاقات الأفغانية السوفيتية، وهى كما يلى:

- اتفاقية يناير ١٩٥٤م لتقديم ٣,٥ مليون دولار قرضًا من جانب الاتحاد السوفيتى لإنشاء صوامع للغلال، و نظام للمخابز فى أفغانستان.

- اتفاقية أكتوبر عام ١٩٤٥م لتقديم ٢,١ مليون دولار فى شكل مستلزمات لإنشاء مصنع لتصنيع مواد الأسفلت، وفى السنة نفسها قدمت تشيكوسلوفاكيا خمسة ملايين دولار فى شكل مستلزمات لإنفاقها فى مصنع الأسفلت .

- زيارة خروشوف وبولكانين لأفغانستان فى ديسمبر ١٩٥٥م، وإهداؤه مستشفى يضم مائة سرير، وطائرة نقل ركاب لظاهر شاه، وعدة أتوبيسات للطرق الأفغانية فى كابل، ووعده بتقديم ١٠٠ مليون دولار فى صورة أشياء بمهلة طويلة تصل إلى ثلاثين سنة، وبفائدة قدرها اثنان بالمائة، وعلى هذا الأساس تقرر تقديم الإمكانيات التالية لأفغانستان:

١- طائرتين إحداهما عسكرية، والأخرى غير عسكرية.

٢- عدد ٢ آلة ذاتية الحركة لزراعة الأعشاب.

٣- عدد ٢ آلة ذاتية الحركة لإصلاح وترميم الطرق.

٤- ثلاثة مشروعات للرى.

٥- إنشاء مطار عسكرى فى بجرام (على بعد ٢٠ ميل من كابل).

٦- إنشاء طريق فى المنطقة الشمالية من أفغانستان، وإنشاء نفق سالنج.

وطبقًا لاتفاق خروشوف، وبولكانين مع أفغانستان تقرر أن تتسلم أفغانستان المعدات التى تحتاج إليها من الاتحاد السوفيتى، كما تولت روسيا كذلك مهمة تعليم الجيش وتدريبه، وفى أغسطس عام ١٩٥٥م أُبرمت اتفاقية بتكلفة ثلاثة ملايين دولار بين كل من تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان تبيع بمقتضاها الأولى للثانية أسلحة، وترسل إليها مستشارين عسكريين.

- اتفاقية يوليو عام ١٩٥٦م بين روسيا وأفغانستان بتكلفة ٣٢,٤ مليون دولار في صورة معونات عسكرية لأفغانستان، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة الفنية في المراكز العسكرية الأفغانية هي اللغة الروسية.

- اتفاقية أغسطس ١٩٥٦م، التي تنص على مد أفغانستان بما قيمته ٢٥ مليون دولار من معادن للآلات العسكرية، وما تحتاج إليه.

وطبقًا للمعونات المشار إليها فقد حضر إلى أفغانستان حتى عام ١٩٥٦م أكثر من ٤٦٠ فنيا روسيا(*)، وفي عام ١٩٥٧م قام ظاهر شاه بزيارة الاتحاد السوفيتي، وأسفرت الزيارة عن إرسال فريق للكشف والتنقيب عن الغاز الطبيعي في أفغانستان بعد مفاوضات حول التنقيب عنه و تصديره إلى الاتحاد السوفيتي.

في عام ١٩٥٨م اتسع نطاق العلاقات التجارية الأفغانية مع العالم الاشتراكي حتى وصل من٧, ١٤٪ في عام ١٩٥١م إلى ٩, ٣٣٪ .

- اتفاقية بتكلفة ٢٥ مليون دولار عام ١٩٥٩م لتقديم دبابات وطائرات، وباقي المعونات الفنية.

- اتفاقية ١٩٦٠م بين تشيكوسلوفاكيا، وأفغانستان لبيع أسلحة لأفغانستان.

- اكتشاف حقل عظيم للغاز الطبيعي في شمال أفغانستان في عام ١٩٦١م، وتصديره إلى روسيا منذ عام ١٩٦٧م.

- اضطراب التوازن التجاري بين أفغانستان وروسيا منذ عام ١٩٥٩م و ما بعدها، ففي عام ١٩٦٣م كان حجم الصادرات الروسية لأفغانستان يقدر بـ٥, ٧٢ مليون دولار، وأما وارداتها فكانت تقدر بـ٢٣ مليون دولار.

(*) josep j. collins, the soviet Invasion of Afgh a nistan, P.21. (المترجم).

- اتفاقية ١٩٦٢م بشأن تصدير البضائع الاستهلاكية من روسيا إلى أفغانستان.

- تكميل إنشاء طريق الحدود الروسية إلى هراة، ومن هناك إلى قندهار، ومن قندهار إلى كابل، ومن كابل إلى مزار شريف، ومن هناك إلى الحدود الروسية.

- زيادة المعونات التسليحية السوفيتية منذ ١٩٧٣م وما بعدها، وحضور كثير من المستشارين الروس إلى الجيش الأفغانى.

- الرغبة فى تقديم معونات بلغت ١٢٠ مليون دولار لأفغانستان فى عام ١٩٧٢م، وزاد هذا المبلغ بعد زيارة داود خان لروسيا حتى وصل إلى ١٥٠ مليون دولار، وتم تخطيط ٢١ مشروعًا لهذا المبلغ كان أحدها مد خط أنابيب الغاز الطبيعى من أفغانستان إلى روسيا.

- تخصيص ميزانية يبلغ حجمها ٤٢٥ مليون دولار لأفغانستان لتنفيذ الخطة السبعية الخاصة بداود خان، وقد قُرِّرَت هذه الميزانية لمواجهة المقترحات المالية الإيرانية، وباقى الدول التى تميل إلى غرب باكستان.

- تقديم أكثر من ٥٠ مشروعاً مختلفًا لروسيا من جانب أفغانستان، ويشتمل على تطوير إنتاج السماد الكيماوى، وتطوير صادرات الغاز الطبيعى ... إلخ .

- إبرام اتفاقية لمدة ١٢ عاماً، وهى اتفاقية اقتصادية مشتركة عام ١٩٧٧م.

- اتفاق الحكومة الأفغانية الشيوعية مع روسيا عام ١٩٧٨م لتلقى ٢٥٠ مليون دولار فى صورة أسلحة.

-إبرام معاهدة دفاع مشترك بين أفغانستان وروسيا، وحضور عدد كبير من المستشارين الروس فى مهام عسكرية ومدنية بأفغانستان عام ١٩٧٨م، وما بعدها.

ومنذ عام ١٩٧٩م عندما شن الاتحاد السوفيتى هجومه العسكرى على أفغانستان تم التوقيع على اتفاقيات ثنائية كثيرة لصالح الاتحاد السوفيتى، حيث وقعت اتفاقيات كثيرة حتى عام ١٩٨٦م كان بعضها غير عملى .

وفى عام ١٩٧٨م كان معظم أفراد الكادر القيادى للجيش الأفغانى مدربا تدريبا سوفيتيا. وفى نهاية عام ١٩٧٩م عندما اشتدت مقاومة الشعب الأفغانى، ولم يستطع نظام الانقلاب القضاء على الفتنة، وأشرفت الحكومة الشيوعية على السقوط، ولكى يحول الاتحاد السوفيتى دون تسرب الثورة الإسلامية فى إيران إلى أفغانستان، ولكى يحول كذلك دون سقوط الحكومة الشيوعية فى كابل شن هجومه العسكرى على أفغانستان، وكانت روسيا تنفق سنوياً فى أفغانستان حتى عام ١٩٩٠م، ومنذ تدخلها العسكرى حولى أكثر من ثلاثة مليارات دولار، وذلك لكى تؤسس نظامًا ترغب فيه، ولكن كل ذلك لم يحقق النتائج المرجوة.

ويمكن دراسة أسباب تطوير العلاقات الأفغانية السوفيتية خلال العقود الأخيرة فيما يلى:

كانت أهداف الحكومات الأفغانية من تلقى المعونات الروسية المختلفة هى دعم الأسس السياسية والاجتماعية، وإضعاف أو القضاء على المعارضين للتنمية الاقتصادية والصناعية فى أفغانستان. ولم يكن قصد الحكومات الأفغانية من تلقى المعونات هو تحقيق التقارب مع الاتحاد السوفيتى، بل إنه كان من أجل تحريض الغرب نحو التنمية الاقتصادية والصناعية بالبلاد.

الأهداف السوفيتية من تقديم المعونات لأفغانستان

- توسيع نطاق الماركسية، والنظام الاشتراكى، وجعل أفغانستان شيوعية من أجل دعم وتوسيع نطاق الشيوعية.

- تحقيق الأمن على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى.

- توسيع أراضى الاتحاد السوفيتى عن طريق أفغانستان وسائر الدول بالمنطقة.

- الاستفادة من المصادر الطبيعية والمعدنية بأفغانستان.

- الاستفادة من السوق الأفغانية.

احتل الاتحاد السوفيتى (السابق) أفغانستان منذ عام ١٩٧٩م فى ٢٧ ديسمبر، وحتى ١٥ فبراير عام ١٩٨٩م، وكانت أفغانستان قد حصلت على معظم المعونات قبل ذلك من الاتحاد السوفيتى، إلا أنها تكبدت خسائر تقدر بعدة أضعاف معوناتها، وذلك خلال السنوات العشر للاحتلال العسكرى السوفيتى لها. وهى خسائر قد لا يمكن حصرها، ومن ذلك مليون ونصف المليون شهيد، وعدد كبير من الجرحى، وأكثر من خمسة ملايين مشرد فى إيران و باكستان، وعدد من المشردين داخل البلاد، وتخريب معظم المدن والقرى وتدميرها، وتخريب نظام الرى، وتدمير الشوارع والجسور، والقضاء النهائى على الاقتصاد، والظروف الصناعية الضعيفة، والإضرار بالصادرات والواردات، وقطع العلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والخارجية.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق تلاشت العلاقات الأفغانية السوفيتية التى كانت تتسم بالاتساع النسبى، ولم يَعُد لجمهورية روسيا الاتحادية - التى تعد أكبر جمهورية سوفيتية، والوريث للاتحاد السوفيتى السابق - اهتمامٌ كبيرٌ بأفغانستان للأسباب التالية:

- بعد الحدود الروسية عن أفغانستان.

- الصراعات الداخلية فى جمهورية روسيا مع شعوبها، وسائر المشاغل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالداخل.

- عدم وجود مصالح خاصة فى أفغانستان.

العلاقات الأفغانية الأمريكية

لم يكن لدى أمريكا، وحتى الدول الغربية اهتمامٌ خاصٌ بأفغانستان فى العقود الأخيرة، وكان اهتمامها مقصوراً على الحد من اتساع النفوذ السوفيتى فيها، ولم تهتم بالمطالب الأفغانية للحصول على المعونات.

وكانت أمريكا والغرب منذ عقد الستينيات تنظر إلى أفغانستان على أنها منطقة وميدان للنفوذ السوفيتى، وتُحملها هذا. ولم تكن أفغانستان منطقة مهمة بالنسبة للغرب من الناحية الاقتصادية والتجارية. وكان داود خان فى عام ١٩٥٩م يطالب أمريكا بمعونات عسكرية أثناء قوة وحرارة العلاقات الأفغانية السوفيتية، و ذلك من أجل الحد من تزايد النفوذ السوفيتى، ولكنها رفضت قبول مطالب داود خان لأسباب ما. وبعد عزل داود خان كان رؤساء الوزراء الأفغانيون منذ رئاسة الوزراء فى عام ١٩٦٣م يميلون إلى إقامة علاقات طيبة مع أمريكا، إلا أنه لم يتوفر المجال لإقامة العلاقات المطلوبة، وكانت المعونات الاقتصادية والعسكرية من جانب أمريكا لأفغانستان - فى مجملها - حتى عام ١٩٧٣م قد بلغت ٢٢٥ مليون دولار. بينما كانت مساهمة روسيا تقدر فى الوقت نفسه بـ ١,٥ مليار دولار.

ومن الممكن بحث ودراسة أسباب عدم الاهتمام الأمريكى بأفغانستان فى النقاط التالية:

١ - عدم وجود مصادر معدنية قيمة وسهلة الاستخراج فى أفغانستان مثل النفط فى دول منطقة الخليج الفارسى.

٢ - وجود النظام القبلى فى أفغانستان، والمشاكل والعوائق الناجمة عنه.

٣ - انعدام الأمن السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى المطلوب فى أفغانستان (من وجهة النظر الغربية).

٤ - موقع أفغانستان ، حيث كانت حبيسة الجفاف لا تطل على المياه الحرة.

٥ - الاقتراب الشديد لأفغانستان من الاتحاد السوفيتى (السابق).

٦ - دعم أمريكا لموقف باكستان ضد النفوذ والتدخل المحتملين من جانب الاتحاد السوفيتى، وكان يبدو أن القوة السياسية والعسكرية لباكستان أمام روسيا أمر كاف، كما كانت المحافظة على أفغانستان فى مواجهة روسيا تكلف أمريكا ميزانيات إضافية.

٧ - لم تلعب أمريكا دوراً(*)، ولم تتخذ موقفاً معارضاً لإنجلترا فى الهند ؛ ولهذا السبب فإنها لم تكن ترى مصلحة في أفغانستان، لذلك فعلى الرغم من فشل محاولات الحكومات الأفغانية التعاون مع أمريكا لمواجهة الاتحاد السوفيتي وتنمية أفغانستان فإن الحكومة الأمريكية كانت آخر الحكومات التى اعترفت رسميا بزعامة ظاهر شاه.

واستغلت أمريكا الاعتداء السوفيتى بوصفه خطراً يوسع الشيوعية(**)، فقامت بالتأييد النسبى للمجاهدين الأفغان من أجل توجيه ضربة للاتحاد السوفيتى، وإضعافه، وإلحاق الأضرار به وتحقيق سياساتها و أهدافها، وكان تأييد أمريكا ومعوناتها للمجاهدين فى الحجم المناسب لضرب الاتحاد السوفيتي، وليس فى حجم الدعم المطلوب لجماعات المجاهدين؛ ولهذا السبب عندما زال الخطر السوفيتى عن أفغانستان والمنطقة قامت بقطع تأييدها لأحزاب وجماعات المجاهدين، ولكى تحول دون قيام حكومة إسلامية على يد المجاهدين قامت ببث الفرقة فى صفوفهم، وظلت تدعم حكومة كابل لفترة بعد خروج القوات الروسية. وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وبعد قيام الحكومة الإسلامية على يد المجاهدين قامت باستخدام عملائها فى المنطقة لبث الفرقة فى صفوف المجاهدين، وفرضت على المجاهدين والحكومة الأفغانية حرباً وصراعات طاحنة منذ أواسط صيف عام ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م وما بعدها، وذلك بتأييداتها المباشرة، وغير المباشرة لعدد من الجماعات.

وأمريكا لا تؤمن بوجود مصالح مهمة لها فى أفغانستان فى الوضع الراهن(***)

(*) للمزيد حول الوجود الأمريكى فى أفغانستان انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان، ص ٢٢٦ . (المترجم)

(**) ترى بعض الآراء أن التدخل العسكرى الروسى فى أفغانستان أوجد فرصة طيبة لأمريكا لتغطى فشلها السياسى فى كوبا وفيتنام وأنكولا. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان ، ص ١٨١ . (المترجم)

(***) ولكن تغير الوضع تماما بعد أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة، حيث بدأت أمريكا فى انتهاج استراتيجية الدفاع الوقائى من أجل حماية مصالحها الممتدة فى جميع أنحاء العالم، فقامت بتوجيه ضربات استباقية للأهداف التى ترى أنها تشكل تهديدا مباشرا لمصالحها دون اعتبار للأعراف والقوانين الدولية، فكانت أفغانستان الصيد الأول الذى فتح شهيتها على العراق... إلخ، وهى سياسة تهدف إلى فرض نظام عالمى جديد يتواكب والمعطيات الأمريكية. (المترجم)

وعنايتـهـا منصبـة فى إطار الحـيلولة دون تولى الحكومـات الموالـيـة لإيران، أو تلك المعارضة لأمريكا فى أفغانستان، وذلك حتى لا تتعرض مصالحها فى آسيا الغربية للخطر، ولكى تواصل تنفيذ هذه السياسات فإنها فتحت الطريق أكثر للنشاطات الباكستانية والسعودية.

العلاقات الأفغانية السعودية(*)

لم تكن هناك علاقات مهمة بين السعودية وأفغانستان قبل الاعتداء السوفيتي على أفغانستان، وذلك لأن القضايا السعودية - الأفغانية والمصالح المتبادلة مختلة وغير متفقة، ولكن المملكة العربية السعودية وثبت لتأمين أهدافها بتأييد بعض جماعات المجاهدين بعد التدخل العسكرى السوفيتي. وكانت السعودية تقدم المعونات طوال فترة جهاد الشعب الأفغاني ومقاومته، وقدمت كذلك عدة وعود بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي. وكانت السعودية تقدم الجزء الأعظم من مساعدتها للأحزاب المجاهدة والجماعات التابعة للحركة الوهابية أو المؤيدة لها، وكان سياف وخالص، وغيرهما من الأشخاص الذين يتلقون أكبر المعونات السعودية، ويأتى فى الترتيب الثانى بعد هذه الطائفة الجماعات المعتدلة مثل: مجددى، وربانى، وكيلانى، ومحمدى، ومن الجماعات الأخرى أصف محسنى من الذين تلقوا معونات فى الفترة الأخيرة.

(*) ترى إيران أن التقارب السعودى الأفغاني فى أثناء الاحتلال السوفيتي لأفغانستان يكمن فى سببين :

أولهما: جعل هذه الدولة "السعودية" مدينة لأمريكا والغرب لدرجة أن زعماءها أصيبوا بضرر بالغ من جراء الضغوط الأمريكية .

وثانيهما: أن أمريكا أدركت سريعا أن السعودية ليست قادرة على المساعدة المالية فقط، ولكن باعتبارها عضواً فى المجتمع الإسلامي والدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الروس، فقبل الاحتلال السوفيتي لأفغانستان لم تكن هناك علاقات تذكر. انظر: مجموعة مقالات دومين. سمينار، أفغانستان ، ص ١٦٧، و ص ٢٠٨ . (المترجم)

وفى فترة الجهاد الأفغانى ضد السوفييت، والحكومات الشيوعية، وحتى الآن (مهرماه ١٣٧١هـ. ش - سبتمبر/أكتوبر١٩٩١م) حيث تم تشكيل الحكومة الإسلامية للمجاهدين؛ كانت السعودية تؤيد الجماعات التى كانت لها علاقات محدودة بإيران، وأقل اتجاهاً وتبعية لها، وكانت تشترط لمعوناتها الحد من العلاقات مع إيران.

العلاقات الأفغانية الهندية

اتبعت الهند على طول العقود الثلاثة الماضية سياسة التأييد للحكومات الأفغانية، حتى إنها كانت تؤيد الحكومات الشيوعية الحاكمة فى كابل فى أثناء التدخل العسكرى السوفيتى، أو على الأقل لم تتخذ مواقف مضادة لها. ويمكننا بحث أسباب التقارب الأفغانى الهندى فى النقاط التالية:

- علاقات التقارب بين كل من الهند(*) والاتحاد السوفيتى، والتعاون الإقليمى بين البلدين. كما كانت كل واحدة منهما تراعى الأخرى فى علاقاتها الخارجية، وبالنسبة لقضية أفغانستان فإن الهند أيدت الاتحاد السوفيتى على طول الخط، وكانت تؤيد الحكومات الأفغانية ما أمكنها.

- الخلافات بين الهند وباكستان، حيث كانت الهند تسعى لإقامة علاقات تقارب مع أفغانستان، وإثارة المشاكل مثل مشكلة البشتونستان حتى تخلق المشاكل أمام باكستان حتى تحول اهتمامها بحدودها الشرقية مع الهند إلى حدودها الغربية، والشمالية الغربية مع أفغانستان .

(*) كان الروس والهنود يسعون وراء هدف واحد، وهو إبعاد أفغانستان وباكستان كلتيهما عن الأخرى، وإضعاف كلتيها فى المنطقة ومنعهما من التوسع فيها، فالهند كانت خائفة من قيام اتحاد إسلامى بين باكستان وأفغانستان وإيران ، أما الروس فكانوا ينجزون كل ما أرادوه من أفغانستان تحت اسم مشكلة بشتونستان. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية ، ترجمة د.عفاف زيدان. ص ٥٤٥ بتصرف. (المترجم)

– تناقص الاهتمام الهندى الشديد بأفغانستان لدرجة كبيرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واضطراب توازن القوى فى المنطقة، وأصبحت الاهتمامات والاتجاهات الهندية إلى أمريكا بشكل أكبر، خاصة فى الأوضاع الراهنة، ولذلك افتقدت أفغانستان دوافع الأوضاع السابقة للهند. ومع ذلك فإن الهند سيظل لها اهتمام نسبى بأفغانستان طالما ظلت باكستان تقع على الحدود الغربية لها، وتمثل خطراً عليها، وكانت الهند ترحب بسوء العلاقات الأفغانية الباكستانية، طالما كانت سيئة.

العلاقات الأفغانية الصينية

الحدود الأفغانية الصينية المشتركة حدود بسيطة، ولكن هذه المنطقة الحدودية – والتى تمثل منطقة جبلية صعبة، ولا يمكن عبورها – لعبت دوراً مؤثراً فى تحقيق التقارب بين البلدين ؛ ولذلك كانت العلاقات الثنائية علاقات محدودة(*).

وأدانت الصين الاعتداء السوفيتى على أفغانستان طول فترة الاحتلال، وطالبت بخروج القوات السوفيتية من أفغانستان. وخلال فترة الاحتلال كانت الصين تتبنى ثلاثة مبادئ هى: خروج القوات السوفيتية، وحق الشعب الأفغانى فى تقرير مصيره والاستقلال، والمحافظة على الحياد الأفغانى.

وبعد خروج الاتحاد السوفيتى، وانهياره فى نهاية الأمر حدَّت الصين من اهتمامها بأفغانستان. ومنذ بداية عام ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩١م، وحتى الآن مهر١٣٧١هـ. ش لم يكن لها رد فعل مهم يتعلق بالقضايا الأفغانية ؛ فقد حولت الصين اهتمامها إلى منطقة أسيا الوسطى، إلا أنها حتى الآن لم تنظر إلى أفغانستان نظرة اهتمام أو عناية منذ بداية القرن العشرين ، وحتى الآن كانت الأطراف الخارجة، وكذلك الحكومات

(*) ولهذا قطعت جميع مساعداتها العسكرية لأفغانستان، وكانت ترى أن حل المشكلة الأفغانية يكمن فى الحل السلمى. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان ، ص ١٧٠ . (المترجم)

الأفغانية هى العامل المؤثر فى العلاقات مع الدول الأجنبية، فكانت الحكومات الأفغانية تُسْتَمَال لقلة الدخل والاختناقات الاقتصادية الشديدة والصراعات الداخلية. وسوف تظل تواصل هذا الموقف لمستقبل غير معلوم أو محدود، طالما أن أفغانستان تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاقتصادية والصناعية والمالية والتعليمية، فهى تضطر إلى الانحياز من أجل تلقى المعونات التى تحتاج إليها، وسوف تكون هذه الحالة أكثر إزاء الدول التى تعرض معونات أكبر.

المؤلف فى سطور :

- كاتب ومفكر إيرانى
- يعمل بوزارة الخارجية الإيرانية
- يهتم بالجانب التاريخى السياسى للدول فى كتاباته .

المترجم فى سطور :

أحمد محمد النادى

حاصل على دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر عام ١٩٩٩م، ويعمل حاليًا مدرس اللغة الفارسية وآدابها بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية – جامعة الزقازيق

– من مؤلفاته :

بازگشت ادبى " العودة الأدبية "

– تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ، دراسة وترجمة .

للمؤلف العديد من الأبحاث المنشورة، منها : المعرب الفارسى فى العربية والعامية المصرية: دراسة فى البنية والدلالة .

– خسى درا ميعات : قشة فى الميقات .

– الإله وصفاته فى الديانة الزرادشتية .

– الأمن والسياسة فى النزاع حول الجزر بين إيران والإمارات .

– قراءة فى ديوان أخوان ثالث " آخر شاهنان"

المراجع فى سطور :

السباعى محمد السباعى

- ولد فى المحلة الكبرى - محافظة الغربية عام ١٩٤١م.

- حصل على ليسانس الآداب فى كلية الآداب - قسم اللغات الشرقية - جامعة القاهرة عام ١٩٦٣م .

- حصل على الماجستير فى موضوع " جلال الدين الرومى وكتابه فيه ما فيه" عام ١٩٦٨م.

- حصل على الدكتوراه فى موضوع "عطا مالك الجوينى وكتابه "تاريخ جهاى كشاى" عام ١٩٧٢م .

- تقلد عدة مناصب منها :

- رئيس قسم اللغات الشرقية عام ١٩٨٣م

- وكيل كلية الآداب - بنى سويف عام ١٩٨٦م.

- عميد كلية الآداب - بنى سويف عام ١٩٨٦

- عميد المعهد العالى للسياحة والفنادق بمدينة السادس من أكتوبر ١٩٩٦م.

وقد ساهم فى العديد من المؤتمرات العلمية، وألقى محاضرات فى كل من تركيا وإيران منذ عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٩٢م

له العديد من المؤلفات والترجمات منها :

- الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية عام ٢٠٠٠ ، الموسوعة العامة مقاتل فى الصحراء (مؤلف) .

- عبد الوهاب عزام ، رائداً ومفكراً ، القاهرة ، للكتاب المصرى اللبنانى ، يناير ٢٠٠٥ (مؤلف).

- الإسلام فى إيران تأليف بطرشوفسكى (مترجم)

- من الفكر الصوفى الإيرانى المعاصر تأليف : صادق عنقا (مترجم) .

وقد شارك فى مؤتمرات دولية عديدة ، ونال العديد من الأوسمة والتقديرات .

التصحيح اللغوى : **أحمد عبد العظيم**
الإشراف الفنى : **حسن كامل**

يضع موقع أفغانستان المعاصر والمكشوف أمام دول الجوار فى حذر بالغ وحنكة شديدة فى علاقاتها مع دول الجوار، ويكون لزامًا على حكومة "حامد قرضاى" أو غيرها أن تتمتع بقدر من المصداقية ومساحة اتفاق فى علاقاتها مع دول الجوار، وإلا تواجه انقلابات وثورات بفعل تداعيات العرقيات والبيئة الجغرافية التى تمثل هى الأخرى مصدر تهديد دائمًا لاستقرار بقاء النظام بجانب البيئة العامة للنظام السياسى، وهى المسئولة عن الأحداث القومية والعرقية والتى بدأت منذ قرن، وسوف تستمر لأجل غير مسمى، ويعالج هذا الكتاب كل هذه الظواهر من جغرافية طبيعية وبشرية وما يتصل بالدين والمذهب والعادات والتقاليد، والأوضاع الاقتصادية والأهمية الاستراتيجية لهذا البلد وعلاقاته إقليميًا ودوليًا .